شؤون فلسطينية

٧

آذار (مارس) ١٩٧٢

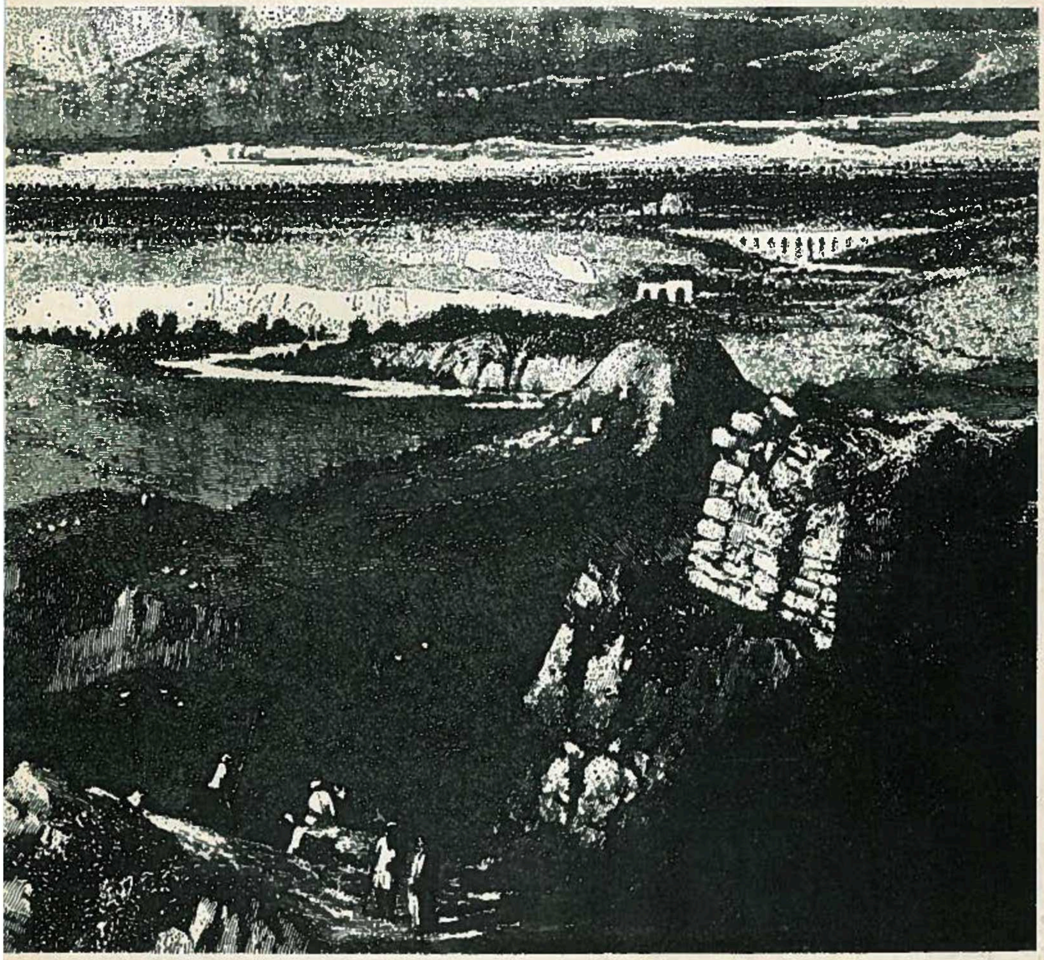

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٧ — اذار (مارس) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير الادارة :** جبريل ديب .

هيئة التحرير : د. ابراهيم ابو لغد ، بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢/١ ٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : غور اريحا ، القرن التاسع عشر .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، د. انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٩ **فتح بين النظرية والتطبيق : (١) الاطار النظري** ، هاني الحسن [من قادة فتح] .

٢٢ **خواطر في العنف الفلسطيني** ، د. حسام الخطيب [رئيس قسم اللغة العربية في جامعة دمشق] .

٢٧ **احاديث مع قادة المقاومة الفلسطينية حول مشكلات العمل الفدائي الفلسطيني** (الحلقة الثالثة) ، سامي عطاري (امين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية) ود. عبدالوهاب الكيالي [مدير المؤسسة العربية للدراسات والنشر] .

٥٠ **حول المؤتمر الصهيوني الاخير** ، د. اسعد رزوق [الباحث في الشؤون الاسرائيلية — مركز الابحاث في م. ت. ف.] .

٦٥ **لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة** ، منير شفيق [الكاتب الفلسطيني] .

٧٤ **كيف روت « اسرائيل » قصة الكرامة للعالم** ، جويس قاضي [الباحثة في م. أ.] .

٨١ **ندوة العدد : تقييم دور الحركات الوطنية العربية في دعم حركة المقاومة الفلسطينية** ، د. خليل احمد خليل [الحزب التقدمي الاشتراكي] ، غسان شرارة [المستقلون المساندون للعمل الفدائي] ، سهيل الطويلة [الحزب الشيوعي اللبناني] ، رغيد الصلح [حزب البعث العربي الاشتراكي] ، نزيه حمزة [حزب العمل الاشتراكي العربي] .

٩٧ **مواقف النواب الاميركيين من مسالة تقديم المساعدات للفلسطينيين والاسلحة لاسرائيل** ، جانيس ج. تيري [استاذة التاريخ في جامعة ايسترن ميشيغان] .

١١٦ **الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى** ، نبيل بدران [الباحث في قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] .

١٣٠ **المعلم العربي والتعليم في الارض المحتلة** ، د. شاكر مصطفى [استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة الكويت] .

١٥٢ **مراجعات** : عمران فلسطين ، مايكل ادامز [الامين العام لمجلس تنمية التفاهم انبريطاني العربي] . الارض غير المقدسة ، ولمن ارض فلسطين ، هاني احمد فارس [الدارس للدكتوراه في كندا] . اسرائيل بين الامم ، صبري جريس [رئيس قسم الدراسات الاسرائيلية في مؤسسة الدراسات الفلسطينية] . هل تستطيع اسرائيل احتواء الثورة الفلسطينية ، ابراهيم

العابد [نائب مدير م. أ. وسكرتير تحرير شؤون فلسطينية] . المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلي ، د. جورج حجار [استاذ الفلسفة في جامعة واترلو في كندا] . يا اورشليم ، داود تلحمي [الباحث العربي في فرنسه] . المؤسسات الاقتصادية في اسرائيل، الياس انيس نجم [الدارس في العلوم الاجتماعية والاقتصاد في بيروت] . مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية ، م. ش. مجلة عناصر الفرنسية ، العفيف الاخضر [الكاتب العربي] .

١٧٥ **فلسطين في خمسة مؤتمرات** : حلقة الاحصاءات الثقافية في البلاد العربية ، شحاده موسى [الباحث في قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية ، د. سعيد حمود [مساعد مدير عام مركز التخطيط في م. ت. ف.] . المؤتمر السنوي الرابع لجمعية الخريجين العرب ، د. حاتم الحسيني [الخبير الاعلامي في مكتب الجامعة العربية في واشنطون] . المؤتمر الثامن للادباء العرب ، مي صايغ جبجي [الاديبة الفلسطينية] . المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني ، زينة ابو شديد [الباحثة في م. أ.] .

١٨٨ **ست رسائل اعلامية من الخارج** : الراي العام العالمي والمجابهة العربية الصهيونية منذ ١٩٦٧ ، طالب يونس [الدارس للدكتوراه في بريطانية] . نظرة سريعة حول مواقف الرأي العام الفرنسي تجاه المسألة الفلسطينية ، د. ت. كسب الرأي العام البلجيكي ، نعيم خضر [المحاضر في جامعة بروكسل الحرة] وبشارة خضر [المعيد في جامعة لوفان] . اليسار الاميركي والقضية الفلسطينية ، د. ادوار سعيد [الاستاذ في دائرة الادب الانكليزي والادب المقارن في جامعة كولمبيا] . النشاط الصهيوني بين اليهود الاميركيين ، سهير احمد السكري [الباحثة في مكتب الجامعة العربية في واشنطون] . منظمة ميثاق ابراهام ، ماجد نعمة [الدارس في العلوم الاجتماعية والاقتصاد في بيروت] .

٢٣٣ **شهريات** : المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [رئيس تحرير دراسات عربية] . القضية الفلسطينية دوليا ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . مع ملحق : رسالة خاصة من الولايات المتحدة ، الضغط للحصول على الفانتوم ، عودة ابو ردينة [الدارس للدكتوراه في جامعة هارفرد] . السياسة الاسرائيلية ، احمد خليفة [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا.] . المناطق المحتلة ، عبدالحفيظ محارب [الباحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٢٦٩ **رسالة من مجاهد قديم : ذكريات عن القسام** ، ابراهيم الشيخ خليل .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

يرجع تاريخ تفكير مركز الابحاث باصدار دورية فكرية مختصة بالشؤون الفلسطينية الى العام ١٩٦٦ الذي وليت في صيفه مسؤولية ادارة المركز . وقد اجرينا في العام ١٩٦٧ محاولة لم يكتب لها النجاح لاسباب مالية صرف ، وبشكل خاص لانخفاض ميزانية المركز التي يتلقاها سنويا من منظمة التحرير الفلسطينية كنتيجة لاحداث ذلك العام وانقطاع معظم الدول العربية (ثم كلها فيما بعد) عن الوفاء بالتزاماتها لمنظمة التحرير . (وقد تمخض عن تلك المحاولة كتابان نشرا في العامين ١٩٦٨ و١٩٦٩ بعنوان « فلسطينيات » تضمن كل منهما مجموعة من البحوث التي أعدت لمشروع المجلة). لكن الرغبة في اصدار الدورية ، والاصرار على اهمية المشروع ، لم تنهزم أمام تفاقم المصاعب المالية التي اخذ المركز يعاني منها منذ ١٩٦٧ ولا يزال ، وهي مصاعب تركته عاجزا عن اعداد الكثير من البحوث ونشر الكثير من الدراسات وجمع الكثير من الوثائق ، وعن تلبية طلبات جهات مختلفة وتنفيذ مقترحاتها والاخذ بملاحظاتها حول نشاطات كثيرة على المركز ان يقوم بها كجزء من العمل المطلوب منه . ولولا سلوك المركز سبيل التقشف الشديد والتضحية باكثر من باحث واكثر من مشروع ، ولولا معونات قليلة نسبيا يعبر بها اصحابها عن تقديرهم للمركز ولرسالته من خلال مساعدته على تنفيذ مشروع أو نشر كتاب ، لولا ذلك كله لما استطاع المركز ان يبقى حتى هذا الاسبوع الذي يبلغ فيه عامه السابع .

بفضل هذه المساعدات المالية استطعنا ان نصدر في مارس ١٩٧١ « شؤون فلسطينية ». وان كان هذا يعني ، فيما يعنيه ، ان دوريتنا ليست عبئا ماليا على الثورة الفلسطينية ولا على الصندوق القومي الفلسطيني بشكل خاص ، فهو يعني ايضا ، من جهة اخرى ، ان مصير الدورية رهن ببقاء المعونة المتقطعة القصيرة الاجل ، وان أي تخطيط للمستقبل لا يتجاهل ان رصيدنا في البنك لا يكفي الا لاشهر قادمة قليلة فقط .

« شؤون فلسطينية » ابنة مركز الابحاث . ولعلها الابنة الاصغر . لكنها ابنة مستقلة . وهي تستفيد من خبرات اخوانها ، مشاريع المركز الاخرى ، ومن جهود باحثي المركز ومن معلوماتهم ، ومن مكتبة المركز . وهي ايضا ترتبط مع المشاريع الاخرى وتتعاون معها . لكنها تظل مستقلة تماما . وهذا هو اهم ما فيها . ولا يعني الاستقلال ، فقط ، ان كل عمل يجري فيها انما يجري خارج دوام المركز ، من الناحية الادارية . ولا ان كل مصاريفها منفصلة تماما عن ميزانية المركز ، من الناحية المالية . بل ان الاستقلال يعني ايضا ان ما تقوله المجلة لا يمثل الا الكاتب ، وليس فيها ما يعبر بالضرورة عن مركز الابحاث ولا عن منظمة التحرير التي ينتمي المركز اليها . ويعني الاستقلال ، ايضا ، ان رئاسة تحرير « شؤون فلسطينية » ، بمساعدة ومشورة هيئة تحريرها ، هي التي تتحمل مسؤولية سياسة المجلة وافكارها .

ان « شؤون فلسطينية » تكمل عمل مركز الابحاث وتقوم بدور خاص في خدمة القضية

لا يستطيع المركز ، سواء لتكوينه او لطبيعته او لانظمته ، ان يؤديها . وهي تكمل ، بنوع خاص ، منشوراته التي تبلغ حوالي المئتين واربعين منشورا . وقد قصد منها ان تكون مجـالا رحبا لتقديم المعلومات والتحليلات ، ومنبرا حرا لتقديـم الاراء والافكار . وتحرص المجلة ان تؤمن لجميع الاصوات السبيل للوصول الى الجماهير بمنتهى الحرية، ما دامت هذه الاصوات ، والافكار والاراء والاتجاهات التي تعبر عنهـا ، انما هي من ضمن الاطـار العام للثورة الفلسطينية ، ومن ضمن الالتزام العام بأهـداف الثـورة الفلسطينية وباماني الشعب الفلسطيني ومطلبه في الكفاح المسلح لتحرير وطنه واستعادة حقوقه واقامة الكيان الفلسطيني الديمقراطي العلماني الحر الذي ينادي به . ومما سهل على « شؤون فلسطينية » ان تقوم بهذا الدور الخطير ان اسرتها وهيئة تحريرها وكتابها ومعلقيها ومراسليها ليس فقط لا ينتمون الى تنظيم سياسي واحد ولا يلتزمون ايديولوجية معينة ، بل هم ايضا يؤمنون بان تعدد الافكار التي يحملون وتنوع المعتقدات التي ينتمون اليها انما هو يخصب المجلـة ، كما انهم يؤمنون بان اتاحة المجال امـام الاتجاهـات والحركـات السياسية المختلفة لتتناقش ولتعرض افكارهـا بهدوء وبموضوعية وثقة واحترام متبادلين هو السبيـل الافضل لايصال صوت الثورة الفلسطينية الى المثقـف العربي ، ولحمل رغبة الجماهير الى قيادة الكفاح الفلسطيني ، وهو العمـل الذي اذا استطاعت مجلة ما ان تؤديه بامانة تكون قد قدمت للثورة خدمتها الجلى .

من هنا كان توكيد « شؤون فلسطينية » ، ان في اعدادها الستة الماضية التي تشكـل سنتها الاولى ، او في مخططاتها لسنتها الثانية التي تبدأ بهذا العدد السابع ، على جعل المناقشة الهادئة والهادفة مادة اساسية تبرز على صفحاتها في كل عدد : سواء في مقالات افرادية تعالج مواضيع لا يتفق الفلسطينيون على تفسيرها ولا ينظرون اليها بمنظـار واحد ، او في مقالات وردود عليها معاكسة لها تنشر في العدد نفسه ، او في مقابلات مع مسؤولي المنظمـات المختلفة تحمل اليهم شكـاوى وشكوكا واتهامات يتناقلهـا بعض المواطنين ، او في ندوات يشارك بها افراد او ممثلو جماعات لا يتفقون على راي واحد حيال المسائل المطروحة للنقاش . وان كنت لا ازعم ان هـذا الجو الصحي من النقاش الهادىء غير المتوافر كثيرا في المجال السياسي العربي ، قد انقذ الافكار المتصارعة على الصفحات الصامتة من المهاترات ومن الاصطدامات ومن الصراعـات غير الرياضية في الحقول الاخرى ، الا انني استطيع ان اؤكد ان نقاشات « شؤون فلسطينية » أعطت مجالات واسعة لعدد كبير من اصحاب الافكار للتعبير عن انفسهم وللرد على غيرهم مما اغنى الفكر الثوري الفلسطيني الى حد ظاهر .

وقد عنيت الاعداد السابقة من « شؤون فلسطينية » بالتركيز على عدد من المواضيع : منها الكتابة المستمرة عن الشعب الفلسطيني — لا بالكلام المعروف عن حقوقه ومطالبه وانما بدرس متعمق لمشاكله واوضاعه وبتحليل لقطاعات معينة فاعلة ومهمة فيه . ومنها التعريف المستمر بالعدو — لا بالكلام في العموميات المألوفة بل بدرس احواله الحاضرة (الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية) وبتحليل مواقفه وسياساته ومؤسساته وقياداته . ومنها التتبع المستمر للثورة الفلسطينية — لا بسرد افعالها العسكرية والاشادة العاطفية ببطولاتها ، بل بالكشف عن متاعبها ومحاولة ايجاد بعض الحلول لها ، وبدرس قضاياها وتقييم مؤسساتها وتفسير اهدافها وشعاراتها . ومنها التغطية المستمرة للنشاطات المتعلقة سلبا او ايجابا بالقضية الفلسطينية : تغطية الاحداث السياسية والعسكرية والدبلوماسية فلسطينيا واسرائيليا وعربيا ودوليا ، وتغطية النتاج الفكري والفني والمؤتمرات والندوات وكافة الجهود الاعلامية في دول العالم المختلفة .

والواقع ان مخططات كثيرة وضعت وتوضع لشؤون فلسطينية ، ولكل عدد منها بشكل

خاص . ونحن ننجح في تنفيذ بعض هذه المخططات ونفشل في بعضها . ولكننا نؤمن ان المجلة الناجحة لا تبلغ مرتبة النجاح عفويا ، وان نجاح مرحلة لا يتم الا اذا استمر وتصاعد في المرحلة التالية ، وان رئاسة تحرير المجلة هي التي تسير المجلة وتقرر وجهتها (بمساعدة ومشورة هيئة التحرير) ولا نترك المجلة رهن الظروف وتحت رحمة ما يردها من مواد ومن يتجاوب معها من متعاونين ، بل ان المجلة هي التي تأخذ بزمام المبادرة ، وهي التي تستكتب ، وهي التي تقرر المواضيع ، وهي التي تحدد الاحجام والمستويات .

فمن حيث **المواضيع** التي تعالجها المقالات المختلفة نحاول ان تكون متنوعة ومتوازية في العدد الواحد ، وكلها في مستوى يتراوح بين الجيد والممتاز ، وعليها ان تشمل جوانب تثير اهتمامات قطاع واسع من القراء او تجيب على استفسارات عدد كبير من المواطنين او تساعد المثقف العربي على استيعاب او فهم امور معينة متعلقة بالقضية او بالثورة او بفلسطين او بالعدو . وفي احصاء سريع للمواضيع التي دارت حولها مقالات السنة الاولى نجد انها قسمت الى اربعة اقسام شبه متساوية : عالج الربع الاول مواضيع اسرائيلية وصهيونية ، وعالج الربع الثاني المقاومة الفلسطينية ، وكان الربع الثالث عن النشاطات الاعلامية الفلسطينية والعربية والنشاطات الدعاوية الصهيونية ، في العالم ، اما الربع الاخير فكان عن الشعب الفلسطيني وعن التاريخ العربي لفلسطين .

اما في نقد الكتب والمؤتمرات فقد راجعت دوريتنا في اعدادها الستة الاولى ستين كتابا عن فلسطين والقضية الفلسطينية ، وقد صدر كلها في ١٩٧٠ و ١٩٧١ . وكان عشرون منها بالعربية واثنان وثلاثون بالانجليزية وثمانية بالفرنسية والالمانية والهولندية والسويدية والنرويجية . كما حضر مندوبو شؤون فلسطينية خمسة وعشرين مؤتمرا عالميا له علاقة بالقضية الفلسطينية ، وغطوها كلها .

اما من حيث **الكتّاب** فان شؤون فلسطينية تخطط لتوسيع رقعة المساهمين بها فلا تحصر نفسها بباحثي مركز الابحاث ولا بالكتّاب الفلسطينيين المعروفين ، بل اننا نسعى دوما لاستكتاب المزيد من الكتّاب من خارج مركز الابحاث ، ومن غير المقيمين في لبنان ، ومن العرب غير الفلسطينيين ومن الاجانب ايضا . وقد اسهم في تحرير المجلة ، في سنتها الاولى فقط ، ١٠٩ كتاب (وهو ، بالطبع ، عدد كبير نسبيا) : ٦١ فلسطينيا و ٣١ عربيا غير فلسطيني و ١٧ اجنبيا . ويقيم ٥٨ منهم في لبنان و ١٩ في انحاء اخرى من الوطن العربي و ٣٢ خارج الوطن العربي . وفقط ٢٥ منهم من الباحثين في المركز . ويبدو من هذه الارقام اننا نجحنا الى حد بعيد في استقطاب العشرات من الباحثين من خارج المركز، ونجحنا الى حد اقل في استكتاب نسبة لا بأس بها من خارج لبنان ومن خارج البلاد العربية . ونرجو ان ننجح اكثر ، في المستقبل ، في استكتاب المزيد من غير الفلسطينيين وغير العرب .

ان العثور على الكتّاب المناسبين والاتفاق معهم وضمان تقيدهم بالمستوى المطلوب وبالوقت المحدد انما هو من المشاكل التي تواجه كل مجلة ، ولا تنفرد «شؤون فلسطينية» بذلك . لكنها ربما هي تنفرد بمواجهة مشكلة اخرى : مشكلة الحجم . فان كثرة المواضيع الفلسطينية التي تحتاج الى معالجة فرضت على المجلة التضخم بشكل يفوق ما كان قد خطط له سابقا ، فقد تقفز حجمها من ٢٣٦ صفحة في العدد الاول الى ٢٦٠ صفحة في العدد الثاني . ومع اننا تمكنا في العدد الثالث من النزول الى ٢٥٠ صفحة عاد الحجم فارتفع الى ٣٠٠ في العدد الرابع والى ٣٢٢ في الخامس والى ٢٩٨ في السادس — متذكرين ان ثلث العدد الواحد ، على الاقل ، هو في الحرف الصغير (أي ٦٠٠ كلمة في الصفحة الواحدة . وما كنا نستعمل هذا الحرف المتعب للعين عند القراءة لولا ضرورة اختصار الصفحات) ومتذكرين ان الصفحة العادية في المجلة تضم ٥٠٠ كلمة على الاقل، وهو تكثيف يكون في معظم الحالات على حساب الاخراج الفني واناقة الشكل ، ورغما عن

توصيات (واحتجاجات) مدير الاخراج ! ولو اتبعنا الاسلوب الاميركي في الاحصاءات لتبين لنا ان الاعداد الستة السابقة من دوريتنا بلغت كلماتها ، في سنة واحدة فقط ، حوالي ٩٠٠،٠٠٠ كلمة . وهي كثافة لا نجدها ، اطلاقا ، في اية مجلة عربية مماثلة ، لا في الحاضر ولا في الماضي .

هناك ايضا مشكلة تغطية النفقات . ان تخصص المواضيع التي تعالجها « شؤون فلسطينية » ، وكثرة عدد المساهمين فيها (كتابا ونقادا ومراسلين ومعلقين ، الى جانب المدققين والمصححين والمترجمين) ، ونوعية الكتاب ومستوى البحوث التي يقدمونها عادة ، والحجم الضخم ، يضاف الى ذلك حرص المجلة على بيع اعدادها باسعار معقولة نسبيا وباسعار اكثر انخفاضا في بعض الاقطار العربية وعلى تقديم حسم بمقدار نصف سعر البيع للمنظمات والاتحادات الفلسطينية ، وقلة الاعلانات (وهناك حصار تقاسي منه المجلة اعلانيا يعود لاسباب سياسية معروفة) ، ان ذلك كله ، واسباب اخرى كثيرة ، تجعل مصاريف هذه الدورية الفلسطينية ، في الاعداد والطباعة والتوزيع وكافة النفقات اليومية الاخرى العادية ، تفوق دخلها من البيع والاشتراكات والاعلانات بمعدل أربعة اضعاف . ومما يؤلمنا ان يشكو قراء كثيرون من ارتفاع سعر العدد الواحد. ونحن ندرك ان مبلغ اربع ليرات لبنانية للعدد الواحد (كما كان في السنة الاولى وقبل ان ينخفض ابتداء من هذا العدد الى ٢/١ ٢ ل.ل.) هو مبلغ يبدو للوهلة الاولى كبيرا بالنسبة الى مجلة (اية مجلة) والى نتاج ثوري بالنسبة الى شعب يعاني القطاع الاكبر منه من مداخيل قليلة . لكننا ، من الجهة الاخرى ، نود ان نذكر ان العجز في المجلة يزيد سنويا على ١٥٠،٠٠٠ ليرة لبنانية ، وان الاغلبية الساحقة من المبيعات تكون بنصف سعر (باعتبار ان الموزعين والوكلاء والمنظمات والاتحادات ، لا يتركون لنا الا نصف السعر) ، وان نفقات شحن النسخة الواحدة الى كثير من الاقطار تزيد على سعر العدد وتبلغ احيانا ست ليرات لبنانية — وغير ذلك من الحقائق المجردة والبشعة التي كانت تضطرنا لان نجعل سعر العدد اربع ليرات ، وهو مبلغ اقل مما يدفعه عادة الشخص الواحد في مطعم عادي في اية مدينة عربية ثمن وجبة غذاء واحدة .

ولا يصح ان نقفل الكلام عن المصاعب التي واجهناها في سنتنا الاولى ، ونخشى ان تظل تعترض سبيلنا هذه السنة ايضا ، دون ان نعرج على مشكلة اخرى اعمق وأقسى واجهناها في كل عدد بدون استثناء — وهي مشكلة عتب العاتبين (ولعلني يجب ان أقول غضب الغاضبين) بسبب سياسة « شؤون فلسطينية » ، بل بسبب مقال او تعليق في عدد واحد . ونحن لا نستغرب ان يؤدي تشديدنا على اهمية عرض جميع الاراء واتاحة المجال امام الجميع لمناقشتها وحرصنا على ممارسة النقد الصريح (وقد مارسناه على منشوراتنا وانفسنا قبل ان نمارسه على غيرنا) ان يؤدي ذلك كله الى اثارة بعض الاخوان (وعتابهم ، وغضبهم) ، سواء كان هؤلاء الاخوان افرادا او مسؤولي منظمات واتحادات فلسطينية او انظمة ومؤسسات عربية . فان شرط دخول مجلة مثلنا لهذا الميدان الخطر ان يكون لها الصدر الواسع على تحمل العتاب والنفس الطويل على مجابهة العاتبين . انما ما لم نكن نتوقعه هو ان نتهم ، لكلمة واحدة في تعليق واحد ، مثلا ، اننا « اداة » بيد هذا التنظيم او ذاك ، او اننا « عملاء » لهذه الجماعة او تلك . وفي مدى اسبوع واحد فقط صدرت علينا ثلاثة احكام من ثلاث صحف ينتمي كل منها لتنظيم فلسطيني يختلف عن الاخر ، تشترك كلها بادانتنا وانما يتهمنا كل واحد منها باننا عملاء للتنظيم الآخر وان همنا الوحيد هو التهجم على التنظيم الذي تنطق باسمه المجلة صاحبة الاتهام . (نحن عملاء لـ أ ضد ب. لا ، نحن عملاء لـ ب ضد ج. لا ، نحن عملاء لـ ج ضد أ) . ولعل هذه التخبط في الاتهام ، في وقت واحد من ثلاث جماعات متناقضة ، يزيد من قناعتنا الذاتية باننا نسير على الطريق الصحيح في ان المجلة ، وان

كان كتابها ينتمون الى عدة تنظيمات ، ليست لجماعة ضد اخرى ، وانما هي لفلسطين . وفلسطين ، في نهاية المطاف ، اكبر من الجميع وامنع من الجميع .
الا انني اظلم اختبارات السنة الاولى من حياة دوريتنا اذا اكتفيت بالكلام عن المصاعب ولم اتطرق ، ولو باسطر قليلة جدا ، الى تقدير المواطن ورضى القارىء — وهما ، في النهاية ، الاهم والابقى . وقد كان هذا التشجيع هو الحافز الذي اعاننا ويعيننا على اجتياز المصاعب وعلى القفز فوق العقبات . وهو قفز بالحجم (بحيث اصبحت شؤون فلسطينية ، ابتداء من اليوم ، شهرية) ، وبالرواج (بحيث ارتفع المبيع ، في سنة واحدة فقط ، بنسبة الضعفين وثلث الضعف) . وكل ما نرجوه هو ان نستمر في خدمة قرائنا حتى يستمر تقديرهم ورضاهم وتشجيعهم لنتمكن من اداء قفزات أهم نوعية ومدى : قفزات في المستوى ، حتى تكون « شؤون فلسطينية » هي بالفعل تجسيد لعبارات المديح التي نسمعها من المئات من القراء ، وهي عبارات مديح نمتنع عن ترديدها هنا حتى نحمي انفسنا من تهمة الغرور .

فتح بين النظرية والتطبيق
١ ــ الاطار النظري

هاني الحسن

يبحث هذا المقال في الاطار النظري لحركة فتح ، ولا يتطرق الى موضوع التطبيق ، ولكنه مع ذلك يشكل وحدة متكاملة ، تنشره « شؤون فلسطينية » آملة ان تتمكن من تقديم القسم الاخر المكمل له ، في العدد القادم .

مع اشراقة عام ١٩٧٢ يكون عمر الكفاح المسلح لحركة (فتح) قد القى ظله على سبع سنوات مضت . وبمجرد تذكر هذه الحقيقة يتجه عقل كل مناضل من المناضلين الثوريين العرب ، وبشكل لا ارادي الى مقارنة عمر الكفاح المسلح الفلسطيني مع عمر الثورات الشعبية العالمية الحديثة . انطلاقا من عمر الثورة الجزائرية البطلة والتي انجزت مهمتها خلال سبع سنوات ، ومرورا بالثورة الفيتنامية والتي ما زالت منذ حوالي خمسة وعشرين عاما تناضل بلا كلل ، ولكنها حررت شمال البلاد وقطعت شوطا كبيرا في تحرير جنوب البلاد ، وانتهاء بالثورة الصينية العظيمة والخالدة والتي استمرت ربع قرن من الزمن ، قادت في النتيجة الى نتائج يمكن ان توصف بزلزال ثوري شمل الصين والشرق الاقصى جميعا .

اننا اليوم ونحن نقف على عتبة العام الثامن للثورة الفلسطينية تتجاذب الكثيرين منا ــ وخاصة ابناء فتح ــ مشاعر متداخلة من الامل والتشاؤم من التفاؤل والسوداوية . والسبب يرجع الى واقع الضبابية الذي يخيم على القضية الثورية الفلسطينية ، ذلك الواقع الذي لم يقم بعد بوضع الماضي بايجابياته وسلبياته في اطاره النقدي الصحيح من جهة ولم يبلور بالتالي تصور خط السير الصحيح بوجهيه العسكري والسياسي الذي سيقود المسيرة الثورية في السنوات القليلة القادمة ، من جهة اخرى .

لهذا فاني سأحاول محاولة متواضعة القاء الاضواء على المراحل الحاسمة التي مرت بها (فتح) سواء بحياتها الداخلية او الخارجية . (ففتح) هي الثورة الفلسطينية ، والكلام عن حياتها الداخلية او الخارجية يعني الكلام عن حياة الثورة الفلسطينية . فتاريخ حياة (فتح) هو تاريخ الثورة الفلسطينية الحديثة ، وتاريخ الثورة هو في التحليل النهائي تاريخ حركة (فتح) .

اني اذ اتجرأ اليوم على الخوض في موضوع لم يصبح كله بعد للتاريخ ، فاني افعل ذلك حفاظا على اطول ثورة مسلحة خاضها الشعب الفلسطيني في هذا القرن حتى الان . واوجه كلامي بالذات الى الفتحويين ، سواء أولئك الذين عندهم الحس الفتحوي، والذين سيستمرون رافعين راية الثورة الشعبية المسلحة مهما طال الطريق وتعقد ، او اولئك الذين عرفوا الثورة في أيام مدها فقط ، وعندما بدأ الانحسار ــ الظاهرة التي لا تتفرد بها الثورة الفلسطينية ــ بدأوا يحاولون اعدام الماضي ، ويحاولون تحويل

الغموض في كل قضية ، غير الخطوط العامة لاسلوب التفكير ولمعالم الطريق قضية متعمدة . واخذت (فتح) تزيل الغموض شيئا فشيئا بعد انطلاقتها المسلحة عام ١٩٦٥ وذلك من خلال الرد بالوقت والقدر المناسبين لما يثار ويطرح . ولذلك فان أدبيات (فتح) التي تلت ولادتها المسلحة يمكن أن يستنبط منها فكر (فتح) ومنهج عملها .

من يقرأ ما صدر عن (فتح) في « بيان التوقيت » ، و« فتح تبدأ النقاش » ، و« نضالنا القطري » ، و« الثورة والمضمون الاجتماعي » ، مع « كيف تتفجر الثورة المسلحة » و« مذكرات (فتح) لمؤتمرات القمة العربية » ، سوف يلاحظ بدون لبس او غموض الحسمية والرفض الكامل للعقل العربي الرسمي وشعاراته المرحلية المطروحة للتحرير .

يبرز مستوى الوضوح الفتحوي ، النقيض للتفكير العربي من خلال منظومة الشعارات التي طرحتها منذ بداية نشأتها . فشعار الثورة الشعبية المسلحة طريق تحرير فلسطين نقيض ورفض لمفهوم الحرب الخاطفة والنظامية ... وشعار تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية نقيض ورفض لمفهوم التوالي الزمني الهادف الى تأجيل معركة الاسترداد بانتظار الوحدة العربية اولا ... وشعار غير خاضعة ولا تابعة ولا موجهة رفض لمحاولة الانظمة العربية فرض وصايتها وولاية أمرها على الفلسطينيين .

ان الحسمية ليست هي الصفة الرئيسية الوحيدة المميزة لفكر (فتح) ، عند ولادتها ، وانما الارتباط بالواقع ايضا . والذي يتجلى بأوضح مظاهره في الاصرار على الممارسة ، الذي كان يطغى على التحليل ، بحيث تشكل الممارسة طبيعة (فتح) الاولى والتحليل طبيعتها الثانية .

هذه الخاصية (الممارسة) يلاحظها ببساطة من يتعمق بنظرية العمل الفتحوية ، حيث تتسم بالالتصاق بالواقع والاعداد لمواجهة الواقع من خلال رفضه كأمر واقع . (فتح) في مرحلة ولادتها ونشأتها كانت ترفض الصوفية الفكرية ذات الالتفاتات التأملية لوقائع أمور متخيلة .

ما هي نظرية العمل الفتحوية ؟

اصبح من الضروري وضع نظرية (فتح) في العمل مجددا على الورق وذلك بعد الانعطاف الفجائي الذي قاد الى الانحسار المؤلم خلال العام الماضي (١٩٧٠) . اذ ان سؤالا يطرح نفسه علينا بالحاح : ما اذا كانت نتائج الممارسة نتيجة طبيعية للنظرية ام انها كانت على حساب النظرية التي لم يلتزم بها ؟ ان الوصول الى نتيجة بالنسبة لهذه النقطة بالذات أمر مهم لمعرفة مستقبل خط سير (فتح) وبالتالي مستقبل ديمومة (فتح) كلها كحركة ثورية .

المواطن العربي يعيش على ارضه غريبا . وحالة الاغتراب السياسي التي كانت وما زالت تسيطر على الامة العربية تعتبر الخطر الحقيقي الذي لا بد لنا من أن نزيله ونقضي عليه . لقد قامت في المنطقة العربية احزاب وحركات عربية عديدة حاولت تحقيق أهداف الامة العربية وخلق الانسان العربي الجديد اللامغترب سياسيا واقتصاديا ، ولكنها فشلت جميعا . ان تلك المؤسسات سواء الاحزاب القومية او الحركة الناصرية ، كانت ثورية من حيث آمالها واخلاصها ، ولكنها نسيت ان تخطي الاوضاع التي أوجدها الاستعمار والصهيونية من تخلف وتجزئة ، والتي خلقت مناخ الاغتراب ، لا يمكن بدون تعبئة الجماهير ، وبدون ايصالها الى مرحلة استعمال العنف الثوري بكل أشكاله لفرض ظروف التغيير ، بينما سارعت القوى الوطنية الى تسلم السلطة عن طريق الانقلاب العسكري قاطعة بذلك الطريق على نشوء التنظيمات الشعبية القادرة على أن تكون الواسطة بين السلطة والجماهير ، والنتيجة الحتمية لذلك مواجهة التناقضات الجديدة

داخليا وخارجيا مواجهة عاجزة عن الوفاء بوعودها التي قطعتها على نفسها قبل تسلمها السلطة سواء في الامور الداخلية او في القضايا القومية كالوحدة وتحرير فلسطين . ولذلك تحولت تلك القوى الى اداة قمع قسري للشعب تمنع عنه القسط الضروري من الحرية السياسية ، حتى انها أصبحت أحيانا تذكره بأولئك الذين ناضل ضدهم ، ولم يبق أمام المواطن العربي في ظل القهر والاضطهاد وضعف الحركة الجماهيرية الا الانسحاب من ميدان النشاط او الانعزال والاهتمام بأموره المعيشية الضيقة ، مشكلا جزيرة قائمة بنفسها ، الابعاد الجغرافية بينه وبين الاخرين معدومة بينما الابعاد النفسية شاسعة(١) وهذا هو السبب الذي جعل الاربعين مليون عربي المحيطين باسرائيل رقما (كتلة) لا دور حقيقي لهم فيما يجري حولهم من أحداث ، وموقفهم من سير الامور يتحول الى موقف لا يتعدى كونه تأمليا صرفا تجاه سير الاحداث(٢)، فهو متفرج قادر على البكاء عند الهزائم القومية ، وعلى التصفيق عند الانتصار . والنتيجة الحتمية لهذا الوضع الشعبي هو تحول المجتمع الى مجتمع اللاقدرة واللاانتماء الذي تغيب فيه قواه الفاعلة فيقف عاجزا أمام الهزيمة وتآمر الاستعمار ، وحدوث ذلك هو اكمال عوارض المرض .

ان للنضال دائما هدفا وأداة ، وغاية النضال هو حل المشاكل السياسية والقومية ببعث طاقات العطاء والكفاح عند الشعب المستعمر او شبه المستعمر . وأداته هي الشعب الواعي والمنظم والمسلح . ان حضور الشعب (الواعي والمنظم والمسلح) ، ومشاركته ككل — بكل ما في كلمة مشاركة من محتوى — في خوض النضال هو وحده الكفيل بتنمية حركة الجماهير ، وبالتالي انجاز المهام القومية الصعبة . ولكن كيف نصل الى ذلك ؟ الماء لا يعطي كهرباء الا اذا كان خلف السد . وكذلك الجماهير لا بد من وضعها في وضع تكون فيه قادرة على العطاء . وهذا لا يتأتى الا من خلال ممارسة ما يحدث في النهاية تغييرا جذريا . وفي ظروف الامة العربية ، التي تواجه يوميا خطر الوجود الاسرائيلي ، كأداة معدة لضرب أي نهوض في الحركة الوطنية العربية ، فان تركيز الانظار حول هذا الخطر ، والسعي لحله والهيمنة عليه ، باعتباره العائق « الفعلي » الذي أعدته القوى الامبريالية لتتمكن من الاستمرار في فرض نفوذها على المنطقة العربية ، يشكل القضية المصيرية ، التي يتوقف على حلها ، انجاز كثير من المهمات الجذرية التي تبدو الان بعيدة المنال ، كما يشكل القضية المصيرية القادرة على حشد أكبر طاقات جماهيرية عربية باتجاهها ، كما اثبتت ذلك الاحداث نفسها ، على مدى فترة زمنية طويلة . فاذا أضفنا الى ذلك ان تعميق النضال القطري ، هو المدخل لتوفير نضال قومي متماسك ، لان النضال القومي يبقى شعارا عائما ، وملاذا للهرب ، اذا لم يأت كنتيجة لنمو النضال القطري ، اذا أضفنا ذلك ، نجد انفسنا أمام المبدأ الذي يشكل دعامة اساسية من الدعائم التي تقوم عليها نظرية العمل الفتحوي . والادبيات الفتحوية مليئة بتحليلات تشير وتدافع فيها بكل وضوح عن ضرورة الالتزام بالنضال القطري القائم على وحدة وطنية لجميع القوى الثورية العاملة في القطر من جهة ، والمتداخل مع طلائع النضالات القطرية الاخرى... « ان النضال لتحقيق الاهداف القومية لا يتم الا من خلال الواقع القطري ، ان ممارسة الانسان العربي لنضاله الثوري من خلال قطره الذي يعيش فيه يزيده عطاء وقدرة ونموا في الوعي(٣).. ان على النضال القطري ان يلتزم بوعي بحدود « الاطار التحرري » بمعنى ان يحرر القطر نفسه من العوائق التي تحول بينه وبين الالتقاء مع الاقطار الاخرى لتحقيق الوحدة والعدالة

---

١ — حسب تعبير ملفيل في رواية موبى ديك .

٢ — لوكاش ، في التنظيم الثوري ، ص ٦١ ، ترجمة جورج طرابيشي .

٣ — دراسات وتجارب ثورية رقم ١ ، مقال بعنوان نضالنا القطري ، ص ٤٧ .

الاجتماعية . فان كان القطر مستعمرا لا بد ان يخوض قبل كل شيء معركة التحرر من الاستعمار ، وان كان القطر مستقلا فلا بد من ان يخوض معركة الخلاص من الرجعية. وهذا يشترط في البداية الوحدة الوطنية لجميع القوى الثورية العاملة في القطر كشرط أساسي لسلامة النضال القطري ... ان مهمة النضال القطري محددة باطار الحرية لان الوحدة والعدالة الاجتماعية بمفهومهما الثوري الشامل لا تتحققان على اساس قطري ولا بد من أن يكون الوطن العربي اطارهما الواسع .. »(١).

ان تركيز واصرار (فتح) على النضال القطري مبعثه قناعة (فتح) بانه الطريق للحصول على افضل محصلة للنتائج النضالية ، انطلاقا من الواقع الموضوعي لاختلاف ظروف كل قطر عربي بسبب الخصائص التي يتميز بها التركيب السياسي والاجتماعي لكل قطر . تلك الخصائص التي قادت اليها التجزئة والتي تجعل من غير الممكن رسم مخطط واحد لكل الاقطار او تعميم الاساليب . فلكل قطر خصوصيته التي يفرضها مستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي له . ان القضية التي وضعت (فتح) يدها عليها وادركت ضرورتها بالنسبة لدور الشعب الفلسطيني، هي المعنى الخاص والفعالية الثورية الكامنة في النضال القطري الفلسطيني والذي تفرض صفاته الخصوصية مباشرة، ابعادا قومية له ، وليس ابعادا جغرافية فقط . ان الحقيقة القائلة بأن فلسطين بعد قومي وليست بعدا جغرافيا هي محور وجوهر نظرية العمل الفتحوية . وهي مسلمة فتحوية تعتمد على مبررات ومنطلقات كان للحوار الطويل مع الرفاق الصينيين منذ عام ١٩٦٣ فضل كبير في بلورتها المبكرة والتي ابرزت الاحداث ، من خلال تجربة السنوات الاربع الاخيرة عمقها ، وتبناها كثير من الكتاب والمحللين في الساحة العربية .

ان ماوتسي تونغ قد حلل التناقضات من خلال مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية معبرا عن أن هنالك تناقضا رئيسيا بين الامة والامبريالية وتناقضا رئيسيا ثانيا بين الشعب والاقطاعية . وعندما نحاول تطبيق هذا على الوطن العربي بشكل عام ، فانا نستطيع القول بأن التناقض الاول بين الامة (الاقطار العربية) والامبريالية تناقض قومي ميدانه الرئيسي هو الساحة الفلسطينية ، ودور الفلسطينيين فيه تعميق نضالهم القطري . اما آفاق النضال القومية فهي مهمة الثوريين العرب ، الذين يشكل نضالنا القطري بالضرورة جزءا عضويا منهم .

واذا كان الخطأ لا يظهر الا اذا جسد بالمخطىء، والصواب لا يظهر الا اذا جسد بالمصيب. كذلك فان القول بأن التناقض الرئيسي هو بين الامة والامبريالية لا يمكن لنا أن نتحسس معناه وابعاده الا اذا جسدناه بمواجهة اداة قمعه الاساسية ، اسرائيل .

الاستعمار بدأ يدرك مع مطلع القرن العشرين انه يعيش آخر مراحله . واستمرار السيطرة المباشرة من خلال جنود الاستعمار ودباباته سوف يصبح أمرا غاية في الصعوبة . الا انه نظرا لاهمية الوطن العربي استراتيجيا للاستعمار ، فانه انسحب من المنطقة واقام استعمارا استيطانيا على الارض الفلسطينية من اجل الابقاء على مصالحه وتواجدها .

ان استمرار وجود اسرائيل في فلسطين يعني استمرار الوجود الامبريالي في كل الارض العربية(٢). فمن هذا الاطار يجب فهم الوجود الصهيوني والادراك التام : ان التركيب الفكري والمادي للصهيونية ونشأتها الفاشستية بالاضافة الى المهمة الاساسية، تتضامن للحفاظ على تواجد مصالح الامبريالية ، ان تلك الخواص جميعها تجعل اسرائيل (كأبرز

---

١ — **المصدر السابق .**

٢ — منيف الرزاز ، **السبيل الى تحرير فلسطين** ، ص ١٨ .

التحليل حددت المبادىء والاهداف والاسلوب(١). رافضة الوجود الصهيوني والوضع الجديد لشعب فلسطين . والاسلوب العربي لمواجهة الوجود الصهيوني ونتائجه . رافضة ذلك كله فكرا . ومنذ عام ١٩٦٥ ممارسة بالبندقية . ونظرا لايمان (فتح) بالنضال القطري فقناعتها بأن هيكل الثورة العربية الواحدة هو محصلة لقاءات الحركات الوطنية في كل الاقطار العربية داخل اطار واحد ، واعتبار نفسها ليست البديلة للحركة الوطنية الاردنية وانما ترعاها وتشكل معها ، بحكم الظروف الملائمة ، المحور الاساسي للقاء الحركات الوطنية القطرية الاخرى . لهذه الاعتبارات كلها لا تجد سوى شعار واحد يتعلق بالارض طرحته (فتح) وهو «الارض لمن يحررها».

صحيح ان (فتح) كانت منذ البداية مدركة ان الثورة الفلسطينية هي ثورة العرب من اجل فلسطين . الا انها داخل هذا الاطار من فهمها ، اعتبرت نفسها منذ البداية ممثلة للحركة الوطنية الفلسطينية فقط ، صاحبة الدور الاساسي ضمن اطار وحدة الحركات الوطنية العربية ، وبالتالي فهي ممثلة للفلسطينيين .

الحركة الوطنية الفلسطينية في اطارها القطري تمثل مرحلة تحرر شعب فقد كيانه الاجتماعي والسياسي ولم تعد عنده مشكلة فلاحين وعمال، لان فلاحيه وعماله لم يعودوا جزءا من الهرم الطبقي الذي تحطم بتشردهم . هذه الظاهرة ، يلقي كثيرا من الاضواء عليها اسلوب عمل الاتحادات النقابية العمالية والطلابية الفلسطينية ، والتي تجد نفسها عاجزة عن اعطاء الاولوية للمصالح النقابية لمن تمثلهم ، ليس بسبب العجز الذاتي ، وانما بسبب الواقع الموضوعي الذي يجعل من النقابات تنظيمات ذات مهام تعبوية سياسية بالدرجة الاولى .

ان الوصول الى مرحلة الاراضي المحررة كان يعتبر منذ البداية حلما جميلا بعيد المنال يتهم كل من يتحدث فيه بمزاولة احلام اليقظة ؛ وكان معروفا باستمرار في البداية ان (فتح) حذفت هذا الحلم من ذاكرتها مؤقتا .

الجماهير لا تؤمن الا بالعمل . وكل حركة او منظمة تفقد عنصر القدرة على وضع نظريتها موضع الممارسة والتطبيق تفقد الاتصال بالجماهير وستجد نفسها مجرد قوة ثورية لفظية تجتر الشعارات والمبادىء كمادة الهائية ، وتعجز بالتالي عن تكوين تجربة نضالية خاصة بها وتبقى ثورة في البرج العاجي ... انطلاقا من ادراك هذه الحقيقة حرصت (فتح) حرصا كبيرا على تأمين المناخ والظروف الملائمة لولادتها . واثبتت الايام أن فتح الى جانب وضوح هدفها التاريخي — تحرير فلسطين — وما يحمله من فعالية ثورية تؤهله ليكون محورا للثورة العربية ، فانها قد وعت طبيعة الخطوات العملية والتكتيكية الضرورية لتأمين ولادة ثورة غير ميتة بحيث لا تكون الرصاصات الاولى رصاصات يتيمة. وتمثل هذا الوعي باختيار سوريا ، الوطن العريق التقليدي للنضال القومي العربي بالاضافة الى موقعها الاستراتيجي ، قاعدة للانطلاق . ومن اجل ضمان النجاح في القدرة على افشال عملية الاستيعاب ، وعلى الحفاظ على حرية التصرف ، تلك المعركة السياسية التي كان واضحا منذ البداية انها ستكون ضارية بمجرد الوقوف على الارض وستزداد ضراوة كلما رسخت اقدام الثورة الجديدة ، فقد رفعت — فتح — منذ البداية شعارين اساسيين يجعلان — فتح — قادرة على ممارسة الصمت الواقي وتبريره ، والى عدم دفع الانظمة العربية الى الدخول في معركة جدية تشعر فيها الانظمة انها تخوض معركة هي فيها « قاتل او مقتول » . هذان الشعاران كانا شعار عدم التدخل في الشؤون

---

١ — راجع في نهاية المقال : الاساليب والاهداف والمبادىء لحركة (فتح) .

المحلية للدول العربية (وليس الداخلية كما حرف الشعار) وشعار الجبهة العربية المساندة .

اعلنت (فتح) بملء صوتها وحتى يسمعها الجميع انها لن تتدخل في الشؤون المحلية لاي دولة عربية . ان هذا الشعار « يستهدف التفريق بين النظام والشعب . النظام الذي تمثله الدول والشعب الذي نحن جزء منه . نحن لا نتدخل بشؤون الانظمة بمعنى اننا لا نسعى الى الحكم ولا نزيد ان نصل اليه ولا نتآمر على حكم عربي لصالح حكم اية فئة أو جماعة ولكننا نعيش كل احداث الامة العربية بقلوبنا وافئدتنا ومستعدون ان نناضل وسنناضل من أجل انتصار هذه ليتحقق أملها الكبير ... »(١). وطرحت (فتح) شعار الجبهة المساندة رافضة كلمة المشاركة عنقصد، ولهجته غير المعادية، من الغموض بحيث لا يثير اي اعتراض .. (الجبهة العربية المساندة في راي حركة فتح هي الامة العربية كلها ... لان هنالك تداخلا فعليا وواقعيا بين القضية الفلسطينية والقضية العربية ، بل هي في الواقع قضية واحدة ... يجب ان تعرف الامة العربية انها مشاركة للشعب الفلسطيني بالمال والسلاح والرجال في حربه ضد الاحتلال الصهيوني ... ان المرحلة القادمة سوف تتسع لاخواننا العرب ليقفوا مع اخوانهم الفلسطينيين على جبهة القتال داخل أرضنا المحتلة ...)(٢).

صحيح ان (فتح) لم تكن هي خالقة فكرة الكفاح المسلح ضد اسرائيل ، بيد ان (فتح) كانت أول من جعل هذه الفكرة المجردة مهمة عملية وشعبية ، والسبب ليس هو امتلاك (فتح) لسر التحليل الصحيح وانما بسبب قدرتها على طرح منظومة من الشعارات تشكل بمجموعها منهج عمل يضمن الا تضع الثورة الناشئة نفسها في مأزق لا مخرج منه . والشعاران المذكوران هما شعاران استراتيجيان خلقا لفتح مجالات تكتيكية واسعة . فالطوباويون طوباويون كما يقول لوكاش ، ليس بسبب الهدف الذي يضعونه نصب اعينهم وانما بسبب عجزهم عن ادراك الخطوات اللازمة لتحقيقه ، هذه الخطوات التي تكمن في ماهية الهدف بالذات . ان هذه الحقيقة هي التي تفسر لنا لماذا استطاعت (فتح) بتواضع ان تخوض تجربتها الجماهيرية الخاصة بها بينما بقي كثيرون ممن يرفعون راية الثورية اللفظية بلا جماهير . فالفرق بين الثوري القادر والعاجز لا يكمن في فهم دروس الماضي واستنتاج العبر منها وانما بالقدرة على الا يكون طوباويا ، وذلك بوضع اهداف المستقبل موضع التنفيذ . وهذا يتطلب تركيب معادلة معينة لا تتنازل عن اتجاه الضربة الرئيسية بينما تتغاضى عن عمد عن قضايا اذا كانت ضرورية لحماية اتجاه الا انها لا تتيح توجيه الجهود باتجاه الضربة الرئيسية . وهذا هو دور شعار عدم التدخل والجبهة المساندة في معادلة الثورة الشعبية المسلحة الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .

الثورة الفلسطينية ، سيكتب التاريخ في يوم من الايام تجربتها تحت باب ثورة المستحيل . الفييتناميون عندما يعددون مصاعب ثورتهم يتحدثون عن صغر مساحة الارض ، فكيف بثورة لا تقف على الارض اساسا .

لقد ولدت الثورة الفلسطينية رافعة شعار النضال القطري غير مدعية بأنها ستحمل اعباء الامة العربية كلها على كتفيها، وان كان نضالها القطري مدخل اساسي لحل مشاكل الامة العربية . ولدت وهي تحمل معها ازمة القاعدة الآمنة والمنطلق ، لانه لم يكن بامكانها الا ان تولد من الخارج في وسط عقلية عربية متخلفة شعارها (تكفيني صنعاء) .

---

١ ــ دراسات وتجارب ثورية ، رقم ١٢ ، ص ٤ ــ ٥ .

٢ ــ دراسات وتجارب ثورية ، رقم ١٢ ، ص ١٠ــ١١ .

هذا الواقع يفرض على كل منهج عمل ان يتبنى في اجواء الولادة تكتيكات صحيحة تضمن الاستفادة من الحد الاقصى من القوى الثورية الفاعلة لصالح الثورة وتفكيك الحد الاقصى من القوى العدوانية المضادة التي يمكن تفكيكها ، وتحييد الحد الاقصى من القوى التي لا يمكن دفعها الى جانب الثورة ، ولكن يمكن الحيلولة بينها وبين الوقوف في صف القوى العدوانية .

ان التمرد الفتحوي على الواقع العربي الفاسد والرفض بالممارسة المسلحة للاستراتيجية العربية عام ١٩٦٥ فرضا على (فتح) العمل السري من جهــة ، وضرورة استقطاب الجماهير من خلال مخاطبة حدسها المباشر من جهة أخرى . ولقد سلكت (فتح) لذلك طريق منع الدوريات الاولى والمتجهة من الضفة الغربية او الشرقية الى الارض المحتلة من الاصطدام بالجيش الاردني حتى وان اطلقت النار عليهم من قبل الجيش . وبالرغم من ان أول شهيد للثورة الفلسطينية — أحمد موسى — قد قتل على يدي الجيش الاردني الا انها اضافت الى تلك الصورة التي هزت يومها الضمير العربي ، أضافت الــى ذلك صراخها بانها لا تنوي التدخل في الشؤون المحلية للدول العربية ، لتجسد امام الجماهير ان من يضطهدونا يقفون في صف اسرائيل وضد التحرير والجماهير وهذا أمر ما كانت (فتح) قادرة على تحقيقه لو انها اضفت على نفسها منذ البداية صفة الاله أطلس الذي يحمل على ظهره مستقبل الامة العربية والمدافع عن كل المظلومين والمضطهدين في العالم .

كان طرح منظومة الشعارات (الفتحوية) بمثابة التجاوز الفكري للاستراتيجية العربية (الناصرية او الحزبية القومية) في الساحة الفلسطينية ، الساحة القائدة لكل الساحات الاخرى مهما بلغت قيمتها واهميتها . الا ان التجاوز الكبير الذي حققته (فتح) هو قدرتها على تجاوز ذاتها داخليا ، عندما تمكنت من نقل امكانياتها الذاتية المادية والفكرية من مرحلة الامكان الى مرحلة الفعل ، مرحلة البدء بتفجير الثورة . مرحلة الانتقال من النظرية الى التطبيق . ذلك الانتقال الذي بقي راسمال الامة العربية عندما تحطمت كل بنادق الانظمة العربية أمام البندقية الاسرائيلية الا بنادقها بقيت صامدة حتى تآمر الصهيونيون العرب عليها فتقدم النظام الاردني ليلعب دور الحجاج ومن ورائه الخلفاء .

لقد كانت ولادة الثورة الفلسطينية عملا اذهل كــل المناضلين العرب حتى ان احــد المفكرين في لبنان كتب يقول (اليس من المفاجآت الحرية بالانتباه ، ان يخرج عمل تاريخي ضخم كالعمل الفدائي . بعد كل هذه المرحلة التي قطعها العرب في السير تحت رايات الثورة والاشتراكية من أوساط غير يسارية في الاصل . .)(١) .

هذا هو الاطار النظري العام لحركة فتح . ولكن ترى . . . كيف جرى التطبيق ؟ .

١ — منح الصلح ، مقابلة في مجلة **مواقف** ، العدد ٤ ، ص ١٥٥ .

المقاومة الفلسطينية في دراستين علميتين

— **الوثائق الاساسية لحركة المقاومة الفلسطينية** . بقلم ليلى قاضي
(بالانجليزية . ١٩٧٠ . ٨ ل.ل.)

— **دليل حركة المقاومة الفلسطينية** . بقلم غازي خورشيد
(بالعربية . ١٩٧١ . ٨ ل.ل.)

من منشورات مركز الابحاث التابع لــ م. ت. ف. (بيروت)

خواطر في العنف الفلسطيني

الدكتور حسام الخطيب

أثارت حادثة اغتيال رئيس الوزراء الاردني وصفي التل (القاهرة ١٩٧١/١١/٢٨) من جديد مشكلة الوسيلة والغاية ، مشكلة العنف المشروع وغير المشروع . وحتى لا يقع التباس بين المفهوم الحقوقي الاصطلاحي لهذه الكلمة (المشروع) وبين معناها العام فانه لا بد من التأكيد باديء ذي بدء على أن الكلمة مستعملة هنا بالمعنى الاعم : اي المقبول عرفا عند الناس . فمثلا لو أن رجلا كوصفي التل لقي مصرعه في ساحة قتال أو في صراع مكشوف وجها لوجه لكان رد فعل الرأي العام مختلفا بنسبة كبيرة عن رد الفعل المتحفظ الذي ظهر في الصحافة العربية ورد الفعل المشوب بالحيرة الذي تجلى عند رجل الشارع (هل يظهر تحبيذه ام يضبط مشاعره ؟) . ومن الناحية المنطقية الخالصة يمكن لكل من يقرأ سجل حياة الرجل كما نشر في الصحافة العربية ان يستنتج طبيعة رد الفعل الذي يتوقع ان يثيره لدى الراي العام اختفاؤه عن مسرح الاحداث ، ولكن مع ذلك قرأنا في تلك الصحف أحيانا استنكارا مكشوفا وأحيانا مبطنا لعملية الاغتيال .

ان نظرة فاحصة لجميع التعليقات التي استنكرت العملية بشكل او بآخر تفيد بأن الاستنكار كله انصب على **الاسلوب** لا على النتيجة ، وهذا بالضبط ما يدفعنا الى طرح الموضوع من هذه الزاوية : العنف المشروع والعنف غير المشروع وامتداداتهما . وحتى لا يبدو الكلام اقرب الى التجريد فلنسارع الى القول : ان التعليقات التي استنكرت الحادثة بالذات اوردت حججا مختلفة يمكن تلخيصها بالاتجاهات التالية : ١) رفض اسلوب الاغتيال السياسي من حيث المبدأ ، ويتفاوت اصحاب هذه النظرة بين التصلب العقائدي (الدوغمائية) وبين التذبذب باتجاه رفض الحادثة على اساس نتائجها وعواقبها. ٢) لوم الشباب الاربعة لاستغلالهم كرم الضيافة في قطر عربي يعد المركز الاساسي للنشاط العربي العام ويفترض فيه أن يؤمن حرية الحركة والراي (والوجود ايضا) لكل من يفد اليه ولا سيما بمهمة رسمية في ظل الجامعة العربية . ٣) انتقاد الحادث من وجهة نظر ذرائعية (براغماتية) على اعتبار ان هذا الحادث يؤدي الى تعقيدات كثيرة وقد يعود بالضرر على الفلسطينيين المقيمين بالاردن ، بل اعتبره بعضهم — من ناحية النتيجة — نسفا للجهود التي بذلت في مجلس الدفاع لرأب الصدع العربي ودفعه الى مواجهة العدو بشكل موحد او شبه موحد .

وبالطبع لا يمكن ان تكتمل الصورة الا باستيعاب الدوافع التي تذرع بها الشبان انفسهم، وهناك من الدلائل ما يشير الى انهم صادقون ، فسذاجة اعترافاتهم واسلوبهم غير المحتاط في تقديم انفسهم للشرطة وللمحققين وللراي العام يوحيان بنسبة كبيرة من العفوية والصدق في موقفهم .

ماذا يقول هؤلاء الشبان ؟

دونما تدقيق في التفصيلات التي قد يكون فيها تزيد او تحريف يعتبر الشبان الفلسطينيون

وصفي التل مسؤولا مباشرا عن أحداث أيلول الدامية وينسبون اليه أوامر بالابــادة الجماعية للفلسطينيين ، وليس من المستبعد كما يقول احد هؤلاء الشبان ان بعضا من اقرب أقربائه كأمه او اخته او ابيه تعرض لعملية سحق فظيعة من الدبابات امام عينيه ، فاذا أضفنا الى ذلك ان الشبان الاربعة نسبوا الى وصفي التل أنه هو الذي أصدر الامر بقتل المناضل (أبو علي أياد) ، رئيس فرقتهم ، تبين لنا ان هناك من الاسباب النفسية والعاطفية ما يكفي لدفع هؤلاء الشبان ــ سواء أكان تحليلهم لدور التل صحيحا تماما أم تقريبيا ــ الى السعي وراء الثار بأية طريقة ودون التفكير بالعواقب السياسيـة بالنسبة للقضية التي يحاربون من أجلها او بالعواقب الفردية بالنسبة لمصيرهم (ما داموا مجرمين في نظر القانون) .

ولكن هل تشكل الاسباب العاطفية والسايكلوجية غطاء شرعيا كافيا لمثل هذا العمل ؟ قطعا لا . ولسبب بسيط هو ان هذه الاسباب غير خاضعة لمقاييس عامة ، وهي ذات صفة فردية انفعالية غير متبصرة وغير متوازنة . وربما غير منسجمة دائما مع الهدف المقصود منها . ولكن هذا لا ينفي انها انسانية اي ناتجة عن **دافع انساني مفهوم تماما** ، وكذلك **متوقعة** اي ان الانسان يجب ان لا يستبعد حدوثها لان العالم ، بكل بساطة ، ليس عقلا . والمشكلة هنا تختلف تماما عن مشكلة القتل السياسي المدبر من قبل هيئة او منظمة والذي يكون فيه الفرد مجرد منفذ لاوامر اعلى منه قد يفهمها ويقدرها ولكنه لا يستطيع ان يدرك بالضبط لماذا يختار هو بالذات ولماذا يطلب منه بالذات ان يكون اليد القذرة والضحية في الوقت نفسه (الايدي القذرة لسارتر) . اننا هنا ازاء وضع انساني (حار) لا (بارد) ، ازاء وضع اشبه بأوضاع الثأر المباشر عند اجدادنا العرب ، وضع نابع من الداخل لا مفروض من الخارج (التنظيم) ، وضع ينتظر ان تكون له ذيول وامتدادات لان الظروف والملابسات الحادة التي أوجدته قائمة ومستمرة الى حين .

هنا بالضبط تكمن الخطورة وهنا بالضبط نصل الى بيت القصيد : امتدادات العنف الفلسطيني .

ان التسلسل المنطقي للكلام يقتضي البدء بشرح المقصود من التركيز على هذه النقطة ولكن هناك خواطر تستبق هذا الشرح وتضطر المرء الى اعطائها الاولوية . قبل الانطلاقة الاولى (١٩٦٥) للثورة الفلسطينية بأمد قصير قابل مندوب مجلة «فلسطيننا» أحد زعماء الثورة الجزائرية وتحدث معه حول التحسبات التي تدور في أذهان القادة الفلسطينيين بالنسبة للانطلاقة ولا سيما خوفهم من عواقب تحرك اسرائيلي استعماري انتقامي ضد الدول العربية للرد على التحرك الفلسطيني ، قال الزعيم الراحل : « والله لو كان العالم برميلا من البارود لحق لكم ان تفجروه » .

وفي جلسات شخصية لكاتب هذه السطور مع كثير مـن الاوروبيين المهتمين بالقضية الفلسطينية او ــ على الاصح ــ بما يجري في الشرق الاوسط أبدى معظمهم استغرابه (بعضهم باعجاب وبعضهم باستنكار) لغياب العنف الفلسطيني التلقائي مع وجود الاسباب النفسية والعاطفية الكافية لتوقع مثل هذا العنف .

لنعترف اولا بصحة هذه الملاحظة ان ما ظهر من العنف غير المنظم عند الفلسطينيين اقل بكثير مما يتوقع من شعب نام مر بظروف قاسيـة جدا وتجددت نكبتـه باستمرار خلال ربع قرن وتعرض لالوان شتى من الاهانة والذل على يد الاعداء وكذلك على يد الاهل وذوي القربى في حالات كثيرة . وبالنسبة لموضوع الاغتيال بالـذات انحصرت الحالات ذات الطابع الوطني بحوادث معدودة جدا بعد سنة ١٩٤٨ : اغتيال الملك

عبدالله في القدس سنة ١٩٥١ . اغتيال هزاع المجالي سنة ١٩٦٠ ، اغتيال وصفي التل سنة ١٩٧١ ، تضاف الى ذلك بعض المحاولات غير الناجحة لاغتيال افراد من الاسرة الهاشمية . أما فيما عدا ذلك فيبدو الفلسطينيون شعبا عاقلا ومنضبطا وصبورا، اذ قلما سمعنا بقيام مظاهرات انفعالية في هذه المنطقة العربية او تلك وقلما سمعنا بردود فعل عاطفية جماعية او فردية ضد وضع اضطهادي ما . بل ان حوادث الاغتيال نفسها تشير الى اتجاه معين : الاسرة الهاشمية وحاشيتها ، اي بمعنى من المعاني : المنافس الاخر على كيان فلسطين او المقتسم الاخر او طرف الاحتكاك المباشر في وجه التحرك الفلسطيني . وبتحديد ادق ظهر العنف الفلسطيني الداخلي مصمما وعنيدا في الحالات التي تضمنت خروجا واضحا على عناصر الموقف العربي او تحديا مباشرا للوجود السياسي الاجتماعي للشعب الفلسطيني .

هل نحن اذا ازاء ظاهرة خنوع وانحلال ام ازاء ظاهرة وعي وتبصر ؟ يدل تاريخ الشعب الفلسطيني انه عرف دائما عدوه وعرف دائما ضخامة عدوه ، ولم يكن ذلك نابعا على الدوام من وعي سياسي نام ولكن من وعي عام — ربما مبهم — بالمأزق الوجودي الذي هوى فيه الشعب الصغير طوال نصف القرن الماضي ابتداء من نهاية الحرب العالمية الاولى . وخلال هذه الفترة كان نضال هذا الشعب يبرز في شكل قمم من النضال المشترك (المشروع) : مرحلة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ . مرحلة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، مرحلة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ . مرحلة ١٩٦٥ — . وقد رافق هذه التحركات العنيفة المشتركة حوادث من الاغتيالات الداخلية غير مستندة الى معيار واضح واهداف متماسكة ، وفيما عدا ذلك كان الشعب الفلسطيني دائما اميل الى تجنب ردود الفعل الانفجارية او حوادث العنف غير الجماعي وغير الهادف . وان عدم توصل هذا الشعب الى نتائج ملموسة حتى اليوم لا ينهض حجة ضد هذه الحقيقة ، ذلك ان التحدي كان دائما اكبر من امكانياته .

ولكن يجب ان لا يتوقع المرء استمرار هذا الضبط الى ما لا نهاية . ومن المستبعد ان تقف المسالة عند هذا الحد لان الظروف السياسية الخاصة للشعب الفلسطيني والظروف العامة للقضية تسير في خط بياني منحدر باستمرار . وان حادثة اغتيال وصفي التل حين توضع ضمن اطارها العام تعتبر مؤشرا لما يمكن ان ينجم عن هذه الظروف السيئة من ردود فعل انفجارية .

ولا يفهمن احد من هذا الكلام انه يتضمن محاولة لتسويغ الحادثة بحد ذاتها او المرافعة لصالح مرتكبيها . انه محاولة لفهم اصح لطبيعة الموقف . وان هذه المحاولة مطلوبة بوجه خاص من اصحاب الحل والربط في الوطن العربي والا فان الوضع سيتفاقم ويتعقد وقد يتحول الى نهاية فاجعة .

وبوجه عام يمكن تلخيص عناصر الوضع على النحو التالي :

اولا : ان الشعب الفلسطيني بعد الثورة يختلف من نواح كثيرة عن الشعب الفلسطيني قبل الثورة : **فمن الناحية النفسية** : كان الشعب صابرا يترقب ويدبر . اما الان فهو في مواجهة الواقع بكل مرارته وقسوته . كان قبل الثورة مستمرا في دفع ضريبة التخلي القهري وغير المقصود عن الارض ولكنه بعد الثورة حقق التبرئة المنشودة واصبح بامكانه ان يلقي اللوم على الاخرين . ولقد زرعت احداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ المرعبة جرحا بليغا في قلبه أعمق من جرح ١٩٤٨ . ليس لانه وقع تحت وطأة ظلم ذوي القربى فحسب بل لان كارثة ايلول حلت به وهو في حالة توقعات كبرى وتفتح وتحفز ووعي .

ومن الناحية السياسية : كان قرار الشعب الفلسطيني في منتصف الستينات ان يتولى بنفسه شق طريق المعركة تحولا تاريخيا كبيرا لا يمكن أن يتصور المرء امكان التراجع عنه ، وينتج عن ذلك ان التماس مع حكام الوطن العربي ولا سيما على النطاق الاردني الفلسطيني سيتركز حول هذه النقطة وقد تفوق حدته واعتباراته حدة المعركة المنتظرة مع العدو واعتباراتها لسبب بسيط هو اعتقاده ان المعركة نفسها غير ممكنة الوقوع على الشكل الجذري المطلوب قبل تسوية هذه المشكلة .

ومن الناحية العملية : اتصلت اجزاء الشعب المشتت بعضها ببعض وتلاقت وتفاهمت على موجة مشتركة بحيث اصبح يخفق بنبضة واحدة من شأنها ان تتحكم من الان فصاعدا بوضعه العام في الدول العربية المضيفة ، وربما دفعته الى التصرف من خلال المصلحة الفلسطينية المشتركة على نحو قد يخل بالوضع الاجتماعي والسياسي في أقطار عربية كثيرة .

ثانيا : من الضروري جدا ، لصالح الوضع الفلسطيني والوضع العربي في وقت واحد ، أن يستبعد العنف الرسمي كحل لمواجهة العنف الفلسطيني المتوقع . وتقول القاعدة التربوية ان كل ظاهرة تعالج على أساس تحليل مسبباتها . وباختصار يمكن القول ان العنف الفلسطيني ناتج عن الضغط السياسي وتضييق الخناق على الحركة الفدائية ابتداء من احداث أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ وما تبعها من اقفال الجانب الاكبر من الحدود العربية للمنطقة المحتلة في وجه الحركة الفدائية . وينتظر المرء ان يزداد العنف الفلسطيني اتجاها الى الداخل بما يتناسب طردا مع ازدياد الضغط . لقد تربى في ظل الثورة جيل فلسطيني جديد ثائر يختلف تماما في موقفه من العالم عن اللاجئين الفلسطينيين الذين استقبلتهم البلاد العربية بعد سنة ١٩٤٨ والذين كانوا يعانون من وطأة الصدمة بشكل جعلهم اكثر طواعية للوضع العربي العام . وان الجيل الفلسطيني الجديد جيل ثوري وعنفي بكل معنى الكلمة ، وهو غير مستعد لان يطيع احدا بما في ذلك قيادته المباشرة بعد أن مارس بنفسه حرارة الكفاح المسلح في الارض المحتلة او الكفاح السياسي على الساحتين العربية والعالمية . وان مواجهته بالعنف سوف تدفعه الى مواقف وتصرفات اكثر خطورة . وكل من يخطر له الشك في هذه القاعدة مطالب بأن يتفهم العلاقة الدياليكتيكية بين عنف الحاكم وعنف المحكوم في قطاع غزة (مع اختلاف التشبيه اختلافا هائلا بين بلد عربي واخر وعدم انطباقه ابدا على اقطار عربية معينة ولا سيما الاقطار المتوجهة بجد لخوض المعركة) . وتقول تجربة غزة ان عنف الحاكم يلقى الان جوابا واحدا من المحكوم وهو مزيد من العنف .

ثالثا : واذن فقد عرف الشعب الفلسطيني طريقه الى العنف بعد سلسلة من التجارب التاريخية المرة ، وهذا العنف حتما في مصلحة المعركة التي تخوضها الامة العربية ضد العدوان الصهيوني الامبريالي بل هو ورقة ذات اهمية مركزية في الصراع الذي تتصاعد حدته يوما بعد يوم . ويجب استغلاله وتوجيهه باتجاه المعركة وافساح المجال ليأخذ دوره الفعال والطليعي . ان دوافع العنف الفلسطيني انسانية وسياسية ومسوغة ضمن منطق المرحلة التاريخية ، ورد الفعل السليم تجاهه هو اعطاؤه الفرصة الكافية لكي يتبلور وينظم نفسه ويأخذ مجراه الطبيعي باتجاه العدو المحتل . واذا لم يتم خلق جو من الحرية للعمل الفلسطيني المسلح فان الامر سيؤدي الى نتائج وخيمة على المستويين العربي والفلسطيني . ويقول التاريخ ان الشعوب تصل في ظروف زمنية معينة الى مرحلة الانفجار نتيجة للضغوط التي تمارس عليها وتتخذ هذه المرحلة شكل احتكام كامل الى العنف يسوده جو من (روح الجماعات) تذوب فيه اعتبارات الخوف على المصير الفردي او الجماعي وتظهر فيه اندفاعات من مستوى غير مألوف في الظروف

العادية ، وقد يتاح لهذا العنف نوع من التنظيم والاساس الطبقي او القومي نيكون عند ذلك ثورة ويتخذ الاندفاع شكلا بطوليا ، وقد يتم هذا الاندفاع بشكل عفوي غير منظم وغير واضح الهدف وعند ذاك يتخذ طابع المغامرة الفردية او طابع الفتنة العامة .

ان مشكلة الشعب الفلسطيني اعقد من هذين النوعين فقد مارس هذا الشعب النوع المنظم من العنف وانتهى به الامر الى مجزرة — مأساة أفدح ما فيها انها لم تتم على يد العدو القومي المباشر ، وانها استهدفت منعه من ممارسة حقه المشروع في الكفاح المسلح ضد الغاصب المحتل ، والى ان يتبلور العنف في شكل جديد ادق تنظيما واكثر تحسبا وحيطة فان هناك احتمالا شديدا لظهور مرحلة من العنف الفردي او العصابي غير المنظم ، من شأنها — كما يعلمنا التاريخ — ان تتناول المؤسسات القائمة واصحاب العلاقة المباشرة وغير المباشرة، والمستحقين وغير المستحقين ، وان التداخل الفلسطيني العربي في معظم اقطار المشرق العربي سوف يزيد الامر سوءا ويؤلف جوا مؤاتيا جدا للانزلاق في الفوضى واللا تمييز .

وازاء هذا الاحتمال الذي يبدو للمراقب المدقق غير بعيد لا يلوح في الافق سوى اختيار واحد ، وهو أن تعمل المنطقة العربية على اتاحة فرصة كافية للجيل الفلسطيني الثائر كي ينظم نفسه ويمارس العنف المشروع بحرية ودون تأثيرات وضغوط ، على أن يرافقه تصور عربي مشترك (بقدر الامكان) لمواجهة التحدي المصيري وخوض الصراع الذي لا بد من خوضه .

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة ايلول

بقلـم

خليل هندي وفؤاد بوارشي وشحادة موسى

اشراف

الدكتور نبيل علي شعث

من منشورات مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. (بيروت)

٥٠٣ صفحات ٥ ل.ل.

احاديث مع قادة المقاومة
حول مشكلات العمل الفدائي الفلسطيني
(الحلقة الثالثة)

(١) سامي عطاري
(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي

تتابع « شؤون فلسطينية » في هذا العدد لقاءاتها مع بعض قادة حركة المقاومة الفلسطينية ، لمناقشة القضايا الراهنة التي يواجهها العمل الفدائي ، وكانت قد قابلت في اعداد سابقة كلا من الاخوة خالد الحسن ، جورج حبش ، صلاح خلف ، نايف حواتمه . وهي تقابل في هذا العدد الاخ سامي عطاري، امين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية واحد المسؤولين الرئيسيين في طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) ، والدكتور عبدالوهاب الكيالي ، احد كبار مسؤولي جبهة التحرير العربية . وستواصل شؤون فلسطينية في اعدادها القادمة نشر لقاءات مع عدد آخر من قادة المقاومة ، حيث يكون القارىء في النهاية امام خريطة واضحة لكافة القضايا المطروحة والردود عليها ، آملين ان يسهم ذلك في توفير الوضوح اللازم لمواجهة متطلبات المرحلة المقبلة من النضال الفلسطيني الذي تكتنفه حاليا صعوبات جمة يلعب فيها الوضوح دورا اساسيا في صمود الجماهير امام هجمات التصفية .

الحديث الاول : مع الاخ سامي عطاري

من المهم لحركة المقاومة الفلسطينية ان تناقش بتوسع قضاياها الراهنة . ولكن من المؤكد ان هذه المناقشة لا يمكن ان تجري بجدية الا على ضوء مناقشة الملامح الاساسية للتجربة الماضية ، ونقاط الضعف فيها . على ضوء ذلك ما هو تقييمكم للقضايا الاساسية التالية :

أ ــ المرحلة السابقة :

الى أي حد نجحت حركة المقاومة في وضع صيغ ملائمة لتحقيق قضية الوحدة الوطنية . وما هي الثغرات الاساسية في التجارب السابقة .

لو عدنا الى قرارات المجالس الوطنية الفلسطينية السابقة في هذا الصدد واخص بالذكر المجلس الوطني التاسع الاخير لوجدنا ان جميع القرارات التي اتخذت كانت تمثل بالنسبة لنا حدا ادنى قبلنا به وعملنا جاهدين من أجل وضع هذه القرارات موضع التنفيذ الا أننا وللظروف التي احاطت بمجمل مسيرتنا بدءا باحداث جرش والاحراش ومرورا بمؤتمر

جدة وانتهاء بمقتل وصفي التل احداث أثرت جميعها بوضع القيــادة السياسية ممثلة باللجنة التنفيذية ، وبالرغم من ان بداية هذه اللجنة كانت بداية أمل وعمل وتطلع الا انه لم يعد خافيا على أحد الاوضاع الحالية التي تمر بها اللجنة التنفيذية مع هذه الاوضاع التي تتنافى مع منطق الحرص على أية صيغة لقاء جبهوي وتتنافى مع منطــق جماعية وديمقراطية القيادة . وسبب ذلك يعود الى الفردية لدى بعض فصائل حركة المقاومة ومحاولة الانفراد بالعمل الفلسطيني متجاهلة أبسط قواعد اللقاء الجبهوي . ونأمل ان تنقشع هذه الغيوم ويسود المنطق الصحيح منطق جماعية القيادة .

اما عن التجارب السابقة بدءا من تجربة الكفاح المسلح ومرورا بالقيادة الموحدة التي كانت أثرا من آثار صدام ١٩٧٠/٢/١٠ ، مــع السلطــات الاردنية وانتهـاء باللجنة المركزية ، اريد ان اقول في البدء انها جميعا كانت محاولات على طريق قيام جبهة وطنية ذات برنامج عمل واضح ومحدد او على الاقل هكذا كنا نريد لها ان تكون لان جملة هذه المحاولات كان من الممكن تطويرها وتثويرها لو سادت فيها روح الجماعة الديمقراطية . ولكن الثغرة الرئيسية في جميع هذه المحاولات انها جاءت لهاثا وراء الاحداث والازمات وسرعان ما كانت تنتهي عند نهاية مبرر قيامها أي أن هذه التجارب جميعها كانت وليدة ظروف فرضت نفسها على حركة المقاومة ولم تكن نابعة من وضوح الرؤيا لدى فصائل هذه الحركة او بعضها على الاقل . . . فكثيرا ما كان انضمام بعض الفصائــل الى هذه الصيغة او تلك وخروجها منها كيفيا وبدافع حماية النفس .

هل استطاعت حركة المقاومة ان تقيم علاقات وثيقه مع الجماهير الفلسطينية على صعيد الحشد والتنظيم والتعبئة السياسية ؟

الجماهير الفلسطينية هي التي اندفعت نحو حركة المقاومة باعتبارها الامل الذي راود هذه الجماهير منذ نزوحها الاول وباعتبار ان الجمــاهير الفلسطينية التي تلقت سلسلة الضربات تولدت لديها قناعة لا يساورها أدنى شك بأنها يجب ان تحمل السلاح لتقف في الخندق الاول في مواجهة العدو الصهيوني ، على ان الاطلاق هنا ليس المقصود بحد ذاته بل كان هناك الكثير من جماهيرنا الذين اندفعوا نحو حركة المقاومة بدافع ردة الفعل العاطفية من جهة والحقد على الانظمة العربية وعلى النظام الاردني بصورة خاصة من جهة اخرى لانها لم تستطع ان تنتصر في معركة واحدة او حتى أن تفي بوعــد واحد من الوعود التي قطعتها على نفسها تجاه شعب فلسطين .

هذا المد الجماهيري لم تستطع حركة المقاومة ان تستوعبه وان تصبه في المسار الصحيح الذي كان ينبغي ان تصب جميع الطاقات فيه وذلك يعود الى ان هناك خلافا بين فصائل المقاومة نفسها على قضايا أساسية كثيرة وعلى جانب كبير من الاهمية ، كرفــع شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للانظمة العربية ، وطبيعة العلاقة القائمة بين فصائل المقاومة والانظمة العربية وكيف يجب ان تكون ، وعلاقة حركة المقاومة بحركة التحـرر الوطني العربية .

الخلاف على هذه القضايا الاساسية بالاضافة الى عدم صدق فصائــل المقاومة في طرح وجهات نظرها مع الجماهير وتصوير كــل فصيل لنفسه على انه وحده يمتلــك الرؤيا الصحيحة ، بالاضافة الى ممارسة عمليات التجريح علنا لبعضها بعضا كان سببا في انفضاض بعض الجماهير الفلسطينية من حولهــا . على أن أحداث الاردن الاخيرة رغم ضراوة الهجمة وحجم المؤامرات الهادفة الى تصفية الثورة والتي كانت براي الجماهير الفلسطينية حصيلة ونتاجا لعمل المقاومة اليومي وتخلي هذه الفصائل عن جماهيرها على الساحة الاردنية كان سببا في عملية الانفلاش التي تعاني منها الجماهير اليوم .

وباختصار فان عدم قدرة فصائل المقاومة على الوصول الى برنامج عمل محدد وموحد يمثل الحد الادنى لتطلعات الجماهير الفلسطينية كان سببا رئيسيا في عدم قدرتها على اقامة علاقات وثيقة معها بالمستوى الذي يجب أن يكون .

في العلاقة مع الجماهير الاردنية تخصيصا ، ما هي الخطوات التي انجزت وما هي نقاط الضعف التي برزت ، وساعدت النظام الاردني على استغلال وتعميق النزعات الاقليمية في الاردن ؟

الجماهير الاردنية جزء من الجماهير العربية اندفعت هي الاخرى نحو حركة المقاومة بردة فعل عاطفية اعتقادا منها ان حركة المقاومة هي بارقة الامل التي يمكن ان ترد لامتنا العربية كرامتها بعد ان منيت بسلسلة الهزائم التي كان آخرها هزيمة الخامس من حزيران . على ان الجماهير الاردنية التي تعرضت الى ابشع صنوف القهر من النظام الهاشمي كانت تؤمن ان عملية تحرير فلسطين لا بد وان تكون مرورا بعمان مما يساعدها على الخلاص من نظام حكم عميل متسلط ابتليت فيه . لكن الذي أصاب الجماهير الاردنية هو نفس الذي أصاب الجماهير الفلسطينية حيث شعرت بأن حركة المقاومة بجميع فصائلها غير صادقة بطرح قضاياها امام هذه الجماهير مما جعلها تنكمش شيئا فشيئا . على ان نقطة الضعف الرئيسية هي ان الجماهير الاردنية قد فوجئت بأكبر فصائل حركة المقاومة تطرح شعار عدم التدخل في الاوضاع الداخلية للانظمة العربية ومنها النظام الاردني وهي أي الجماهير الاردنية التي كانت مقتنعة بأن قضية شرق النهر وغربه هي قضية واحدة باعتبارها كانت تشعر باستمرار بأن هناك سلطة غريبة على كاهلها . هذا من جهة . ومن جهة أخرى فان الامر الاكثر خطورة ان الثورة الفلسطينية ايضا ممثلة بأكبر فصائلها قد بنت التنظيمات النقابية والمهنية الاقليمية مما ادى الى تعميق النزعات الاقليمية في الاردن وشل فعاليتها بشرذمتها وهي التي خاضت نضالا طويلا مشتركا ضد النظام اضافة لذلك كله منذ انطلقت الثورة الفلسطينية من فهم خاطىء متجاهلة تاريخ الحركة الوطنية الاردنية ومجمل نضالاتها على الساحة الاردنية ووضعت نفسها بديلا لهذه الحركة حيث ظنت بعض فصائل المقاومة ان العمل المسلح ليس بحاجة الى ارضية سياسية واعية وواسعة مما أدى الى اغفال العمل السياسي واهماله بشكل فاضح في اكثر الاحيان حتى خيل لبعض فصائل حركة المقاومة ان الحركة الوطنية على الساحة الاردنية الفلسطينية لم يعد لها أي دور وخاصة وان معظم فصائل هذه الحركة قد حملت السلاح واخذت تشارك في الكفاح المسلح . جملة هذه الممارسات وهذا الفهم الخاطىء هو الذي ساعد النظام الاردني على استغلال وتعميق النزعات الاقليمية بالاضافة الى كثير من الممارسات الفردية التي كانت تحصل من قبل أفراد اما مدسوسين او اغبياء او جهلة لم يحاسب أي منهم علنا ليكون عظة لغيره وتدليلا على حسن نية حركة المقاومة تجاه الجماهير . خاصة وان معظم هذه الممارسات او ما كان يستغل منها كان يحصل مع الجماهير الاردنية تخصيصا .

وبالرغم من ذلك كله فان حركة المقاومة لم تتخذ حتى الان ما هو كفيل لاعادة الثقة والعلاقة مع الجماهير الاردنية ومن هنا كان اصرارنا على ان تبني الجبهة الوطنية الاردنية بأسس موضوعية وسليمة بعيدا عن وصاية البندقية لانها وحدها الكفيلة برأب الصدع ولئم الجرح لاننا شعب واحد لا شعبان .

كيف ترون علاقات حركة المقاومة مع الواقع العربي ، أنظمة ، وحركات شعبية ؟ هل سارت هذه العلاقات باتجاه يخدم مصلحة الثورة ؟ وما هي اسس العلاقات الثابتة التي تقترحونها تجاه الانظمة وتجاه الحركات الشعبية .

هناك مبدأ ثابت بالاساس حددته المجالس الوطنية الفلسطينية وهو ان معيار العلاقة ما

بين الثورة الفلسطينية واي نظام عربي او اي حركة شعبية تتحدد بما يقدمه هذا النظام او تلك الحركة لخدمة الثورة وقضية تحرير كامل تراب ارض فلسطين .

لم تكن جميع هذه الانظمة تضع امكاناتها وطاقاتها لخدمة الثورة ، هناك انظمة تقدمية عربية كانت ولا زالت تزج بطاقاتها في سبيل استمرار الثورة ، ودعمها وحمايتها، في حين ان بعض الانظمة كانت ولا زالت تسعى لتصفية الثورة بينما بعض الانظمة وقف متفرجا وعلى هذا الاساس فان على الثورة الفلسطينية ان تميز بين من هم معها ومن هم عليها . مع التأكيد على اننا حركة تحرير وطني وهي بالتالي جزء من حركة التحرر العربية التي هي ايضا جزء من حركة التحرر العالمي .

لقد شكلت منظمة التحرير اطار اللقاء لكافة اشكال الوحدة الوطنية . هل لا زال هذا الاطار صالحا لتلبية متطلبات النضال الفلسطيني ام ان هناك حاجة لاشكال تنظيمية أرقى وما هي هذه الاشكال ؟

تعرضنا من قبل للاجابة على هذا السؤال وما أريد ان أؤكده هنا أن ليست التسمية هي المشكلة ومنظمة التحرير اطار يضم جميع الفصائل الرئيسية على الساحة ، وهو اطار كاف ومقبول ومن خلاله كان يمكن تنفيذ كافة مقررات المؤتمرات الوطنية ووضع برامج وصيغ محددة حتى لو مثلت الحد الادنى الذي يمكن ان تتفق عليه جميع الفصائل . ولكن كما قلنا ، المشكلة تكمن في محاولات تسييب هذه المنظمة وشل فعاليتها من خلال تعمد البعض الانفراد والتصرف بعيدا عن جماعية وديمقراطية القيادة . هذا الامر الذي نصر نحن وغيرنا من الفصائل التي عانت من عدم سيادة الروح الصحيحة على أن تأخذ الامور مجراها الطبيعي . وباعتقادنا اننا اذا استطعنا ان نضع الامور في نصابها فان المنظمة ستصبح صالحة لتلبية متطلبات النضال الفلسطيني وهي نفسها قابلة للتثوير والتطوير الى أي شكل تنظيمي أرقى .

ب ـــ المهمات الراهنة :

تواجه حركة المقاومة الفلسطينية حاليا المزيد من الاخطار والمتاعب والتي تقتضي تركيزا في العمل والجهد ، ووضوحا اكبر في الموقف السياسي . انطلاقا من هذا الواقع ما هي الوسائل التي ترونها ملائمة لمواجهة المشكلات الاساسية التالية :

المساعي التي تبذل حاليا لانجاح التسوية السياسية . خاصة وان مشاريع التسوية السياسية ، بدأت تاخذ لونا أمريكيا ظاهرا ؟

نحن رفضنا في البداية قرار مجلس الامن واعلنا ولا زلنا بأن طريق الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية هو الاسلوب الوحيد وسواء أخذت هذه المساعي لونا امريكيا او اي لون آخر . فان الهدف الذي ينبغي ان لا تتزحزح عنه المقاومة الفلسطينية هو تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني واستعادة عروبة فلسطين وقد تكون الطريق لتحقيق هذا الهدف طويلة الا ان المقاومة مطالبة بالاصرار عليها مبدئيا وعمليا والتصدي بالعنف الثوري لكل محاولة تستهدف اجهاض نضال التحرير .

ان المساعي التي تبذل حاليا لانجاح التسوية السياسية ترمي الى ايجاد طرف فلسطيني يقبل بهذه التسوية ويزعم تمثيل شعب فلسطين . والمهمة العاجلة التي تواجهها المقاومة هي الحيلولة بشتى الطرق والوسائل دون ايجاد مثل هذا الطرف الفلسطيني ، وفي مقدمة هذه الوسائل استمرار نشاطات المقاومة داخل الارض المحتلة ولو بشكل عمليات منتقاة تستهدف بتركيزها ، على النوع لا على الكم ، اثبات استمرار وجود المقاومة واستمرار الاصرار على تحرير كامل التراب الفلسطيني مع قمع أية محاولة يقوم بها طرف فلسطيني للتجاوب مع المساعي الاستعمارية .

هناك نشاط متصاعد داخل الضفة الغربية بشكل خـاص ، لاشراك طرف فلسطيني في التسوية السياسية ، عن طريق رفع شعارات مثل الكيان الذاتي او الدولة الفلسطينية. كيف ترون ان على الثورة مواجهة هذه القضية ؟

التحركـات الغربية والمشبوهة التي تشهدهـا الضفة الغربية ، ليست جديـدة على الاطلاق ، ولكنها كانت تجري في الماضي وقبل عملية الصدام مع النظـام الاردني همسا وبسرية ، لان رؤوس هذا التحرك لم يدخلوا باب العمالة حديثا ، بل اتجروا في القضية منذ زمن . لكن علنية التحـرك الان أملته عوامل عدة لعل من اهمهـا وابرزها ضرب المقاومة على الساحة الاردنية من جهة ، وارتماء النظام الاردني في دوامة الحلول واعلانه عدم استعداده لدخول اية معركة مقبلة مـع العدو الصهيوني . هـذه العناصر ايضا أصبحت تتلقى اليوم كل اشارات الضوء المشجعة من اسرائيل وأمريكا لان الاستعمـار يدرك اهمية توقيع الفلسطينيين انفسهم على وثيقة الصلح والاستسلام . هذه العوامل جميعها مجتمعة أعطت الفرصة لهؤلاء بالتحرك بالاضافة الى الشعور الذي بدأ يسود في اوساط الفلسطينيين بأن حركة المقاومة التي منيت بسلسلة التراجعات عاجزة الان عن حزم أمرها ومواجهة المعضلات التي تعترض مسيرتها . وباعتقادي ان اية مواجهة لهذا التحرك لا يمكن أن تتم باعلان الرفض المجرد من هذه الجهة او تلك بل لا يمكن أن يكون الا بزيادة الحشد والتنظيم والتعبئة السياسية لصفوف الفلسطينيين ضمن برنامج عمل واضح ومحدد يمثل على الاقل الحد الادنى الـذي يمكن أن تلتقي عنده فصائـل حركة المقاومة . وباعتقادي أن الاستمرار في السكوت والاسترخاء في هذه المرحلـة الدقيقة وعملية تمييع الامور لا يمكن أن يكون الا في خدمة هذا التحرك . على ان هنـاك نقطة جوهرية يجب ان ترافق باستمرار عملية الحشد والتعبئة السياسية وهي التوجه فورا وبكل القوى المتوفرة لدى حركة المقاومة لتصعيد عملها العسكري في عمق الارض المحتلة لكي ترتبط الجماهير المعبأة سياسيا بالبندقية القادرة على حمايتها وعلى بقائها مشدودة اليها بأمل التحرير .

في ظل حالة الانحسار التي يواجهها العمل الفدائي منذ ايلول ١٩٧٠ ، وفي ظل التحـرك المضاد لتشويه الموقف السياسي الفلسطيني من قبل القوى اليمينية الفلسطينية ، كيف تنظرون لقضية العمل العسكري في الاراضي المحتلة ووسائل تصعيده ؟

بعد مجازر ايلول الاخيرة في الاردن وبعد الانحسار الذي تلا هذه الاحداث بدأ التحـرك المشبوه لليمين الفلسطيني العميل علنا من أجـل التوقيـع على وثيقة الاستسـلام . وباعتقادنا أن اسلوب المواجهة الوحيـد هو أن تحزم الثورة الفلسطينية أمرها كما قلنا بزيادة الحشد والتنظيم والتعبئة من جهة ومن جهة أخرى أن تتصدى الى تعزيز وتصعيد عملها العسكري في الارض المحتلة ، هذا التصعيد يتطلب منا بالدرجة الاولى توحيد البؤر الثورية داخل الارض المحتلة وتعزيز صمود وبطولة ابنائنا وثوارنا في غـزة البطلة . ان هذا هو الطريق الوحيد باعتقادي للوقوف بوجه اليمين العميل وتفويت الفرصة عليه.

لمواجهة كل هذه القضايا ما هو نمط العلاقات المطلوبة ، على صعيد المنظمات فيما بينها ، وعلى صعيد المنظمات والواقع العربي ، لوضع خطة عمل قادرة على تقديم علاج ثوري لكافة القضايا المطروحة سابقا ؟

لا شك أن النمط المثالي للعلاقات المطلوبة بين المنظمات ببعضها بعضا هو ذلك النمط الذي واجهته شعوب أخرى مارست نضال التحرير ونقصد بذلك التقاء القوى الوطنية ضمن جبهة وطنية بقيادة حزب تقدمي ثوري .

لكننا هنا نستطيع القول انطلاقا من التجربة الفلسطينية في محاولة تحقيق الوحدة الوطنية

وما آلت اليه هذه التجربة ، أنه كان بالوسع الاستفادة من تلك الخطوط التي رسمها المؤتمر الفلسطيني الاخير ، لو توفرت النية لدى جميع الاطراف المعنية على تجسيد الوحدة الوطنية تجسيدا عمليا ملتزمة بمبدأ وضع الشخص المناسب في المكان المناسب . وتلافي ما يجره التعصب التنظيمي من نتائج . هذا التعصب الذي قاد الى محاولة البعض الانفراد في التصرف ومحاولة احتكار العمل والسيطرة عليه مما الحق اشد الضرر ليس فقط بالوحدة الوطنية ولكن أيضا بروح هذه الوحدة . بالاضافة الى ذلك كان ينبغي ان تتلو الحدود الدنيا من اللقاء التي حققها المؤتمر الوطني الاخير جهود صادقة للوصول الى وضع دليل نظري للثورة الفلسطينية تلتقي من حوله جميع فصائلها ويحدد خطواتها السياسية التكتيكية والاستراتيجية الا أن أية محاولة من هذا القبيل لم تجر حتى الان مما ادى الى استمرار واقع التعدد على الصعيد النظري وعلى صعيد الممارسة العملية وبالتالي فان تجاوز الوضع الراهن يقتضي على الاقل الالتقاء حول دليل نظري ثوري وبرنامج للعمل الثوري يحددان علاقات موضوعية داخل اطار الوحدة الوطنية تختفي فيها روح الاثرة ورغبة السيطرة والتنافس ليحل محلها التنسيق الفعلي بين القوى وتوجيهها في المسار الصحيح. اما على صعيد علاقة المقاومةبالواقع العربي فاننا نعتقد ان هذه العلاقة يجب أن تتحدد وفق الاسس التالية : ـ ١ ـ ان حركة المقاومة هي حركة تقدمية بطبيعتها وبالتالي فهي جزء لا يتجزأ من الحركة التقدمية العربية ، ٢ ـ ان ساحة العمل الاساسية للثورة الفلسطينية هي الساحة الفلسطينية ويجب أن لا تشغلها أي مهمات اخرى عن ممارسة نضالها في هذه الساحة . ٣ ـ لكن ذلك لا يعني أن تجرد حركة المقاومة الانسان الفلسطيني كمواطن عربي من حقه في ممارسة النضال العقائدي على الساحة العربية . ٤ ـ تلافي المعارك الجانبية مع الانظمة العربية لان من شأنها تبديد طاقات الثورة الفلسطينية واشغالها عن ممارسة مهمتها الاساسية لان هذه المهمة على أهميتها هي من مهام الحركة الوطنية العربية في مختلف اقطارها ولا ينبغي لحركة المقاومة أن تحل نفسها محل هذه الحركات ولكن حركة المقاومة مطالبة في الوقت ذاته بأن لا تسمح لنفسها بممارسة أي دور على الصعيد العربي من شأنه أن يشل أو يحد من قدرة قوى الثورة العربية على انجاز مهمتها . ٥ ـ وأخيرا فان علاقة حركة المقاومة الفلسطينية بالانظمة العربية تحدد بمقدار ما تقدمه هذه الانظمة لها من دعم وتأييد .

بشكل خاص ما هي المهمات الراهنة المتعلقة بموقف حركة المقاومة في الاردن (النظام ـ الخط السياسي تجاه النظام ـ الجبهة الوطنية الاردنية) والتي يمكن تنفيذها العمل الفدائي من الاستمرار في القتال باتجاه العدو الاسرائيلي ؟

لا شك أن الاجابة على هذا السؤال هي من اكثر المسائل التي تواجهها الثورة الفلسطينية صعوبة ، ففي الوقت الذي كانت فيه محادثات جدة مستمرة ، تلك المحادثات التي قبلنا ان نذهب اليها ، وذهبنا اليها صادقين ومخلصين ، لاننا نعتبر ان الساحة الاردنية هي المنطلق الرئيسي لحركة المقاومة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اية قيادة عليها أن تتعايش بين جماهيرها لا أن تبتعد عنها وتقودها من الخارج كما أن تواجدنا في الاردن على خط المجابهة يسهل علينا عملية الاتصال بشعبنا في الارض المحتلة ، وقد بذلنا من اجل ذلك جهودا صادقة رغم كل ما لقيناه من عدم صدق من قبل وفد النظام الاردني الذي اخذ يراوغ ويميع ويؤجل حتى انتهى الى قراره المعروف ، ودون ان تعود المقاومة الى الاردن ، فأصبحت المقاومة الان أمام السؤال الاساسي التالي : اذا لم تكن هناك امكانية للعودة السلمية الى الاردن فما مدى امكانية العودة بأسلوب آخر ؟؟ ان هذا الاسلوب الاخر قد يقود المقاومة الى زج جميع طاقاتها في معركة طويلة الامد مع النظام الاردني بدلا من زج هذه القوى في معركة طويلة الامد ضد العدو الصهيوني وهي نتيجة يطمع العدو الصهيوني دون شك للوصول اليها خاصة وانها ستضمن على الاقل عزل واشغال

مليون ومائتي الف عربي فلسطيني يقيمون في الضفة الشرقية، كما اتضح من الاحصاءات الاخيرة من الاردن ، أي ما يقارب نصف الشعب الفلسطيني .

من ناحية ثانية فان الجهود التي بذلت لانشاء جبهة وطنيـــة أردنية تضم كـــافة القوى الوطنية في الاردن وتضع على هذه القوى مسؤولية النضال من أجل قيام حكم وطني في الاردن يؤمن في المستقبـــل القريب أو البعيد عودة المقاومة الى الساحـــة الاردنية ، قد تعرض لمحاولة الاجهاض بانشاء جبهة شكلية تحمل لافتة الجبهة الوطنية الاردنية وتختفي وراء البندقية دون أن تضم القوى الوطنية في الاردن ، وهذا تكريس آخر للفهم الخاطىء الذي وقعت فيه المقاومة قبل ايلول الاسود ، ويبرز من خلال هذا التحليـــل ، أن انشاء جبهة وطنية أردنية حقيقية ، يظل في الظروف الراهنة مطلبا أساسيا قابلا للتحقيق .

جـ ـــ اسئلة خاصة بالصاعقة :

نريد في هذه الاسئلة ان نكون صريحين ، وهدفنا تسجيل الملاحظات الاساسية التي تقال كاتهام للصاعقة حتى يمكن الرد عليها بجدية وثورية . وأبرز هذه الاتهامات :

الصاعقة ، هي نتاج حزب قومي ناضل طويلا لقضيتي الوحدة والاشتراكية . هذا التراث النضالي كـــان قادرا على ان يمكن الصاعقة من ان تلعب دورا قياديـــا بارزا في ساحة النضال الفلسطيني ، الذي حصل ان الصاعقة مثلت دائما رديفا لحركة فتح ، واذا كانت لها انتقادات على ما هو سائد ، فهي لم تعمل على اساس طرحه وتجاوزه ، فساهمت بذلك في ابقاء نقاط الضعف في العمل الفلسطيني على حالها . هل ترون هذه الرؤيا لدور الصاعقة منصفة ؟

من المسلم به أن الصاعقة في ولادتها كانت ولا زالت تمثل نتاج حزب قومي ناضل طويلا من اجل قضايا الامة العربية وأمانيها العريضة . وكـــان من الممكن أن لا تكون منظمة الصاعقة على الساحة لولا أن القناعة اكتملت لدى قواعـــد الحزب بضرورة قيام منظمة فدائية تقدمية الاتجاه قومية النزعة يسارية المفاهيم والعقلية والاسلوب قادرة بالدرجة الاولى على استيعاب كافة المناضلين التقدميين في الوطن العربي وزجها في المعركة لكي تملأ الفراغ القاتل الذي كانت تعاني منه الساحة الفدائية ومبرر ذلك أن منظمة الصاعقة تمتلك اساسا ارضية نضالية من خلال دور الحزب التاريخي والعريق ونضاله على الساحة العربية . هذه الارضية وهذا التراث كـــان من الممكن أن يعطي الصاعقة دورا قياديا بارزا في ساحـــة النضال الفلسطيني . وولدت الصاعقة وهي تمتلـــك كل هـــذه المقومات . لكنها لم تكن وحدها على الساحة كانت هناك فصائل أخرى ليس من الانصاف اطلاقا أن ننكر وجودها وحجمها ومن غير المستطاع تجاوزها . ولما كان الهدف الاساسي من تشكيل نواة المنظمة هو كما ذكرنا استيعاب الطاقات الجماهيريـــة العربية التقدمية وزجها في المعـــركة تلك الطاقات التي لم تكـــن الفصائل القائمة آنذاك قادرة علـــى استيعابها . لذا كانت الطلائع تحاول باستمرار أن تبني علاقة ودية مع بقية فصائـــل المقاومة وخاصة فتح من خلال قناعتها المطلقة بأنها لا تستطيع وحدها أن تقود وكذلك لا يمكن لاية منظمة فدائية أخرى ايضا أن تقود وحدهـــا . وكنا ننطلق باستمرار من أجل العمل على قيام جبهة وطنية ذات برنامج عمل محدد وواضح . ومن الحرص على هـــذا الهدف الكبير كان حرصنا باستمرار على بقاء العلاقة مع فتح وتطويرها باتجاه الافضل لان حركة فتح كانت أساسا بالنسبة للحزب ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، الذي رعاها وقدم لها كل عون ، كانت تمثل شيئا قائما وموجودا . وكان الحزب حريصا على استمرارها ، ولم يكن ميلاد الصاعقة اطلاقا بديلا لحركة فتح بل كان دعما لها واستيعابا للثغرات التي تعتورها ونقاط الضعف التي كانت تعاني منها الساحة الفدائية . هكذا كان يرى الحزب . ومن هنا كان الحزب يتصور ان أية عملية حوار من خلال قوتين

اساسيتين موجودتين على الساحة الفدائية تلقيان من الحزب روح الحرص والدعم كان من الممكن ان يعطي ثمارا ايجابية اكثر بكثير من بقاء مناضلي الحزب داخل صفوف حركة فتح . ناهيك عن الاخطار التي كان من الممكن ان تنجم عن استمرار هذا البقاء .

ولم ينقطع الحوار مع فتح يوما . بل كان معها ومع الديمقراطية الشعبية مفتوحا باستمرار — وان لم يكن مقطوعا مع غيرهما — رغما عن اختلاف نظرة الحزب لكل من المنظمتين . وكثيرا ما اثمر هذا الحوار واعطى على الصعيد النظري صورة افضل للمستقبل ، لكنه ككل قرار أو تصور نظري يبقى في حدود النظريات . وللحقيقة ان حركة فتح كثيرا ما كانت تطمع في هذا الفهم .

على أن قواعد الصاعقة كثيرا ما كانت تتمرد على استمرار اللقاء الذي لم يعط ثمرة واحدة لانها كثيرا ما كانت توعد من قيادتها بآمال افضل وبالتوصل الى صورة مرضية وتصور للقواعد ان حركة فتح قدمت تنازلات معينة ومحدودة تمثل بالنسبة لقواعد الصاعقة حدا أدنى يمكن القبول به .

ولنكن صريحين اكثر وخاصة في هذه الفترة بالذات التي لم تعد تحتمل الا مصارحة الجماهير بكل شيء . لقد تجاوزت قواعد الصاعقة قيادتها في أكثر من تصور حتى أنها طرحت علنا أثر الخلاف مع فتح في أوائل عام ١٩٧٠ اللقاء مع يسار المقاومة مهما كانت أخطار محورة العمل الفلسطيني ، وبالفعل فقد تم اللقاء مع كل من الجبهة الشعبية (جورج حبش) والشعبية الديمقراطية وقوات الانصار في قائمة تقدمية علنا ضد قائمة حركة فتح في انتخابات اتحاد عمال الاردن كما تكررت صورة مماثلة في انتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين فرع دمشق . في الوقت الذي كانت فيه قيادة الصاعقة تتفق مع حركة فتح على صيغة أو أخرى واكثر من ذلك كله ان القواعد اصرت على موقفها ونفذت ضاربة بكل الاوامر والتعليمات التي صدرت اليها من قيادتها عرض الحائط (موقف عاشته الفصائل الاخرى) .

هاتان الحادثتان من جملة حوادث كثيرة يمكن التعرض لها . ولعل عمليات الصدام مع النظام الاردني في أكثر من منطقة باللقاء مع يسار المقاومة بعيدا عن تعليمات القيادة من خلال تجاوز قواعد المنظمة وعدم تسليمها بالفهم الخاطيء لعملية الدفاع عن النفس واللهاث وراء الاحداث وشعارات عدم التدخل ، أدلة أخرى تؤكد عدم اللقاء في بعض الظروف والمراحل السابقة .

صحيح أن تمرد القواعد مع كل ادراكها مسبقا على عدم جدوى الحوار جاء متأخرا ولكنه يبقى حقيقة يجب ان تقال . على انه ليس من الانصاف أن نقول ان الصاعقة وحدها أسهمت في استمرار نقاط الضعف لكن مجمل فصائل حركة المقاومة أسهمت بنسب مختلفة في استمرارها نتيجة لعقدة الثورة الفلسطينية نفسها والكامنة أساسا في العصبية التنظيمية لدى كل فصائلها . تلك العقدة التي لا زالت تشكل سببا من أسباب عدم قدرة الثورة على مواجهة ازماتها .

يلاحظ ان منظمة الصاعقة لم تعط للجانب السياسي والجماهيري من النضال المسلح الاهمية التي تستحقه ، وبقيت لذلك ضعيفة التاثير في الحركة اليومية للعمل . هل توافقون على هذا التصوير ، وما هي أسبابه ؟

عندما نقول وعندما يسلم معنا الجميع بأن الصاعقة هي نتاج حزب قومي مناضل تاريخيا ، وقبل ميلاد حركة المقاومة بما يقارب ربع قرن من الزمن حزب له جذوره وله جماهيره يدرك ان في صيغة السؤال مغالطة . ولعل المغالطة لا تكمن فقط في التغني بتراث الحزب ونضاله فحسب بل ان الصاعقة التي جاء ميلادها متأخرا على الساحة

الفدائية استطاعت أن تلف حولها من الجماهير العربية ما لم يستطعه أولئك الذين سبقوها . على ان هناك نقطة هي على جانب كبير من الاهمية وهي ان الصاعقة منذ الساعات الاولى لولادتها كانت تعتمد النوع لا الكم . اما عن مدى تأثيرها على الحركة اليومية للعمل ، فقد كانت الصاعقة بمعرفة الجميع على الساحة الفدائية والساحة العربية بأسرها فاعلة بنسبة اكثر بكثير من عمرها الزمني ، لكن الصاعقة لم تبتل بمرض الاعلام المهوش والمشوه للحقيقة .

ولكي نضع أصابعنا على الحقيقة يكفي العودة الى تقارير المنظمات الفدائية التي كان لها تواجد في معارك أيلول على الساحة الاردنية لنرى ان الصاعقة كانت تمثل قاسما مشتركا للتواجد على ساحة القتال والدفاع عن الثورة ، وهذه الفصائل وجماهيرنا بأسرها تعرف أن الصاعقة قدمت في عمان وحدها ثلاثة وتسعين رفيقا شهيدا على مذبح الدفاع عن بقاء الثورة الفلسطينية ، كل هؤلاء من صفوف الحزب والعاملين في ميليشيا الصاعقة من جماهيرها . لذا فاننا مع كل حرصنا على اعطاء الحقيقة نرد هذا التصور الخاطىء بهذه الحقائق والارقام البسيطة والمتواضعة .

التصور السائد ان الصاعقة كانت تمتلك امكانيات عسكرية مرموقة ، ولكن فعالية عملكم العسكري لم تكن بمستوى امكانياتكم . ويقال بان هذا مرتبط بضعف الجانب السياسي والجماهيري من عملكم . ما هو رأيكم ؟

التصور السائد هنا ينطلق في الحقيقة من فهم خاطىء أساسا ومن تصور خاطىء ايضا من خلال تسمية اراد البعض تكريسها ، هذه التسمية هي « الصاعقة السورية » . هؤلاء كانوا يتصورون أن امكانيات الصاعقة العسكرية والمرموقة هي امكانيات الثورة في القطر العربي السوري . هذا التصور في الحقيقة عانينا منه كثيرا وهو يعود الى التضليل والتشويش الاعلامي الذي مارسته بعض الصحف والاذاعات والمؤسسات الرجعية. وهذه الحملة التي رافقت بداية دخول قواتنا وتمركزها على ساحات القتال مع العدو . الغاية منها ليس اكثر من اغراق الانظمة العربية وخاصة القطر العربي السوري بتهمة التدخل في الشؤون الداخلية للانظمة العربية المعينة والتي كانت تبحث عن ذريعة لتصفية حركة المقاومة .

والحقيقة هي ان المنظمة نشأت بعد تبلور القناعة لدى قواعد الحزب ، وقد أسهبنا في هذا المجال طويلا ، ومن الطبيعي أن يبقى الحزب العمود الفقري للمنظمة التي ضمت في صفوفها خيرة الشباب العربي التقدمي واللامنتمي لصفوف الحزب .

اما علاقة المنظمة بالحكم في سوريا فلم تكن يوما كما أرادت هذه الاجهزة المعادية تصويرها ، وليست هناك أية علاقة بين الصاعقة ودوائر الدولة في سوريا اكثر مما بين بعض الفصائل الاخرى وهذه الدوائر وجميع مشاكلنا واحتياجاتنا تحل عن طريق مكتب العمل الفدائي في قيادة الحزب .

اذن فهذا التصور مبني اساسا على حملة تهويش وتشويه خاطئة جرت البعض الى أن يتصور ان امكانيات الصاعقة العسكرية هي امكانيات دولة وان فعاليتها لم تكن اطلاقا بمستوى امكانياتها . ولو سلمنا بالفهم الخاطىء لقلنا صحيح . ولكن الحقيقة ان امكانيات منظمة الصاعقة العسكرية لم تصل على الاطلاق في يوم من الايام الى امكانية أكبر فصائل المقاومة بل كانت دونها بكثير ، لهذا كان تواجدها وفعاليتها العسكرية أكثر بكثير من امكانياتها العسكرية ، وفي كثير من الاحيان ، وخاصة عملياتها في عمق الارض المحتلة . وليست معركة كفرشوبا ببعيدة عن أذهاننا ، ولا معركة خسفين وبطولات رفاقنا واستشهاد سعد معاذ بطل هذه المعركة وأحد القادة المعروفين في

المنظمة ولا معركة العرقوب التي قادها الرفيق البطل الشهيد الاخضر العربي الا مرآة حية تعكس صفاء صورة فعاليتنا . ناهيك عن كثير من العمليات في عمق الارض المحتلة التي قام بها مناضلو الصاعقة وانتحلتها منظمات فدائية أخرى ونسبتها اليها وبقينا صامتين مثل المعركة البطولية التي خاضها رفاقنا ضد مبنى المخابرات الاسرائيلية في قلب مدينة رام الله والتي قتل فيها مدير مخابرات العدو .

اما عن ارتباط هذا الضعف بما سمي بضعف الجانب السياسي والجماهيري من عملنا فهو منطق مغاير اطلاقا للحقيقة فالمقاتل في الصاعقة يعي تماما لماذا يحمل بندقيته لانه قبل كل شيء ابن أمة تدافع عن قضيتنا وعن امانينا العريضة في الوحدة والحرية والاشتراكية . عقل يحمل بندقية دفاعا عن الارض والانسان .

أثار موقف الصاعقة من قضية مقتل وصفي التل دهشة شعبية واسعة . لان نقدكم للعملية لم يتركز حول جدوى هذا الاسلوب في العمل الثوري ، وهذه قضية مطروحة للنقاش دائما . بل تركز نقدكم حول ادانة العمل بالاساس . ما هو رأيكم ، وكيف تبررون هذا الموقف ؟

لم يكن للصاعقة موقف من قتل وصفي التل يثير الدهشة اطلاقا ، ولم تتصد الصاعقة لنقد عملية مقتل وصفي التل رغم أن هذا الاسلوب بالنسبة للحزب مدان وغير مقبول ، ولكن الصاعقة وقفت من عملية أغتيال وصفي التل موقفا خاصا علميا وموضوعيا لما يمثله وصفي التل من ارتباط وماض حافل بالعمالة والارتباط بعيدا عن العواطف والمزاودة ولكن الاجهزة المشبوهة حاولت ان تصور للصاعقة موقفا كما حلا لها ان تصوره طمعا في استغلاله ليس الا . ولكن الصاعقة كفصيل مشارك في مسيرة الثورة الفلسطينية ترى أن من حقها التساؤل فيما اذا كان هذا الاسلوب هو خط الثورة أم لا ؟ ومن الذي يقرر هذا الخط ؟ ان الصاعقة ترى أن من مصلحة الثورة عدم الانفراد بمثل هذا العمل الذي يمثل بحد ذاته مسارا جديدا للثورة الفلسطينية بعيدا عن جماعية انقيادة ، ونحن نؤمن بأن وصفي التل لا يمكن ان ينتهي الا بمثل هذه النهاية .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان

دراسة في القانونين المحلي والدولي

بقلم

انيس فوزي قاسم

١٧٣ صفحة — ٢ ل.ل.

الحديث الثاني : مع الاخ الدكتور عبد الوهاب الكيالي

نعتقد أن حركة المقاومة بحاجة الى وقفة امام تجربتها الماضية لتتمكن من تحديد الاخطاء ونقاط الضعف بهدف تجاوزها والارتفاع الى مستوى التحديات الحالية، فما هي القضايا التي ترى أنها جديرة بتركيز الاضواء عليها ؟ وما هو تحليلك لها ؟

في رأيي ان المقاومة عانت من ازمتين رئيسيتين الاولى هي الازمة الموضوعية ، اي أزمة فكرها الاستراتيجي العام ، والرؤيا الكاملة في تشخيصها لطبيعة الصراع القائم ، وفي فهمها لطريق النضال والارتفاع الى مستوى المعركة . فالمقاومة من حيث شرارتها ، ومن حيث مركز الثقل الاساسي فيها في المرحلة الحالية هي عبارة عن ردة فعل وتمرد ورفض للاوضاع العربية العامة ولواقع ازمة الثورة العربية ، أزمة حركة التحرر العربي التي تمثلت في القوتين الاساسيتين فيها واعني بهما عبدالناصر وحزب البعث العربي الاشتراكي . لقد ادركت المجموعة التي شكلت نواة المقاومة في مرحلة مبكرة ان قوى حركة التحرر العربي كانت شبه منصرفة عن معركة تحرير فلسطين ، اذ لم تكن هذه القوى في نضالها العام ضد الاستعمار وفي سبيل تحقيق التحرر الوطني والوحدة العربية في مستوى فهمها لمركزية القضية الفلسطينية في القضية العربية واحجمت عن خوض نضال خاص وكفاح يومي مسلح من اجل تحرير فلسطين . ولم تدرك اهمية النضال اليومي المسلح ضد الوجود الصهيوني في فلسطين ودوره الاساسي في تحقيق اهدافها الشاملة . ان هذا النقص الاساسي في حركة التحرر العربي يبرر الى حد ما قيام ردة الفعل الفلسطينية متمثلة بالمقاومة ، ولكن ردة الفعل هذه لا تشكل ثورة بحد ذاتها . التمرد ليس ثورة وان كان يشكل في كثير من الاحيان الارضية الصالحة لها . ومن هنا كانت بدايات المقاومة بدايات صحيحة ، ولكنها ليست كل الجواب المطلوب . لان ردة الفعل هذه تنكرت لايجابيات تجربة حركة التحرر العربي في ربع القرن الاخير وبالتالي فقدت منذ قيامها الكثير من امكانيات تطوير التمرد وردة الفعل الى ثورة شاملة قادرة على فهم استراتيجية التحرير وتعبئة القوى الكفيلة بانجاز مهام التحرير . كما انه من الضروري الاشارة الى ان هذا العامل الموضوعي الاساسي ارتبط منذ البدء ببعض البنى التكوينية وببعض الاشخاص وببعض الخلفيات . بحيث ان هذه الشرارة اغفلت ضرورة استيعاب تكامل وتفاعل الصراع القومي مع الصراع الاجتماعي من اجل تحرير الانسان الذي سيتولى مهمة تحرير الارض . وهكذا فان جوهر حركة المقاومة الموضوعي ، اي طبيعة المقاومة واثرها الفعلي في الاوضاع العربية ، هو اكثر سلامة واعمق ايجابية من منطلقها النظري ، وان كان لبعض الفصائل منطلقات نظرية سليمة .

هنا في الواقع ننفذ الى الازمة الثانية ، وهي الازمة الذاتية في المقاومة ، ازمة طبيعة القيادة ، طبيعة تجاربها الشخصية ، طبيعة خلفياتها العقائدية والطبقية ، وهذه بمجملها تشكل ازمة لان قيادة معركة تحرير فلسطين ليست بالامر اليسير وليست بالامر المتيسر للعاديين من البشر بل هي مهمة تليق بالقيادات التاريخية للشعوب ، وهذه القيادات بدون تحامل وبدون أدنى محاولة للتقليل من نضاليتها ليست تاريخية ، وقد أثبتت انها لا تستطيع أن تقود المعركة ، انطلاقا من الخطأ الاساسي المتمثل في فهمها لطبيعة الصراع ومعادلة التحرير ، وانطلاقا من أن تجاربها الشخصية قد ولدت لديها « حولا » هاما بحيث انها لم تستطع أن تستوعب معنى النضال الجماهيري العربي ضد الاوضاع الفاسدة القائمة في الوطن العربي والترابط المكين بين هذا النضال ومهمة تحرير فلسطين . ثم هناك مسألة التعدد والمنافسة . لقد افسحت

طبيعة الاوضاع القائمة في البلاد العربية المجاورة، ووضع شعب فلسطين المشرد الموزع، والتناقضات القائمة بين صفوفه وطبيعة قصر نظر ومحدودية الرؤيا عند بعض القيادات، افسحت المجال أمام التعدد . والتعدد ليس شيئا خارقا للطبيعة، ولكن المشكلة انه سمح لهذا التعدد ان يتحول الى منافسة غير موضوعية وضارة بحيث اخذت المنظمات تنحو ممارسات خاطئة بهدف المنافسة ، وبهدف المزاودة والمناقصة ، بحيث صرف الكثير من الجهد في هذا المجال ، عوضا عن ان يصرف في مجالات مقارعة العدو وتعبئة الجماهير وتنظيم القدرة الذاتية للمقاومة وزيادتها. المسألة اذن بحاجة الى مراجعة شاملة وجذرية، لا للاخطاء الثانوية ولا للممارسات العابرة بل لطبيعة منطلقات هذه المقاومة وفهمها لقواها وعمقها ومداها ، والاجابة على الاسئلة الاساسية: كيف يكون التحرير ؟ بواسطة من يكون التحرير ؟ ومتى يكون التحرير ؟ بدون الاجابة عن هذه الاسئلة لا نستطيع ان نبدأ الطريق الصحيح ، وتظل المقاومة اسيرة فهمها المحدود اسيرة نواقصها التي عانت منها ولا تزال .

الاسئلة الثلاثة التي طرحتها في نهاية حديثك ، ما هي الخطوط العامة المكونة لها ؟

اعتقد ان المسألة تبدأ بالسؤال : ما هو التحدي الصهيوني في فلسطين ؟ ما هي طبيعة التحدي الصهيوني في فلسطين ؟ وللاجابة على ذلك اقول ان التحدي الصهيوني في فلسطين هو ذروة المحاولة الاستعمارية للسيطرة على المنطقة العربية بأسرها عن طريق اخضاعها لمشيئة حامية صهيونية مسلحة متقدمة ، تمنع قيام الوحدة العربية وتمنع تحرير الجماهير العربية في سياق نضالها من اجل تحررها الذاتي ومن اجل وحدتها القومية . هذا هو الاطار الاساسي للصراع . وعندما يكون فهمنا للاطار الاساسي بهذا الافق التاريخي ، يتحدد الجواب على كثير من الاسئلة . المقصود بالاحتلال هو الجماهير العربية بأسرها ، جماهير الامة العربية بأسرها . وان يكون الشعب العربي الفلسطيني هو الضحية المباشرة ، لا يعني ان هذا الشعب هو الضحية الوحيدة المستهدفة . بقدر ما نفهم ما هو المقصود من هذه المؤامرات الاستعمارية او بهذا التحدي الاستعماري بقدر ما يحمل جوابنا على التحدي نفس الصفة التاريخية لهذا التحدي ، اي اننا اذا قلنا ان المقصود بالمؤامرة هي الجماهير العربية فمعنى ذلك ان الاستعمار قد حشد ما يكفي وسوف يحاول دوما ان يحشد ما يكفي لمواجهة رد فعل الجماهير العربية على هذا التحدي . وبالتالي فان اي محاولة او اي فهم يقول بأن المقصود هم الفلسطينيون فقط ، او هم بشكل رئيسي ، معنى ذلك ، اننا سنعتمد في ردنا على التحدي على الفلسطينيين دون سواهم من الناس ، ومعنى ذلك اننا سنظل نلهث وراء قيام ما أسميه بمعادلة التحرير . معادلة التحرير باختصار وببساطة تكون قائمة عندما نحشد من القوى والامكانيات ما يفوق ما حشدته القوى المعادية في حربها معنا وذلك على المدى الطويل . ان القوى المعادية هي الاستعمار ، زائدا الصهيونية زائدا كل القوى العربية الرجعية منها والمستسلمة التي تتحرك ضمن فلك هاتين القوتين . مقابل ذلك لا يمكنك ان تضع الشعب الفلسطيني كمعادل ومساو لهذه القوى العالمية الكبيرة ، ان العنصر الاساسي في المعادلة من جهتنا نحن هو جماهير الامة العربية بأسرها ، وان هذه الجماهير هي وحدها القادرة بدعم من جميع قوى التحرر في العالم على مواجهة هذا التحدي . ولكن هذا لا يلغي في رايي دور الشعب العربي الفلسطيني كطليعة لتفجير قوى الجماهير العربية ، وللمزيد من تحديد مسارها الجاد ازاء طريق التحرير لاسباب بشرية وجغرافية وتاريخية ومنطقية . الجماهير الفلسطينية هي رأس الرمح اما الرمح فهو الجماهير العربية . ان هذا الفهم يجيب في رايي على الكثير من الاسئلة بل على معظم الاسئلة .

الموضوع في الاساس هو كيف تستطيع ان تفجر الطاقات العربية وان توجه مسيرة التاريخ العربي المعاصر نحو التحرير من خلال التوجه الى المقاومة ، مقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين ، المسألة انه حتى تتحرر فلسطين ، لا بد من ان يتحرر الانسان العربي ويصبح عنده ما يكفي من الوعي والقدرة والامكانية ، من حيث التنظيم ومن حيث الفكر ومن حيث الانتاج ومن حيث تحرير العلاقات الانسانية . وعندها يصبح قادرا على تنفيذ ارادته في تحرير فلسطين ، فعملية التوجه نحو فلسطين ، هي في نفس الوقت عملية توجه نحو تحرير الجماهير العربية ونحو تحرير الاوضاع العربية . فالنضال لتحرير فلسطين يضع الاوضاع العربية في مواجهة الازمة ، وفي جو الازمة تتعرى المؤسسات البالية . وتتكشف طبيعة التآمر القائم من خلال بنية التجزئة ، ومن خلال الحكومات الفوقية البعيدة عن الجماهير والتي لا تريد تحرير الجماهير لان تحرير الجماهير يعني انهيارها كحكومات وطبقات حاكمة .

على ضوء هذا الفهم كيف يمكن تقييم العلاقات التي اقامتها فصائل حركة المقاومة مع الحركة الوطنية العربية سواء كانت في السلطة أو في الشارع ؟

لا بد من الانطلاق في هذا المجال من نقد حركة التحرر العربي لا من نقد المقاومة . وانني اعتقد أن المسؤولية الاساسية في تحرير فلسطين ، من خلال التشخيص لطبيعة المعركة ومن هو المقصود بالمؤامرة،تقع على عاتق حركة التحرر العربي.وبقدر ما اخطأت حركة التحرر العربي وقصرت في التوجه نحو فلسطين وفي فهم مركزية القضية الفلسطينية داخل القضية العربية بقدر ما اخطأت في حق نفسها ومهدت الطريق امام قيام ردة فعل منحرفة لايجابياتها قبل سلبياتها . المسؤولية تقع على الحركة الام التي هي حركة التحرر العربي . لكن هذا لا يعفي المقاومة الفلسطينية من التقصير الشديد ازاء فهمها لطبيعة علاقتها وتوجهها نحو الحركة الام التي هي حركة التحرر العربي . لقد نظرت طليعة المقاومة او شرارتها (لاسباب كثيرة لا اود الدخول في تفاصيلها) الى حركة التحرر العربي على أساس انها عالم اخر ومسألة اخرى ، وبالتالي اخذت شرارة المقاومة المعاصرة تبني نفسها خارج اسوار حركة التحرر العربي . ومن هنا لم تنشأ بالفعل علاقة صحيحة بسبب الازمة الذاتية عند حركة التحرر العربي والازمة الذاتية عند المقاومة . واذا اردنا ان نحدد طبيعة التقصير نقول أن حركة التحرر العربي لم تزل تتخبط في ازمتها بدليل انقساماتها وتبعثر قواها واقتتال قواها ايضا.وبعض فصائل حركة المقاومة الفلسطينية لم تفهم من حركة التحرر العربي ودورها سوى التصفيق او جمع الاموال ولم تنظر اليها على انها افضل من الحكومات العربية، حتى الرجعية السافرة منها. فمن هذا الفهم نرى ان الهوة شاسعة . والطريق الى تصحيح هذه الناحية بالذات يأخذ شكلين الشكل الاول ان تنمو الدعوة داخل صفوف حركة التحرر العربي الى وضع صيغة جديدة تحدد الفهم المشترك بين فصائل حركة التحرر العربي وجماهيرها لقضية فلسطين ولمركزية القضية الفلسطينية في النضال العربي من اجل تحرير الجماهير ومن اجل تحقيق الوحدة العربية ولقيام جبهة تضم كافة قوى التحرر العربي تضع فلسطين في مركز عملها وبرنامجها ، وتعمل على أساس ان التوجه نحو فلسطين هو توجه امة محتلة نحو تحرير اراضيها ، تماما كما كانت حركة التحرير الوطني الجزائري تنظر الى ان الجزائر محتلة على الرغم من ان ثلاثة ارباع الجزائر لم يكن بعد اندلاع الثورة محتلا، وكانت تسير الامور بعقلية التحرير لكامل الارض الجزائرية ولمصلحة التحرير الشامل . اي ان على حركة التحرر العربي ان تعتبر نفسها حركة وطن محتل لا حركة وطن احتل جزء منه وحسب ، فمن منطلق وحدوي حقيقي لا يجوز ان ننظر الى الاحتلال الصهيوني لفلسطين على انه احتلال لجزء من الوطن ، فاحتلال الجزء هو احتلال للكل ، والجزء غير

غولدمان وتركه يتحدث عن الصهيونية طالما ان آراء الرجل لا تتفق « مع أفكارنا وآرائنا بشأن الصهيونية »(٢).

ولا غرو فان جذور الخلاف بين الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية والاوساط الحاكمة في اسرائيل ترجع الى فترة مبكرة من قيام الدولة . فقد نشب النزاع بين غولدمان وبن غوريون حول مسألة بقاء الصهيونيين خارج اسرائيل وحقهم بالمشاركة مع الدولة اليهودية في تقرير الشؤون المصيرية . وتصاعدت نقمة الحكومة الاسرائيلية على ناحوم غولدمان في ربيع العام ١٩٧٠ ، اثر احباط المبادرة التي أخذها على عاتقه لترتيب لقاء مع الرئيس الراحل عبد الناصر . حتى ان الجنرال عيزر وايزمان (قائد سلاح الجو الاسرائيلي سابقا ، وعلى رأس وزارة المواصلات في الحكومة الائتلافية ، والرئيس الاداري لحركة حيروت حاليا) في تحليله لمرحلة حرب الاستنزاف ، اعتبر « الغولدمانية » بمثابة احدى الظواهر المميزة لذلك الجو البائس الذي خيم على اسرائيل في مستهل صيف ١٩٧٠(٣).

لكن اتهام غولدمان بالهرطقة ينعكس على الموقف الاسرائيلي داخل الحركة الصهيونية ، مثلما انه يشير الى التوقعات التي تعلقها الاوساط الحاكمة في اسرائيل على دور المنظمة الصهيونية العالمية في المرحلة الراهنة والقادمة . وقد تبدى ذلك بوضوح في مناقشات المؤتمر الثامن والعشرين والازمة التي نشبت حول بعض قراراته النهائية . فالشي الذي يمكن استخلاصه من تحليلات المراقبين والعارفين ببواطن الامور الصهيونية والاسرائيلية هو ، أولا ، ان الموقف الذي أعلنه غولدمان بشأن اليهود السوفيات — لئلا تطغى مسألة تهجيرهم الى اسرائيل على الاهتمام بضمان حرياتهم وحقوقهم الدينية كأقلية قومية في الاتحاد السوفياتي — هو موقف لا يتنافى ابدا مع برنامج المنظمة الصهيونية(٤) ، وثانيا ، ان الاوساط الحاكمة في اسرائيل اغتنمت مناسبة التصريح الذي تفوه به غولدمان لكي تقضي على رصيده الصهيوني داخل الحركة وتسحب منه الثقة كضابط اتصال بين الحكومة الاسرائيلية والاتحاد السوفياتي . ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض المؤيدين لناحوم غولدمان ، في اسرائيل وخارجها ، سارعوا الى الوقوف بجانبه وتوجيه الانتقادات الشديدة للخطوة التي اقدمت عليها الاجهزة الصهيونية المسؤولة بوحي من دوافع صادرة عن الاوساط الحاكمة في اسرائيل . حتى ان صحيفة « معاريف » ألمحت في تعليقها على المؤتمر الذي شاعت له الجهات الاسرائيلية النافذة ان ينعقد في ظل انشغالها الهستيري بقضية الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي ، فقالت ما مؤداه : « ينبغي للحركة الصهيونية في الخارج ان تولي اهتمامها المتزايد لمسائل التربية اليهودية ودروس تعليم اللغة العبرية وغرس « الوجدان اليهودي » في نفوس الناشئة ، بدلا من الانشغال بمشكلة الهجرة . اذاك تصبح الهجرة الى اسرائيل نتيجة منطقية ، ولن تحتاج الى عمليات دعائية واسعة النطاق»(٥). كما أقدم نفر من شبيبة المابام داخل قاعة المؤتمر على توزيع المنشورات ورفع يافطة بتأييد غولدمان ، والمطالبة بعودته الى منبر المؤتمر الصهيوني(٦).

لكن المندوبين التابعين لحركة حيروت — هتسوهار انتظروا حتى المرحلة الاخيرة للمؤتمر فتقدموا بمشروع قرار ينص على توجيه اللوم الشديد الى الدكتور ناحوم غولدمان بسبب نشاطه السياسي الذي يتعارض مع الخط الرسمي للسياسة الاسرائيلية (ن. م. د. ف ١/٢/٧٢) . وتجدر الملاحظة هنا الى ان مشروع القرار هذا قوبل بالرفض من جانب الاكثرية ولم ينل العدد اللازم من الاصوات لاعلانه قرارا صادرا عن المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين . كما لا يخفى بان القضاء التام على نفوذ غولدمان داخل المنظمة العالمية معناه غلبة القوى الصهيونية العاملة بتوجيه الاوساط الحاكمة في اسرائيل

الحوار بين عناصر الشباب والقيادة التقليدية داخل الحركة الصهيونية ، فلا يعني ذلك ان الازمة القائمة أصبحت في حكم المنتهية . بل ان كافة الدلائل تشير الى المخاوف التي تساور القيمين على شؤون الحركة الصهيونية من خروج الجيل الناشىء عن طاعتها التقليدية والتزامه بمواقف لا تتفق مع الخط الرسمي ، وتأبى الانصياع للسياسات التي تمليها حكومة اسرائيل .

غير ان المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين واجه مشكـلات من طراز آخـر وبالنسبة للتناقضات القائمة في المجتمع الاسرائيلي . فالى جانب اهتمامه الرئيسي بقضية الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي وكيفية تأمين الموارد المالية اللازمة لسد نفقات التهجير والاستيعاب والاستيطان والتأهيـل ، قامت المنظمة الصهيونية العالمية ومعها المؤتمر بادراج مشكلة التوتر الاجتماعي والصعوبات التي يعانيها اليهود الشرقيون في اسرائيل على جدول الاعمال . ويبدو انها المرة الاولى في تاريخ الحركة الصهيونية ان يعمد المؤتمر الى تشكيل لجنة خاصة لمعالجة المشكلات الاجتماعية في الدولة الصهيونية .

الفهود السود والمهاجرون الجدد

رافقت جلسة افتتاح المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين تظاهرة صاخبة قامت بتنظيمها جماعة الفهود السود وانضمت اليها بعض الفئات اليسارية . وكان الفهود السود قد طلبوا ان يتم تمثيلهم في المؤتمر لكي يتسنى لهم عرض شكاويهم أمام سائر المندوبين عن التمييز الحاصل ضدهم ولصالح المهاجرين الجدد . غير ان اللجنة التنفيذية الصهيونية ابلغتهم بأن حق الكلام داخل جلسات المؤتمر هو امتياز يتمتع به المندوبون المنتخبون فقط. وفي اسرائيل يتم اختيار المندوبين الى المؤتمر الصهيوني عن طريق الاحزاب وتبعا لنسبة تمثيلها في الكنيست . لذا اشارت اللجنة التنفيذية علـى الفهود ان يقوموا بتلخيص مطالبهم ومشاكلهم وتقديمها مكتوبة الى امانة المؤتمر . لكنهم رفضوا اسلوب التهدئة وامتصاص النقمة ، ولجأوا الى مهاجمة المنظمة الصهيونية العالمية بشدة وعنف. فعمدوا الى توزيع مناشير جاء فيها ما يلي : « عندما كنا في الخارج اغدقتم علينا الوعود التي تنبىء بكل خير ، لا لشيء الا لكي تحملوننا على المجيء الى اسرائيـل فحسب . لقد وعدتمونا بتحصيل تربية جيدة ، لكنكم في الواقع جعلتم منا مجرمين . وخلقتم منا شبابا تنقصهم الثقافة وشبيبة تعاني الاذلال والانسحاق ، لا بل جيلا من الشبان الذين تعوزهم التربية والتعليم ... تعهدتم لنا بالسكن في منازل لائقة ، ثم حشرتمونا في أماكن ملأى بالاكواخ واحياء قذرة . انتم تبذلون قصارى جهدكم لكي توفروا المساكن لليهود الروس، ثم يأتي من يقول لنا انكم لا تملكون المال اللازم ... »(١٨).

ثم دعوا مؤيديهم للاشتراك في تظاهرة ضد المؤتمر الصهيوني والاعراب عن سخطهم على موقف الحركة الصهيونية ومن ورائها حكومة اسرائيل . فالاهتمام الكاسح الذي توليه الاوساط الحاكمة لقضية هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي اثار نقمة الفهود السود ونبههم من جديد الى سوء المعاملة التي يلقونها على يد الاوساط الحاكمة في اسرائيل ، حيث ترجح الكفة لصالح اليهود الغربيين بصورة فاضحة للغاية . واستقدام اليهود من الاتحاد السوفياتي يعني محاباة من جانب السلطة ، لانها تؤمن للمهاجرين الجدد أماكن للسكن على حساب الآخرين، اي دون الالتفات الى مطالب اليهود الشرقيين الذين يعانون من الحرمان ولا توجد مدارس كافية لتعليمهم . ليس من المستغرب ، اذن ، ان يشعر الفهود السود بأن المنظمة الصهيونية التي حفزتهم للمجيء الى اسرائيل قد غررت بهم وخدعتهم . فالحديث الطاغي على جلسات المؤتمر وفي أروقة المكان هو عن هجرة اليهود الروس وكيفية تأمين الاموال اللازمة لكي تتمكن اسرائيل من استيعابهم وتأهيلهم .

غير ان السلطات الاسرائيلية بادرت الى اتخاذ احتياطات مشددة على صعيد الامن .

واذا كانت التظاهرة التي قام بها الفهود السود وانصارهم قد استقطبت حوالي ٢٠٠ شخص (وهناك مصادر ترفع العدد الى ٣٠٠) فان قيادة الشرطة حشدت في القدس حوالي ٤٠٠ شرطي جرى استقدامهم من كافة انحاء البلاد . كل ذلك للحيلولة دون تعكير صفو الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين . واستعمل الشرطيون هراواتهم في قمع التظاهرة ، كما لجأوا الى خراطيم المياه وفرق الخيالة واستخدموا اقسى الاساليب في تفريق المتظاهرين ، علما بأن القوى لم تأت متكافئة على الاطلاق . حتى ان قوات الامن اعتقلت أحد الصحافيين بالاضافة الى واحد من مندوبي المؤتمر . وهناك مندوب ثان فاجأته الاشتباكات وهو في طريقه الى المبنى فخرج منهـا بذراع مكسورة . مما حدا بمراسل المانى الى اجراء مقارنة بين اندفاع رجال الشرطة لتفريق التظاهرة أمام مبنى انعقاد المؤتمر الصهيوني وبين تحفظهم وتراجعهم ابان الاسبوع الثقافي الالماني ، عندما انهال فريق من الشبان اليمينيين والمتطرفين بسيل من الشتائم والاهانات على نفر من اليهود الناجين من معسكرات الاعتقـال النازية ونعتوهـم بـ « النازيين »(١٩) .

اما الخطبة الافتتاحية التي القاها آرييه بينكوس أمام مندوبي المؤتمر ، وعقب قيام قوات الامن بقمع التظاهرة واعتقال عدد كبير من المتظاهرين، فقد جاء فيها ان المؤتمر الصهيوني يقود اليوم معركة حياة وموت في سبيل مصير اليهود السوفيات . ولذا وجد بينكوس ان الظروف الراهنة تدفعه الى مناشدة جميع اليهود المقيمين خارج اسرائيل لكي يضاعفوا مساعداتهم المالية للدولة الصهيونية . بينما كانت غولدا مئير قد سبقته في خطابها « امام المؤتمر العالمي الرابع للاتحاد العبري » ، والمنعقد في تل ابيب، فناشدت اليهود في البلدان الغربية ذات الرخاء والبحبوحة أن يقتدوا باليهود السوفيات ويهاجروا الى اسرائيل . واستطردت رئيسة الحكومة للاعراب عن رأي مفاده ان تدفق مليون آخر من المهاجرين على اسرائيل من شأنه الحيلولة دون نشوب حرب جديدة في الشرق الاوسط ، لانه سوف يردع العرب ويقنعهم بعدم جدوى النزاع والقتال(٢٠) .

على ان تظاهرة « الفهود السود » تكتسب دلالات بعيدة المدى ازاء الخلفية التي يصدر عنها موقف اليهود الشرقيين والسفارديين من الحركة الصهيونية والاوساط الحاكمة في اسرائيل . فالمنشور الذي قام الفهود بتوزيعه يعرب عن خيبة أمل مريرة من الوعود التي نثرتها الحركة الصهيونية وأجهزتها بقصد حملهم على المجيء الى الدولة اليهودية . وهناك نقمة شديدة في أوساط اليهود السفارديين خارج اسرائيل ، لا سيما في فرنسا ، حيث يحتشد عدد كبير من يهود شمال افريقيا ولا يريد هؤلاء ان يجازفوا بالهجرة الى اسرائيل خوفا من المعاملة السيئة التي يلقاها اليهود الشرقيون .

فقد نشرت صحيفة « لوموند » في باب « الراي الحر » مقالة تحت عنوان « نحن يهود الكهوف » (٧٢/١/١٩) . وكاتب المقالة هو صموئيل زريبيب ، أحد أعضاء المجلس الملي للطائفة اليهودية في تونس سابقا . كما انه من المندوبين الذين حضروا المؤتمر العالمي الاول لليهود السفارديين والاجتماعات التي عقدتها منظمة الصهيونيين العموميين لشمال افريقيا واوروبا في باريس . ومما كتبه زريبيب بمناسبة انعقاد المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين ، في معرض الاشارة الى برنامج القدس (١٩٦٨) ، هو التذكير بما يلي : « اذا كانت دولة اسرائيل هي مركز الوسط في الحياة اليهودية ، ينبغي لليهودي اذن ان يهتم ايضا بالحياة في دولة اسرائيل . واذا كان ينبغي توحيد الشعب اليهودي في الشتات، فهناك حجة اقوى لتوحيد هذا الشعب داخل دولة اسرائيل . ولئن كان الواجب يدعو الى الحفاظ على هوية الشعب اليهودي وأصالته خارج اسرائيل ، فمن الواجب ايضا افساح المجال أمام هذه الهوية لكي تعبر عن نفسها تعبيرا كاملا في اسرائيل بالذات ، وسواء كانت هوية اشكنازية أم سفاردية » . وفي معرض رده على تصريح أدلت به غولدا مئير

الى مراسل صحيفة « لوموند » ، حيث أجابت عن سؤال يتعلق بانعدام التكافؤ بين القوة العددية لليهود الشرقيين والسفارديين في اسرائيل وبين نسبة تمثيلهم في جهاز الحكم والمراكز القيادية للدولة بالاشارة الى العادات المتأصلة لدى هؤلاء والى عجزهم عن المشاركة في ادارة الدولة الى جانب الاشكنازيين ــ يخاطب زريبب جميع الذين يشاطرون رئيسة الحكومة الاسرائيلية هذا الراي بقوله : « لو ان موازنة التربية الوطنية سارت على الايقاع التصاعدي ذاته لموازنة الدفاع ، لكانت الجامعات الاسرائيلية تضم الان نسبة من الطلاب المتحدرين من أصول سفاردية تفوق نسبتهم الحالية من ٨ بالمائة ... ولكان عدد « الفهود السود » قد تضاءل كثيرا في شوارع القدس »(٢١).

فهل تنوي المنظمة الصهيونية العالمية معالجة المشكلة الاجتماعية داخل اسرائيل ، وهل تستطيع ذلك دون الاصطدام برغبات الحكومة الاسرائيلية وسياسة الاولويات التي اختطتها لنفسها ؟ أم ان التناقضات سوف تزداد حدة ازاء الاهتمام الطاغي باسترضاء اليهود السوفيات وتشجيعهم على البقاء في الدولة الصهيونية ؟ هذا مع العلم بأن الامور لا تسير على خير ما يرام مع المهاجرين الذين وفدوا حديثا من الاتحاد السوفياتي . فقد تبين ، مثلا ، ان هؤلاء المهاجرين الجدد حصلوا على بعض التمثيل في المؤتمر الصهيوني. لكنهم اصيبوا بخيبة أمل واعربوا عن استيائهم من « المكانة الدنيا » التي أعطيت لهم في تركيب المؤتمر . والظاهر انهم كانوا يأملون بالحصول على نسبة أوسع من التمثيل مع ضمان كامل لحقهم في التصويت على القرارات(٢٢).

تهديدات الحاخام كهانا

لم ينفرد الفهود السود بطلب تمثيلهم لدى المؤتمر والاستماع الى شكاويهم ، بل ان الحاخام كهانا ــ زعيم رابطة الدفاع اليهودية ، الذي قرر الاقامة في اسرائيل مؤخرا ــ أراد اسماع صوته والترويج لافكاره أمام المندوبين . فقد هدد كهانا وانصاره بتعطيل جلسات المؤتمر وعرقلة أعماله ، ما لم تتمثل الرابطة في المؤتمر الصهيوني ويعطى لمندوبها حق الكلام . لكن أوساط اللجنة التنفيذية رفضت الاستجابة لطلب الرابطة ، بحجة ان الرابطة المذكورة كان لديها الوقت الكافي في الولايات المتحدة لكي تنضم الى المنظمة الصهيونية الاميركية فتكتسب بذلك حق التصويت والكلام . بينما صرح الحاخام كهانا بأنه رفع الى المنظمة الصهيونية في أميركا الفي توقيع لتحقيق الغرض المشار اليه . وردت اوساط مسؤولة لدى المنظمة الاميركية بقولها ان الطلب المقدم من رابطة الدفاع اليهودية كان يحمل ٥٠٠ توقيع وليس الفين ، كما جرى تقديمه بعد انقضاء المهلة القانونية . غير ان هذه التبريرات لم تقنع مئير كهانا وجماعته على ما يبدو ، لا سيما وانه ضمن التأييد من اوساط تنتمي الى حركة حيروت ــ هتسوهار . فقد أصر لدى وصوله الى اسرائيل على تنفيذ القسم التالي : « اما ان يتاح لي التحدث أمام المؤتمر ... أو ينتهي بي الامر الى السجن . لا توجد سبل اخرى » . وهدد باللجوء الى التظاهرات والاساليب المعهودة عنه وعن جماعته . كما ترامى الى الاسماع بأنه لا ينوي الاكتفاء بترديد معزوفته الشائعة عن اليهود السوفيات فحسب ، بل سوف يعمد الى اثارة مسألة « الابادة » التي يتعرض لها اليهود الاميركيون بفضل خطر الاندماج والتماثل ! ويقول تافور ان الحاخام كهانا أراد عرض مشروعه على المؤتمر الصهيوني ، وهو المشروع الرامي الى اجلاء اليهود الاميركيين ونقلهم الى اسرائيل !

غير ان المؤتمر لم يستجب لمطالب الحاخام مئير كهانا . ورغم المؤازرة التي نالها من جانب المندوبين التابعين لحركة حيروت وانصارها ، فقد صوت المؤتمر الصهيوني في جلسة ضمت كافة المندوبين ضد الاستماع الى آرائه ومشاريعه. وكان مشروع الاقتراح الداعي الى السماح له بالكلام صادرا عن اوساط المندوبين الذين يمثلون حيروت . لكن تهديدات

كهانا لم تنفع ، وبقيت دون تنفيذ ، حتى انه أعلن في أعقاب نتيجة التصويت عزمه على استئناف القضية امام محكمة المؤتمر الصهيوني لكـي تلفظ حكمها . وعلقت مجلـة « نيوزويك » على تهديد كهانا باللجوء الى حلين لا ثالث لهما ، فقالت : « تبين ان هناك سبيلا أخرى . فقد صوت المندوبون ضد الاستماع اليه . ولم يقم بأية محاولة لاقتحام منبر المؤتمر بحجة اثارة « قضية الابادة التي تواجه اليهود الاميركيين » .

ومما تجدر الاشارة اليه ان انعقاد المؤتمر لم يشهد تظاهرات الفهود السود وتهديدات الحاخام كهانا فحسب ، بل تخللت جلسته الافتتاحية ظاهرة صدرت عن بعض الفئات اليسارية التي رفعت شعارات مناوئة للصهيونية وانضمت الى جماعـات « الفهود السود » ابان التظاهرة .

قرارات وتصريحات

واستمع المؤتمر الصهيوني الى تهديدات من نوع آخر ، أطلقها وزير الدفاع الاسرائيلي ــ موشيه دايان ــ في خطابه مناشدا العرب اعتماد « التعقل » . فقد كـرر الموقف الاسرائيلي الرسمي من حل النزاع القائم ، ودعا العرب الى تعديل موقفهم الاساسي من النزاع . ثم استطرد قائلا بأن انتصار اسرائيل العسكري لن يسفر عن ايجاد التفهم لدى العرب او التفاهم معهم ، حتى ان المشكلة لم تعد مشكلة عسكرية وليس لها من حل بالطرق العسكرية . وفيما يتعلق بالصهيونية ، أردف دايان بقوله : « جاءت الصهيونية لتصحيح مظالم الماضي ومساوئه ، كما جاءت لكي تضمن مستقبل الشعب اليهودي . وبينما كان على اسرائيل في الماضي ان تقلق بشأن كيفية الدفاع عن نفسها ، فان القاهرة ودمشق هما اليوم اقل مناعة من تل ابيب او بئر السبع . اما المسائل العائدة للهجرة اليهودية او لانشاء مستوطنات جديدة فهي تخضع للقرارات الاسرائيلية دون حاجة الى أخذ موقف العرب في الحسبان »(٢٣) .

كما ذكر شلومو هيلل ، وزير الشرطة الاسرائيلي ، امام اعضاء المؤتمر بأن عدد اليهود الذين غادروا البلدان العربية الى اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ يصل الى قرابة ٨٠٠ الف يهودي ، وان ستين الف يهودي ما زالوا يعيشون الان في البلدان المشار اليها .

وعندما عقد المؤتمر جلسة خاصة للاستماع الى بن غوريون بمناسبة بلوغه الخامسة والثمانين من العمر ، بادر الزعيم العجوز الى تكرار معزوفته التقليدية عن الدهشة والاستغراب لتوجيه مثل هذه الدعوة اليه ، بقوله : « انا لست حتى من الاعضاء المنتمين الى المنظمة الصهيونية » . والمعروف ان بن غوريون استقال من عضوية المنظمة قبل عقدين من السنين . لكنه ، رغم الاستقالة ، لم يتخلف عن تلبية الدعوة منذ ذلك الحين. هذا وقد عدد بن غوريون ثلاثة مشاريع رئيسية ينبغي لاسرائيل ان توليها اهتمامها : اولا ، ان اسرائيل لن تكون اسرائيل بدون وجود اكثرية الشعب اليهودي للعيش فيها . ولذا فالامر يحتاج الى هجرة يهودية تحمل ما يتراوح بين ٥ و٦ ملايـين يهودي الى اسرائيل . ثانيا ، التطوير الكامل والاستيطان التام لصحراء النقب . وثالثا ، احلال السلام مع جيران اسرائيل العرب(٢٤) .

ولقد كتب احد المعلقين في المانيا الغربية (عمانوئيل بيرنباوم) تعليقا تحت عنوان « لا يرغب كل اليهود في الذهاب الى اسرائيل » ، فأشار الى ان الذين يتعاطفون مع اسرائيل من يهود العالم ليسوا بحاجة الى الاستيطان فيها . واعـاد الى الاذهـان قصة البارون روتشيلد الذي تبرع بأموال كثيرة للدولة اليهودية ؛ وعندما سئل عن المنصب الذي يتطلع اليه في الدولة العتيدة ، أطلق اجابته الشهيرة : « سفيرا لاسرائيل في باريس » . ثم انتقل الى الرد على مشروع بن غوريون القديم ليؤكد ان استصلاح النقب واستخصابه هو مسألة لها حدود تفرضها الطبيعة . هذا بالاضافة الى المساعدات المالية البارزة التي

غير الصهيونيين في ادارة الوكالة انها اتاحت المجال لتشكيل لجنة عالمية تهتم بأمور الجباية في الخارج . واستطرد بينكوس قائلا : « كان هناك حتى الآن جباية خاصة بكل بلد . وسوف يتغير الان طقم العاملين في جمع الاموال ، من خلال المعرفة والخبرة ، لكي يصار الى استعمال اساليب جديدة . كما انه سيقام معهد خاص لتدريب الاشخاص المولجين بجباية التبرعات ... »(٣٢).

وتجدر الاشارة هنا الى تعديلات اخرى جرت على صعيد التنظيم داخل الحركة الصهيونية العالمية ، وتمشيا مع القرارات المتخذة في المؤتمر السابع والعشرين . فالتعديل الاول تميز بتشكيل « الفدرالية الصهيونية الاميركية » وانضمامها الى عضوية المنظمة العالمية . والمعروف ان هذه الفدرالية تتألف من المنظمات الصهيونية الرئيسية في الولايات المتحدة ، كما تبلغ عضويتها المجتمعة ما يزيد على نصف مليون شخص . أما التعديل الثاني ، فهو انشاء « المجلس الصهيوني لاسرائيل » ، حيث يخضع تركيب هذا المجلس لتوزيع القوى بالنسبة للاحزاب الاسرائيلية .

اما المؤتمر ككل ، وبالنسبة للمشكلات الكبرى التي ادرجها في جدول اعماله ، فانه خيّب الآمال الكثيرة ، بنظر المراقبين . فالشخص العادي في اسرائيل اظهر اللامبالاة حيال مناسبة صهيونية بمثل هذه الاهمية . والصحافة لم تتردد في توجيه النقد الشديد احيانا . بينما جاء الانذار ، الذي صدر عن عناصر الشباب الصهيوني العامل بوحي من الجهات النافذة في اسرائيل ، وخاطب قدماء الصهيونيين بلهجة قرار مؤداه : « تعالوا الى اسرائيل او تخلوا عن مناصبكم » ليضع الحركة الصهيونية على حافة الانشقاق . وفيما يتعلق بهجرة اليهود السوفيات ، ثمة دلائل تشير الى ان هذه الظاهرة تنطوي على نقمة ، جنبا الى جنب مع « النعمة » التي تتوسمها اسرائيل . فالحلم ، على حد قول احد المراقبين ، يحمل معه عناصر الكابوس المزعج !

ولقد أوجز احد المراسلين الالمان في اسرائيل حصيلة المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين لجهة التوقعات والمنجزات على النحو الآتي : « القرارات وحدها تكفي لكي يرى المرء ان المؤتمر لم يحقق الآمال التي علقها عليه المتفائلون : فقد تنبأ دعاة التفاؤل مسبقا بان المؤتمر سوف يولي اهتمامه على نطاق واسع جدا للمشكلات الاجتماعية بداخل اسرائيل . كما تنبأوا ايضا بان عنصر الشباب سوف يأخذ مبادرة الكلام واثبات الوجود في هذا المؤتمر اكثر من ذي قبل . لكن الامور سارت على غير ما اشتهته رياح التنبؤات »(٣٣).

ان « صهيونية الآباء » لم تجد نهايتها على يد الابناء في المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين . ومهما هبطت أسهم « الصهيونيين المحترفين » لدى دعاة « الصهيونية المنسجمة مع نفسها » و« الهادفة لتحقيق الهجرة الذاتية الى اسرائيل » ، فان المنظمة الصهيونية العالمية لا تستطيع الاستغناء عن الآلاف من سفرائها في شتى انحاء العالم ، كما ان اسرائيل لن تكون اسرائيل بدونهم خارجها .

ملاحظة — جرى الاعتماد في اعداد هذه المقالة عن المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين على الصحف الاجنبية بالدرجة الأولى ، ولا سيما الصحف الصادرة باللغة الالمانية . كما تم الرجوع الى « نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية » ، منذ صدورها وحتى تاريخه ، لاستقاء المعلومات واقتباس التصريحات المتعلقة بشؤون الحركة الصهيونية والاطار الخلفي لمناسبة انعقاد المؤتمر الاخير . ومما يسترعي الانتباه ان معظم الصحف الاجنبية الكبرى قد اولت المؤتمر الصهيوني اهتمامها البالغ ، فنشرت التقارير والانباء المفصلة لمراسليها الذين تابعوا اعمال المؤتمر وافاضوا في الحديث عن المشكلات التي واجهها والازمة التي عصفت به ابان جلسته

وقد ادت المناقشات المضادة التي عرضها الاسرائيليون الى عمل دعائي مشوش وضبابي. وكان اول هجوم على مجلس الامن ، زعموا فيه أن خمسة من اعضائه « يصوتون دائما الى جانب العرب كرها باسرائيل » ، وكالتاجر اليهودي في العديد من القصص الشعبية، فان اسرائيل « تقف وحيدة ليس لديها سوى ذكائها » تجابه به الاخرين . وزعم الاسرائيليون أيضا ان ما قاموا به كان مشروعا ما دام الاردنيون كانوا البادئين بخرق وقف اطلاق النار . وقد ركزت الصحيفة ، رغم التناقض في كلامها ، على مسؤولية حسين في تطبيق وقف اطلاق النار لا فرق ان كان يؤيد الفدائيين او ان زمام سيطرته عليهم قد فلت من بين يديه . والاكثر احتمالا ان الجيش كان يعتقد بأن حسين فقد سيطرته على الفدائيين لان المزاعم كلها كانت تؤكد ان الغارة كانت تهدف فقط الى تدمير قاعدة الفدائيين، فهذا كان الاسلوب الوحيد المقبول به سياسيا . فلو اعترفت اسرائيل بأن هجومها كان موجها ضد القوات الاردنية في وقت اعلن فيه حسين عدم مسؤوليته عن اعمال الفدائيين ، سيدرك العالم مباشرة ان اسرائيل لم تهاجم الكرامة في اذار ١٩٦٨ فحسب، ولكنها ايضا هي التي بدات بالعدوان في ١٩٦٧ . وباظهارهم لحسين كبطل فدائي يحاولون التقليل من الاحترام الذي يكنه له الغرب لانه اكثر الزعماء العرب ميلا الى الغرب .

وكان التناقض الذي تميز به الاسرائيليون في وصفهم للفدائيين الفلسطينيين هو العمل الدعاوي الوحيد الذي فاق ازدواجيتهم في تصوير حسين أمام الغرب. فغالبا ما يصورون الفدائيين وكأنهم عبارة عن عصابات عاجزة وغير محترفة ، ويأبون ان يعترفوا امام العالم بقدرة الفلسطينيين المشردين على تجميع انفسهم في حركة تحرير فعالة ومتفانية. ولكنهم لم يجدوا ما يبررون به حجم الغارة على الكرامة سوى بتصوير الفدائيين كخطر حقيقي عليهم . لذا ، فتصوير الفدائيين ايضا يتارجح بين كونهم مجرد ازعاج بسيط وبين كونهم مجموعة من الرجال الاشداء الذين يهددون بتدمير اسرائيل ولن يحول دون ذلك سوى القيام بغارة كبيرة تستخدم فيها الدبابات وطائرات الهليوكبتر والقاذفات النفاثة . واذا لم يكن حسين والفدائيون قد نجحا في كشف هذه الازدواجية والتناقض في تبرير الغارة لجعل الراي العام الغربي يرفض قبولها ، فان الحوادث التي أعقبت الغارة وحقيقة الاوضاع التي نجمت عن ذلك كان من شأنها ان تدفن «قصة الكرامة» في مقبرة الاقاصيص الشعبية ، فقد استانف الفدائيون عملياتهم ضد اسرائيل بعد ثلاثة ايام من الغارة بقوة جعلت الاسرائيليين يكررون هجومهم على الاردن في الثامن من نيسان . وقد تسبب فشل محاولة في وقف عمليات الفدائيين ومقتل ٢٥ اسرائيليا وخسارة معدات حربية بما في ذلك ست عربات مدرعة وطائرة بالاضافة الى موجة الاستنكار العالمية ، في حدوث بلبلة في الداخل ، الامر الذي من الطبيعي ان يحدث في « بلد ديموقراطي كل شيء فيه معرض للانتقاد » كما زعم ابا ايبان عندما كان في امستردام في الاسبوع التالي . وكذلك فان مناقشات الكنيست التي جرت في ٢٥ اذار والتي ألمحت اليها « جروسالم بوست » في احدى مقالاتها وركزت فيها على اتفاق الراي بين اعضاء الكنيست ، في حين نشرتها « جويش اوبزرفر » و« جويش كرونيكل » بشكل انتقادي اكثر ، تظهر ان عددا من اعضاء الكنيست اصيبوا بخيبة بالنسبة لتخطيط العملية وتنفيذها . وحتى ان بعض الاعضاء قالوا بأن اسرائيل كانت تحمي حسين سياسيا واقتصاديا . واعرب اخرون عن امتعاضهم بأن الانتصار النفسي الذي حققه العرب قد يكون له انعكاسات سيئة على اسرائيل ، كما اعربوا عن انزعاجهم بأن الجيش الاسرائيلي « الذي لا يقهر » تخلى هذه المرة عن ضرباته المفاجئة التي اشتهر به وذلك بانذاره المدنيين والجيش الاردني بأنه سيوجه لهم ضربة لا مفر منها ، وقالوا ان هذا الانذار قد تسبب في خسائر اسرائيلية لا لزوم لها ، وكان على اية حال عملا خاطئا بما ان الراي العام قد انتقد العملية .

والمفضل دليل على زيف « الانتصار » الاسرائيلي في الكرامة ، اي النقطة الحاسمة التي تخرب كل ما تقوم عليه القصة الشعبية ، هو الدافع للهجوم على حركة المقاومة . فما ان انتشرت قصة معركة الكرامة في العالم العربي حتى تسارع الفلسطينيون الى الانضواء تحت لواء حركة المقاومة ، وبدل أن تقصم الغارة ظهر فتح ، كما زعمت اسرائيل ، كان لها تأثير عكسي برفع معنويات حركة المقاومة ككل . وتعتبر الكرامة الان نقطة تحـول بالنسبة للفدائيين لان اعتراف العرب والعالم بهم بدأ منذ ذلك الوقت يتخذ شكلا اكثر وضوحا من السابق . ومنذ ذلك الوقت أيضا اصبح العمل الفدائي يعتبر حركة وطنية شعبية تقاتل من اجل تحرير بلادها فلسطين .

صدر عن مركز الابحاث التابع لـــ م. ت. ف.

فلســـفة الدعاية الاسرائيلية

بـــقلم

الدكتور حامد عبدالله ربيع

أصبحت الدعاية فنا معقدا وعلما له نظرياته ومدارسه واختباراته والاعيبه ، وبرع الصهيونيون في الافادة من هذا الفن واستخدام هذا العلم . وقد جاء الكتاب ليكشف فلسفة الدعايـة الصهيونية وعلاقتها بالسياسة الخارجية للعدو. وأبعاد مخططاتها ومنطقها . يستخدم المؤلف ابحاثا ميدانية اجريت لهذا الغرض وجداول ورسوما بيانية ايضاحية تسهم في تفسير النظريات التي يقدمها الكتاب .

٢١٩ صفحة

٣ ل.ل.

ندوة العدد :
تقييم دور الحركات الوطنية العربية في دعم حركة المقاومة الفلسطينية

د. خليل احمد خليل :	الحزب التقدمي الاشتراكي
غسان شرارة :	المستقلون المساندون للعمل الفدائي
سهيل الطويلة :	الحزب الشيوعي اللبناني
رغيد الصلح :	حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق)
نزيه حمزة :	حزب العمل الاشتراكي العربي

شؤون فلسطينية:* نريد في هذه الندوة أن نطرح قضية واحدة للبحث والنقاش ، وهي : تقييم دور الحركات الوطنية العربية في دعم حركة المقاومة الفلسطينية ، وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ . والذي يدفعنا لاثارة الحوار حول هذه القضية ، هو التركيز الدائم على ان احدى نقاط الضعف الاساسية في استراتيجية حركة المقاومة الفلسطينية انما تنبع من عدم فهمها للارتباط النضالي الوثيق بين القضية الفلسطينية والقضية العربية ، او لعدم وضع هذا الفهم موضع التنفيذ العملي بالنسبة للذين استوعبوا هذه القضية في وقت مبكر .

ولكننا نعتقد ان طرح القضية بهذا الشكل ، هو جانب واحد من الموضوع فقط . الجانب الاخر ، هو ان الحركات الوطنية العربية نفسها ، لم تفهم الامكانات الثورية التي ينطوي عليها بروز العمل الفدائي ، ولم تحاول ان تستفيد من الظروف الموضوعية التي أوجدها ، ومن المناخ الثوري الذي ولده باتجاه تعميق وتطوير نضال الحركة الشعبية ، أولا باتجاه خلق ظروف جديدة في كل بلد عربي تكون ردا على الهزيمة . وثانيا باتجاه خلق تيار شعبي منظم يلعب دورا فعالا في دعم وحماية حركة المقاومة حين تتعرض لاي عملية تصفية .

رضيت فصائل الحركة الوطنية العربية ان يقتصر دورها على تقديم الدعم المالي والدعاوى ، منسجمة في ذلك مع ما طلبته منها فصائل المقاومة ، ولم تضغط لفرض اي منهج آخر يعمق هذه الصلة . ومن هنا فانها تتحمل في رأينا مسؤولية اساسية تجاه الوضع الذي وصلت اليه حركة المقاومة الان . وهدفنا من هذا النقاش أمران : أ — ان يطرح كل فصيل تقييمه للعلاقات في المرحلة السابقة . ٢ — ان يقدم اقتراحاته حول نمط وافق العلاقات المطلوبة في المرحلة المقبلة .

---

* أدار الندوة مندوب عن اسرة تحرير « شؤون فلسطينية » واجريت في ١٩٧١/١١/٢٣ وقد غاب عن هذه الندوة ، لاسباب طارئة ، ممثل حزب البعث العربي الاشتراكي (سوريا) اذ حالت ظروفه العملية دون حضوره ، وذلك بعد ان تم الاتفاق معه ورتب موضوع اشتراكه في الندوة .

سهيل الطويلة : يحظى هذا الموضوع بأهمية كبيرة في الوقت الراهن ، اذ بدأت تطرحه للبحث كل فصائل حركة التحرر العربية ، بما فيها فصائل المقاومة الفلسطينية . واذا كانت المقاومة الفلسطينية قد أعطت الكثير ، الا ان هناك نقاط ضعف واضحة تشوب بعض مواقفها ، وخاصة في اطار العلاقات مع فصائل حركة التحرر العربية ، وأي بحث في هذا الموضوع لا بد ان ينطلق من تحديد مكانة المقاومة الفلسطينية داخل حركة التحرر العربية .

منطلقات للتقييم

أعتقد انه من المسلم به ان المقاومة الفلسطينية تشكل احدى فصائل هذه الحركة ، وبالتالي فان العلاقة بينهما علاقة عضوية ، طابعها التعاون والدعم المتبادل . وهذا لا ينفي بالطبع ان تكون هناك تناقضات بين حركة المقاومة والفصائل الاخرى في حركة التحرر العربية ، لكن هذه التناقضات مهما كانت تبقى تناقضات ثانوية ، وأي محاولة لتضخيم هذه التناقضات الثانوية تكون مخالفة بالاساس لمصلحة حركة المقاومة ، وحركة التحرر العربية ككل .

ولا يكفي ونحن بصدد تقييم العلاقة التي يجب ان تربط بين حركة المقاومة وفصائل التحرر العربية ، ان ننطلق من كون حركة المقاومة فصيلا لا يتجزأ من هذه الفصائل ، بل يجب ان نحدد خصوصية حركة المقاومة . هذه الخصوصية التي تنطلق من كون القضية الفلسطينية قضية محورية لحركة التحرر العربية ، شكلت عامل تجمع قومي للشعوب العربية ، كما تنطلق من المكان الذي تحتله اسرائيل ، في تاريخ النضال التحرري العربي، باعتبار ان اسرائيل طارئة ككيان صهيوني مصطنع ، وكجسم غريب اقامته الامبريالية العالمية ، بالتواطؤ مع الرجعية العربية ، بهدف فصل مشرق الوطن عن مغربه ، والحيلولة دون وحدة الشعوب العربية . كذلك باعتبار ان الدولة الصهيونية قامت على حساب حقوق الشعب العربي الفلسطيني .

وهناك ناحية اخرى بالنسبة للطابع الخاص الذي يرتديه النضال الوطني التحرري للشعب الفلسطيني ، هو كون هذا الشعب اصبح مضطرا لان ينطلق في نضاله الوطني التحرري ، ليس من الارض الفلسطينية ، انما أيضا من أراضي بلدان عربية أخرى ، وهذا يعطي ميزة خاصة للعلاقة بين حركة المقاومة ، وحركة التحرر العربية .

هذه المكانة الخاصة لحركة المقاومة ، لا تعني بالضرورة انها تشكل طليعة حركة التحرر العربية ، وذلك لان المعيار الاساسي لتحديد طليعية حركة ثورية ما ، ينطلق اساسا من الطبيعة الطبقية لهذه الحركة ومن المهمات التي تطرح امامها ، وحركة المقاومة الفلسطينية ، التي تضم في صفوفها عمالا ، وفئات بورجوازية صغيرة تشكل سوادها الاعظم ، وعناصر من البورجوازية الكبيرة ، هذا الواقع بتركيبه وبالمهمات التي تواجهه، يجعل الطابع القومي هو الغالب في مهمات ونضال هذه الحركة ، وبالتالي لا يمكن لحركة المقاومة الفلسطينية ، ان تشكل طليعة لحركة التحرر العربية ، التي تجاوزت بعض فصائلها النضال القومي ، وأصبحت تواجه مهمات على صعيد التحرر الاجتماعي . ولا يكفي حسب منطلقات العلم الثوري اعتماد الكفاح المسلح كأسلوب في النضال لتحديد طليعية قوة ثورية معينة ، اذ يمكن لاي قوة ثورية ، طليعية كانت ام غير طليعية ، ان تلجأ لاسلوب الكفاح المسلح .

وهنا لا بد من الاشارة الى قضية خاطئة اخرى ، كانت باستمرار ، سببا في قيام علاقات غير صحيحة بين حركة المقاومة الفلسطينية، والفصائل الاخرى في حركة التحرر العربية، هذه القضية ، هي الانطلاق من التفريق بين الكفاح المسلح وبين العمل السياسي بشكل

عام ، لتقييم علاقة الفصائل العربية مع المقاومة ، وتقييم دعمها وأهمية هذا الدعم . وفي هذا النطاق تدخل قضية الموقف من قرار مجلس الامن .

اعتقد ان الحكم على مدى دعم فصيلة من فصائل حركة التحرر العربية للمقاومة الفلسطينية ، انطلاقا فقط من موقفها من قرار مجلس الامن ، ليس بالمنطلق الصحيح ، فبعض القوى الرجعية تتخذ موقف الرفض من قرار مجلس الامن . ثم لا بد من القول انه اذا كان من حق المقاومة الفلسطينية عدم قبول قرار مجلس الامن ، لانه لا يطرح المهمة الاستراتيجية التي تطرحها حركة المقاومة ، اي مهمة تحرير كامل الارض المحتلة ، فان ذلك لا يعطي الحق للمقاومة ، او لاي فصيل من فصائل حركة التحرر العربية التي رفضت قرار مجلس الامن ، ان تدين مواقف الفصائل الاخرى التي وافقت عليه، ووافقت على تنفيذه ، كمهمة مرحلية ، انطلاقا من الظروف الراهنة التي وصلت اليها حركة التحرر العربية بعد نكسة حزيران ، ومن اطار ميزان القوى الراهن ، وانطلاقا مما نص عليه هذا القرار من ضرورة انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية المحتلة .
اعتقد ان بحث هذه الامور يمهد السبيل امام اقامة علاقات طبيعية وسليمة بين حركة المقاومة وفصائل الحركة العربية التحررية ، تنطلق من تحليل علمي دقيق ، لدور حركة المقاومة ، ودور الفصائل العربية ، وايضا للمواقف والمهمات التي تواجهها كل من هذه الفصائل .

تقييم العلاقات السابقة

اذا استعرضنا بنظرة سريعة تاريخ الفترة السابقة للعلاقات ، فيمكن القول بأن حركة التحرر العربية بمجملها اعطت اشياء كثيرة لحركة المقاومة الفلسطينية ، على اكثر من صعيد ، مالي وعسكري وعالمي ، كما دعمت المقاومة في مواجهة هجمات الرجعية . واذا كانت الرجعية الاردنية ، استطاعت لاسباب كثيرة ان تنزل ضربات شديدة بالمقاومة الفلسطينية ، فلا بد ان نذكر بالمقابل انتفاضة نيسان في لبنان حيث استطاعت حركة التحرر العربية أن تحمي المقاومة من المؤامرات والمخططات الرجعية والاستعمارية .
ولكن لا بد من الاشارة الى ان بعض فصائل حركة التحرر العربية ، اذا كانت قد دعمت وساندت المقاومة في كثير من المواقف والميادين ، فهي ايضا قد اضرت بالمقاومة الفلسطينية في مواقف كثيرة ، حين نقلت سلبياتها الى داخل حركة المقاومة ، ممثلة بالصراعات والخلافات الجانبية ، التي كان حريا بحركة التحرر العربية ، والمقاومة الفلسطينية بخاصة ، ان تتخطاها . ولا بد كذلك من الاشارة الى مواقف بعض الفئات اليسارية المتطرفة التي شجعت طرح مهمات امام المقاومة تتجاوز بكثير دور المقاومة وامكاناتها ، وبالغت بالتناقضات الثانوية القائمة ، مما ادى الى صراعات جانبية ، لم يستفد منها الا العدو الرئيسي . وليس بالاستطاعة هنا ، أن تعفى المقاومة الفلسطينية من المسؤولية التي تتحملها في هذه المواقف ، التي تركت تأثيرا سلبيا مريرا ، على مجمل اوضاع المقاومة ، وعلى صراعها مع الرجعية العربية ، وبشكل خاص في ايلول ١٩٧٠ .

تقييم مواقف الانظمة

واذا انتقلنا الى الحديث عن دور الانظمة التقدمية العربية ، فيمكن القول أنها مارست دورا مهما في دعم المقاومة . ولكن لا بد من هنا من الاشارة الى انها بدورها أخذت بمواقف اضرت بالمقاومة . فقد ترددت في اسداء الدعم الحازم لها في مواجهة الرجعية العربية ، وقامت بمحاولات لاحتوائها لم يكن لها ما يبررها . على أنه لا يجوز الانطلاق من هذه السلبيات للمساواة بين الانظمة التقدمية والانظمة الرجعية في موقفها من المقاومة ، باعتبار انها جميعا مارست محاولات الاحتواء ، لان الموقف من الانظمة السياسية يجب ان ينطلق من التحليل العلمي لطبيعتها ودورها . وبالتالي فان موقف المقاومة من الانظمة

فئات المقاومة من الاحزاب الشيوعية العربية ، ناجم فقط عن المواقف السابقة لهذه الاحزاب من القضية الفلسطينية ، اذ لا بد من الاعتراف أيضا ، بأن الكثير من هذه المواقف السلبية ينطلق من نظرة عدائية في بعض الاحيان ، ومن نظرة غير صحيحة في احيان أخرى . واذا ذهبنا في التحليل للنهاية ، نجد وراء هــذه المواقف ايضا ، مواقع طبقية . وعندما أشرت الى طبيعة حركة المقاومة الفلسطينية ، وكونها حركة تحرر وطني فقط ، لم يكن هذا بمعنى تحميلها المسؤولية ، من هذا المنطلق ، لان هذا واقع موضوعي، لا تتحمل هي مسؤوليته ، اذ لا تستطيع ان تكون غير ذلك . انما كان التأكيد على طبيعة حركة المقاومة ، كحركة تحرر وطني ، وصولا الى فهم أوضح لمكانها داخل حركة التحرر العربية ، وبالتالي للمهمات المطروحة امامها ، حتى لا نعطيها مهمات اكبر مما تستطيع تحملها ، وتعود بالضرر عليها .

وفيما يتعلق بمواقف الاحزاب الشيوعية العربية من القضية الفلسطينية ، اسمحوا لي أن أتكلم عن الحزب الشيوعي اللبناني ، الذي أمثله هنا . لقد اعترف الحزب الشيوعي اللبناني بكل جرأة بمواقفه الخاطئة في مؤتمره الثاني (١٩٦٨) ، واثبت في مجمل عمله السياسي على مدى ما يزيد عن ثلاث سنوات ، ان اعادة النظر المبدئية هذه لم تكن مجرد عمل دعائي ، انما كانت موقفا اساسيا مبدئيا من مواقف الحزب وخطته السياسية . وقد تجلى موقف الحزب هذا ، بدعم المقاومة الفلسطينية ، بما في ذلك الكفاح المسلح . ومن الضروري الاشارة هنا الى نقطة اعتبرها هامة جدا ، وهي أن هناك بعض فئات تنظر الى مجمل مواقف الاحزاب الشيوعية العربية من القضايا القومية ، على أنها كلها مواقف خاطئة ، وهذا غير صحيح .

اما الموقف من قرار مجلس الامن والقول بانه امتداد للموقف السابق مــن القضية الفلسطينية فهو قول خاطىء لعدة اسباب . أولا : هناك قوى كانت في الماضي تأخذ موقفا متناقضا مع موقفنا من القضية الفلسطينية ، وبالرغم من ذلك اخذت بعد حرب حزيران موقف تأييد قرار مجلس الامن . ثانيا : اتخذ الحزب الشيوعي اللبناني موقف تأييد قرار مجلس الامن في نفس الوقت الذي اعاد فيه النظر بموقفه من القضية الفلسطينية. ولذلك فان الموقف من قرار مجلس الامن ينطلق من تقدير للمرحلة الراهنة التي تجتازها حركة التحرر العربية ، ولا يعني اطلاقا التخلي عن النظــرة الاساسية للقضية الفلسطينية ، وبالتالي النظرة للكيان الصهيوني القائم في اسرائيل ، وضرورة القضاء على هذا الكيان ، والعمل ليتمكن الشعب العربي الفلسطيني من تقرير مصيره بنفسه على ارضه .

وهنا من الممكن أن أعطي مثلا للمقارنة : الاحزاب الشيوعية العربية لم تطرح قضية « اسرائيل » كمهمة آنية ، ولكن هذا لا يعني تخليا عن المهمة الاستراتيجية البعيدة ، تماما كما يطرح الحزب الشيوعي قضية الثورة الوطنية الديمقراطية ، في البلد الذي يواجه ثورة وطنية ديمقراطية ، دون ان يعني ذلك تخليه عن مطالب المراحل الابعد . لذلك فان الموقف من قضية محددة تتعلق بالنضال التحرري للشعب الفلسطيني ، المتصل بالقضية الفلسطينية الكثيرة التعقيد ، لا يصح أخذه منطلقا للحكم على مجمل موقف حزب او قوة ثورية من هذه القضية. مثلا كان مقياس الاخلاص في السابق للقضية الفلسطينية، هو القول برمي اليهود في البحر ، وهذا موقف ثبت خطأه .

غسان شراره (مقاطعا) : في الواقع ، ان العرب لم يأخذوا بهذا الموقف مطلقا . وعندما أقول العرب أقصد الحركة الوطنية ولا اقصد المسؤولين . ومنذ المؤتمر السوري الاول اتخذ قرار يدعو الى دولة فلسطينية مستقلة يتعايش فيهـــا المحمديون والمسيحيــون والموسويون . ولم يدع ابدا حتى في ذلك التاريخ الى رمي اليهود في البحر . وفي عــام

١٩٤٧ كان الرد العربي على مشروع قرار التقسيم قريباً بنصه مما تطرحه فتح الان ، اي دولة ديمقراطية علمانية . حركة القوميين العرب والتي لم تكن تميز بين الصهيوني وبين اليهودي ، لم يرد في أي وثيقة من وثائقها انه يجب التخلص من اليهود .

هذا الموقف في حقيقته يعود للاعلام الصهيوني اكثر من غيره ، وخاصة عندما زعم ان الشقيري قال برميهم في البحر ، وأي مراجعة ودراسة لهذه القضية تثبت ان الفكر الوطني والقومي العربي لم يقل برمي اليهود في البحر . الكتاب الوحيد الذي صدر ليثبت وجود هذا المعنى هو كتاب صادق جلال العظم « دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية» وحتى يثبت ان العرب لم يكونوا تقدميين رجع الى مؤلفات وابحاث، ربما لا يوجد مثقف عربي قرأها ، وجعل من اسماء اصحابها ممثلين للفكر القومي العربي ، بينما أهمل الحركات المسؤولة الاساسية : الناصرية ، الشيوعية ، البعث ، حركة القوميين العرب ، البرلمانات ، المؤتمرات الوطنية .

سهيل الطويلة : أوافق بالفعل على ان قضية رمي اليهود بالبحر لم تكن الطابع المميز لموقف حركة التحرر العربية . وكان قصدي من اثارة هذا الموضوع التنبيه لقضية معينة، لاننا اذا لم نأخذ موقفا نقديا جديا من هذه الاتجاهات نسيء بشدة للحركة الوطنية . الان اصبحنا ندين هذا الموقف تماما ، ولكن هذه الادانة ، وخاصة لجذور الموضوع الفكرية ، لم تكن واضحة بشكل كاف في السابق .

انتقل الى ما اثير حول موقف الاحزاب الشيوعية من العمل الفدائي . اعتقد انه من الظلم الكبير اتخاذ موقف « السلفيتي » على انه كان موقف الاحزاب الشيوعية العربية، والقول بالتالي ان الحركة الشيوعية العربية ظهرت وكأنها لم تدعم العمل الفدائي في البدء . نستطيع القول ان الاحزاب الشيوعية دعمت المقاومة الفلسطينية منذ البداية ، لكن اسباب الدعم لم تكن هي نفسها منذ البداية . فقد تطورت اسباب الدعم هذه ، كما تطورت بالطبع نظرة الاحزاب الشيوعية للمقاومة وعلاقتها بها . وبالرغم من ذلك فهذا لا يمكن ان يبرر بعض المواقف العامة والخاصة للمقاومة من الاحزاب الشيوعية ، وبالتحديد من قوات الانصار .

اما القضية الاخرى ، وهي موقف الاحزاب الشيوعية من الدولة الفلسطينية . فهنا ايضا ، لا اعتقد اطلاقا ، ان الاحزاب الشيوعية ، طرحت قضية الدولة الفلسطينية . الذي أعتقده ان الاحزاب الشيوعية ، خاصة الحزب الشيوعي اللبناني ، طرح موقفا مبدئيا ، هو دعم النضال التحرري للشعب العربي الفلسطيني في سبيل تقرير مصيره فوق أرض وطنه ، أما كيفية تحديد هذا الشكل من اشكال تقرير المصير ، فهي بالدرجة الاولى قضية الشعب العربي الفلسطيني نفسه .

شؤون فلسطينية : نريد ان نتوجه بملاحظات أخرى تتعلق باحزاب الاردن القومية ذات الامتداد التنظيمي داخل حركة المقاومة ، وذات الصلات الوثيقة بفروع أخرى للحزب في موقع السلطة . فالحزب الحاكم في العراق مثلا ، شكل جبهة التحرير العربية كامتداد له . ولكن الجبهة لم تستطع ان تلعب دورا مبادرا في قيادة العمل الفلسطيني يتناسب مع تراثها وامكانياتها ، لا على صعيد الطرح الفكري الذي قدمته ، ولا على صعيد المبادرة الزمنية ، اذ تاخر تشكيل جبهة التحرير العربية حتى عام ١٩٦٩ .

رغيد الصلح : التقرير السياسي لحزب البعث عن استراتيجية الكفاح المسلح ، يبين ايمان الحزب بهذا الاسلوب في النضال لتحرير فلسطين منذ تأسيسه . ففي نهاية الخمسينات قامت محاولة داخل الحزب لانشاء تنظيم فدائي ، وبالفعل تشكلت نواة هذا التنظيم وقامت ببعض العمليات الاستطلاعية في الاراضي المحتلة . وأدى تسلم الحزب للحكم في

سوريا الى تسهيل انطلاق العمل الفدائي . وعندما انطلق العمل الفدائي في عام ١٩٦٥ قدم الحزب الدعم النضالي للمقاومة في مواقف متعددة ، منها مثلا عندما استشهد المناضل « جلال كموش » في لبنان ، اذ تبنى الحزب القضية على جميع المستويات . ومع نمو ونهوض حركة المقاومة وجد الحزب أشكالا وأنماطا متعددة لدعمها ورفدها بالامكانات البشرية والنضالية والمادية ، بل حتى في المشاركة بالكفاح المسلح .

وتجدر الاشارة أنه عندما وجد الحزب صعوبة في ممارسة تأثيره داخل حركة المقاومة من خلال العمل داخل المنظمات الموجودة ، وعندما تعذر على بعض الرفاق الجمع بين ممارستهم للكفاح المسلح والحفاظ على صلتهم بالحزب ، عند ذلك قرر الحزب انشاء منظمة فدائية تتسع جبهويا لنضال الرفاق الحزبيين . ومنذ ذلك الوقت شارك في جميع الخطوات التي قامت بها الفصائل المسلحة . وكان المقصود من تشكيل جبهة التحرير العربية ، التأثير والتفاعل مع حركة المقاومة .

شؤون فلسطينية : هناك ملاحظات نود ابداءها حول حزب العمل الاشتراكي العربي . فهذا الحزب حسب تحليل الاوساط السياسية العربية ، هو « واقعيا » امتداد تنظيمي عربي ، لفصيل فدائي فلسطيني هو « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، هدفه أن يوجد دعما جماهيريا عربيا لحركة المقاومة . ان تشكيل الحزب بهذه الطريقة ، يعكس منهجا « تنظيميا » في فهم قضية تأسيس الحزب ، كما يعكس فهما فوقيا ومغلوطا في كيفية بناء علاقة التلاحم النضالي مع الحركة الوطنية العربية .

ان المطلوب لدعم النضال الفلسطيني ، نمو ثوري في الحركة الوطنية العربية ، وانسجام استراتيجي بينها وبين حركة المقاومة ، يمكن ان يتطور بالتدريج الى اشكال أرقى . أما اقدام فصيل فدائي على تشكيل حزب عربي جديد ، فان هذا سيفرض على الحزب عقلية المنافسة والسعي لتمييز نفسه باستمرار عن بقية الاحزاب العربية ، لتبرير وجوده ، فيساعد بذلك في انقسام الحركة الوطنية العربية ، بدل أن يساعد في توحيد جهودها . والانطباع السائد حتى الان ان الحزب لم يستطع أن يكون لنفسه شخصية مستقلة ، فبقيت الجبهة الشعبية المحور الاساسي في العمل ، ويلعب الحزب ازاءها دور التابع ، بينما العكس هو الصورة الطبيعية .

أما على صعيد مواقفه السياسية ، فلم يخرج الحزب حتى الان عن اطار دعم وتبني الجبهة الشعبية ، ولم يقم بنسج تحالفات تتعدى اطار الجبهة ، كما لم يقم بطرح أي تحليل مميز في الساحة العربية .

نزيه حمزه : في الواقع ان حزب العمل الاشتراكي العربي لم يكن بالحزب الفوقي كما ذكر ، فهو امتداد لحركة القوميين العرب التي كانت بورجوازية في منطلقاتها ، واصبحت تسير باتجاه التطور والالتزام بالفكر الماركسي اللينيني . ان فكرة الحزب ليست امتدادا للجبهة ، بل هي مستمدة من الحوار الذي بدأ داخل قواعد وقيادات الحركة في السابق ، وقادت نحو الالتزام بالفكر الماركسي اللينيني . وبروز الجبهة الشعبية يعود للظروف الموضوعية والذاتية التي رافقت الواقع العربي ، وحركة النضال العربية ، بعد عام ١٩٦٧ ، حيث تبلورت ضرورة النضال والكفاح المسلح ضد اسرائيل والامبريالية ، واقتضى ذلك تركيز الجهود حول نشاط الجبهة الشعبية ، وتركت فكرة الحزب الى وقت لاحق حتى تكون الظروف ملائمة اكثر لعملية التأسيس التي بدأت بشكل جدي عام ١٩٦٨ ، حين تولت بعض القيادات السابقة في الحركة عملية بناء الحزب .

وهنا أريد ان اوضح بأن الحزب لم يلجأ لتأسيس حزب آخر يضاف الى مجموعة الاحزاب العربية والاحزاب الشيوعية . ولكن يساهم في بناء وتأسيس عمل منظم ومهيأ على

مورس اللذين ينظران لاسرائيل كموقع متقدم للدفاع عن المصالح الاميركية في وجه « الخطر الشيوعي » ، وكذلك فقد ظهر خلال حملة الرئاسة في ١٩٥٢ أن السناتور الجمهوري روبرت تافت ، من اوهايو ، مؤيد قوي لاسرائيل . وجميع مرشحي الرئاسة الذين فازوا في الانتخابات بما في ذلك ايزنهاور ، عبروا في النهاية عن تأييدهم لاسرائيل وقد كان هذا هو المنوال نفسه الذي سار عليه مرشحو الرئاسة فيما بعد .

وفي ١٩٥٣ ، عندما طرح موضوع استمرار المساعدة الاميركية للاجئين للمناقشة من جديد ، وافق مجلس النواب على تشكيل لجنة فرعية برئاسة لورنس سميث من ويسكونسن ووينستن براوتي من فيرمونت ، للتحقق من احوال اللاجئين وللبحث عن امكانية ايجاد حل دائم لهذه المسألة(٧) . ولقد أوصى التقرير الذي وضعته لجنة سميث — براوتي بأن لا تطالب الولايات المتحدة باعادة اللاجئين الى اسرائيل في الظروف الراهنة أو ضمن حدود اسرائيل للعام ١٩٤٨ . واكد التقرير بأن قضية اللاجئين مرتبطة جدا بقضية تحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط يقضي بأن تعترف الدول العربية باسرائيل . وكذلك توصلت لجنة فرعية شكلها مجلس الشيوخ لدراسة قضية اللاجئين الى نتائج مماثلة . كما أن لجنة فرعية تابعة لمجلس النواب تسمى لجنة هايز—اوهارا— تشيرش ، شكلت في ١٩٥٨ ، اعادت تأكيد هذه التوصيات وحثت على توطين اللاجئين في الدول العربية . وعلى اي حال ، وافق الكونجرس في ١٩٥٣ على اعتماد أموال جديدة للانروا رغم الشكوك التي اثيرت حول طبيعة المساعدات الاميركية وعدم احتمال التوصل الى قرار بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط .

وقد ظهر بأن النواب الاميركيين يميلون الى ايجاد حلول تقضي بتوطين اللاجئين في الدول العربية دون أن يخطر ببالهم امكانية احداث تغيير في دولة اسرائيل . وحدث ان عددا قليلا من النواب طالبوا باعادة توطين اللاجئين في « اسرائيل » نفسها ، ولكن ضمن تسوية شاملة تقضي باعتراف الدول العربية باسرائيل . وفي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ عندما ازداد استقطاب الشرق الاوسط بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، أصبح النواب الاميركيون اكثر تأييدا لاسرائيل التي صاروا يصورونها الحليف الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في الشرق الاوسط . فكتبوا كثيرا من الافتتاحيات والمقالات المؤيدة لاسرائيل في **نيويورك تايمز وواشنطن بوست** ، كما يظهر من **سجلات الكونجرس**(٨) . وكان ابراهام ملتر وامانويل سيللر(٩)، اللذان كانا عضوين في اكثر من منظمة صهيونية ، يقودان الحملة من أجل مواصلة التأييد الاميركي لاسرائيل . وكانا ينتقدان وزارة الخارجية الاميركية «لسياستها المؤيدة للعرب» في حين يحثان الكونجرس على ممارسة الضغط لتوطين اللاجئين في الدول العربية . ونال مشروع جونستون قسطا وافرا من الدعاية كبرنامج لتطوير الاراضي المروية حديثا والمنتجة زراعيا والتي يمكن توطين اللاجئين فيها . وقد اعرب النواب عن أملهم بأن الاراضي المروية حديثا في الدول العربية قد تدفع باللاجئين الى قبول التوطين خارج اسرائيل . وبشكل عام ، لم يأخذ النواب رغبات اللاجئين بعين الاعتبار ، وبدلا من ذلك انحوا باللائمة على الدول العربية لرفضها توطين اللاجئين على اراضيها .

وبظهور زعامة عبد الناصر وتزايد الصداقة العربية السوفياتية في العالم العربي اصبح النواب الاميركيون يرون في اسرائيل أفضل حليف في المنطقة . واعربوا عن اعتقادهم ان اللاجئين كانوا بمثابة مخلب قط « لمطامع عبد الناصر السياسية والتوسعية » . وحث جافيتس الحكومة الاميركية على المطالبة بتوطين اللاجئين على اساس مشروع جونستون(١٠). واعلن هيوبرت همفري (المرشح الديمقراطي للرئاسة في ١٩٧٠) ونائب الرئيس جونسون ، تأييده لجافيتس ، وحذا حذوه عدد من النواب . وخلال

السنتين التاليتين واصل النواب دعوتهم لتوطين اللاجئين في العالم العربي ، ففي ١٩٥٩ اقترح جافيتس بأن تتخذ الولايات المتحدة المبادرة في تأمين ايجاد حل للنزاع العربي — الاسرائيلي وذلك بارغام الدول العربية على تحمل مسؤولياتها بالنسبة للاجئين ، وان تحث اسرائيل على اعادة عدد معين . ويقضي هذا المشروع بزيادة المساعدات المقدمة للدول العربية لاغراض التنمية ، ولكنه في الوقت نفسه يقترح زيادة المساعدات العسكرية الاميركية لاسرائيل بصفتها حليف يمكن الاعتماد عليه . وفي هذا الصدد لاحظ جافيتس بأنه « ... منذ حوادث لبنان (١٩٥٨) بدأنا ندرك اهمية اسرائيل الدقيقة بالنسبة لنا،كمرساة يمكن الاعتماد عليها من قبل العالم الحر في الامور الاستراتيجية والعسكرية في الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط(١١)» . وكان ملتر من نيويورك قد لاحظ في وقت سابق بأنه لا يمكن التفكير باعادة توطين اللاجئين في اسرائيل(١٢) . وبسبب الشكوك التي أظهرها النواب حول استمرار تقديم المساعدات للانروا ، الحق قانون بمساعدة الثلاثة والعشرين مليون دولار في ١٩٦٠—١٩٦١ يقضي بأن لا تزيد المساعدة الاميركية عن ٧٠ بالمئة من مجموع ما تقدمه جميع الدول الاخرى(١٣) ، ولا تزال هذه المادة سارية المفعول .

وبعد فوز كيندي بالرئاسة أجرت الحكومة تقييما لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بقصد تحسين وضعها بالنسبة للانظمة القومية في العالم العربي ، وخاصة نظام عبدالناصر . ونتج عن ذلك تبادل الرسائل بين كيندي وعبدالناصر . وفي ١١ أيار (مايو) ١٩٦١ قدم كيندي بعض المقترحات المعتدلة التي تهدف الى تحسين سياسة الولايات المتحدة ، وفي تلك الرسالة اشار الى التعويض واعادة دمج اللاجئين دون اي ذكر لتوطينهم في الدول العربية ، الامر الذي فتح عليه نيران النقد من داخل الكونجرس ، خاصة من النواب الموالين للصهيونية الذين باتوا يخشون من قيام ادارة كيندي باتخاذ خطوات من اجل الضغط لاعادة اللاجئين الى بلادهم . وقال جافيتس ان اسرائيل تستطيع استيعاب ما يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ الف لاجيء ، ولكن اكثر من ذلك سيسبب خطرا على أمنها مما يتناقض مع المصالح الاميركية العليا(١٤) . وكرر الاقتراح بتوطين اللاجئين في الدول العربية واضاف الى ذلك ، الاقتراح بتقديم التعويضات عما خسروه ، على أن ينهي العرب مقاطعتهم لاسرائيل . وانهى اقتراحه بقوله انها « لغلطة كبيرة »(١٥) ان نسمح للعرب بأن يفكروا يوما بأن الولايات المتحدة تؤيد عودة اللاجئين الى « اسرائيل » . واعرب السناتور كيتنج عن تأييده لاقتراح جافيتس واضاف بأن الاتفاقية يجب ان تشمل فتح قناة السويس في وجه الملاحة الاسرائيلية .

ونتيجة لتزايد النشاط الصهيوني والتغييرات التي طرات على مواقف الرئاسة من الشرق الاوسط ، شهد الكونجرس مناقشة حامية لمشروع قانون المساعدات في ١٩٦١ . وقد ايد فيليب هارت ، النائب الديمقراطي من ميتشجن ، استمرار تقديم المساعدات للانروا واثنى عليها كذلك ، مع انها كانت عرضة للانتقاد من قبل بعض النواب الذين اتهموها بالتحيز لصالح الفلسطينيين والعرب(١٦) . ولكن ما أن جاء العام ١٩٦٣ حتى بات هارت يدعو الى حل على اساس اعتراف العرب باسرائيل . ومن جديد مارس النواب ضغطا من أجل توطين اللاجئين ، واظهروا اهتمامهم بمسألة استمرار المساعدات التي لم تكن لتنتهي بشكل سريع ، وقد زادت خشيتهم بعدم امكانية ايجاد حل للنزاع . وقد اعرب النواب عن خشيتهم « من ان يستخدم الزعماء العرب ، وخاصة عبدالناصر ، الفلسطينيين لتحقيق مآربهم الشخصية » ، وكانوا يشعرون بأن ذلك من شأنه ان يعرقل السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، لذلك فان الحل الوحيد هو توطين اللاجئين . واذا رفضت الدول العربية ذلك فما على الولايات المتحدة الا ان ترغمها على قبول هذا الاقتراح .

وخلال هذه الفترة اعلنت الادارة انها عقدت صفقة لبيــع الدبابات، للمملكة العربيــة السعودية . وقد اعرب النواب عن معارضتهم الشديدة لذلــك ، وطالبوا بالتحقيق في الصفقة مع السعودية واتهموا وزارة الخارجية بالتحيز الى جانب العرب وطالبوا ببيع الاسلحة لاسرائيل(٤٢). وفعلا ، تم ايقاف شحن الدبابات وهــي في الاحواض في شباط ١٩٥٦ نتيجة للضغط الصهيوني الى حد كبير . وساعدت صفقة الاسلحة هذه في تكثيف معارضة النواب لبيع الاسلحة للدول العربية واظهرت مدى التأييد الذي تتمتع بــه اسرائيل في الكونجرس . وعلى اي حال ، اصبح من المعروف الان ان الولايات المتحدة كانت تزود اسرائيل بالاسلحة عن طريق المانيه الغربية ، ولكن مــع احتفاظ الولايات المتحدة بموقف حيادي علني وذلك لتجنب اية ردود فعل من جانب الحكومات العربية ضد الولايات المتحدة او المصالح الاميركية الخاصــة في الشرق الاوسط . وقد كشفت انباء اتفاقية الاسلحة الالمانية الغربية مع اسرائيل في كانون الاول (ديسمبــر) ١٩٥٧(٤٤). فتسبب ذلك في قطع عدد من الدول العربية علاقاتها الديبلوماسية مع المانيه الغربية .

لقد خف التوتر بعد العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦ وانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المصرية . وتميزت الفترة التي تلت العدوان بتجنب جميع الاطراف لاي نوع من انواع النزاع العسكري المكشوف . ولم تخف مطالبة النواب بارسال مزيد من الاسلحة لاسرائيل الا عندما تأكد هؤلاء من قدرات اسرائيل التي ظهرت في انتصاراتها في عدوان ١٩٥٦ . وفي السنة التي تلت العدوان قام السناتور الينيدر من لويزيانا بزيارة للشرق الاوسط وعاد بتحذير خطير للكونجرس ، فقد صرح بقوله : « تركت المنطقة وانا مقتنع بشيء واحد وهو انه من المستحيل ايجاد دولة اسرائيلية ذات اكتفاء ذاتي »(٤٥). واقترح ان تعود اسرائيل الى خطوط تقسيم ١٩٤٧ وتحويل المهاجرين اليهود الجدد الــى الدول العربية ، ثم اعرب الينيدر عن شعوره بأنه من المستحيل ان تستمر الولايات المتحدة الى ما لا نهاية في تقديم الاسلحة الى الدول العربية واسرائيل اذ انهما يقفان علــى طرفي نقيض . والاسلحة لاسرائيل ستؤدي الى ابعاد العرب ولكن فرض حظر على الاسلحة سوف يكون مجالا للمعارضة من جميع الاطراف المعنية . وكــان السناتور دوجلاس والسناتور همفري هما اللذان تزعما حملة المعارضة لآراء الينيدر .

ولقد اثير موضوع تزويد اسرائيل بالاسلحة في الكونجرس مباشرة بعــد انتخاب كيندي رئيسا ، فقد كشف في ١٩٦٠ بأن اسرائيل كانت تتلقى ، ما سمي بكميات « متواضعة » من الاسلحة الاميركية . وقد اضطر المسؤولون في وزارتي الخارجية والدفاع الاعلان عن ذلك بعدما عرضت الحكومة الاسرائيلية معدات اميركية في العرض العسكري الذي اقيم في « يوم استقلال » اسرائيل(٤٦).

وفي ١٩٦٢ حدث ما يمكن تسميته تحول كبير في السياسة الاميركية ، وذلك عندما وافقت حكومة كيندي على تزويد اسرائيل بصواريخ هوك ارض ــ جو ، وجــاء ذلك تتويجا للمحادثات التي اجرتها جولدا مئير ، وزيرة خارجية اسرائيل ، مع دين رسك . واعرب جافيتس عن ارتياحه للقرار اثناء جولة قام بها في اسرائيل حيث اشــار الى ان صفقة الهوك ليست سوى البداية « لاعادة تقييم واشنطن لاحتياجات اسرائيل الدفاعية » . وقد جدد جافيتس دعوته لعقد معاهدة دفاع مشترك بين اسرائيل والولايات المتحدة وذلك بعد انتهاء زيارته لاسرائيل ، وطالب بالتقليل من جميع انواع المساعدات للجمهورية العربية المتحدة وفي الوقت نفسه زيادة بيع الاسلحة لاسرائيل على اساس ان « اسرائيل هي حليف فعال يمكن للعالم الحر ان يعتمد عليه في الشرق الاوسط ــ وهي احد الحلفاء القلائل هناك . وليس الامر كذلك بالنسبة لــ ج. ع. م. »(٤٧). واعاد كيتنج التأكيد على آراء جافيتس وذلك باعتباره اسرائيل مصلحة اميركية رئيسية كما هو الحال بالنسبة

لبرلين . وطالب الاثنان ، كيتنج وجافيتس ، الرئيس كيندي باعادة تأكيد الوعود الاميركية بتأييد اسرائيل . وقد أيدهم في ذلك اعضاء آخرون في مجلس الشيوخ مثل باستور ، من رود ايلند ، وكيس ، من نيوجيرسي ، وجروينج ، من الاسكا ، والذي زار الشرق الاوسط في ١٩٦٢ وهاجم عبدالناصر كثيرا . واشترك في النقاش ايضا اعضاء آخرون في مجلس الشيوخ من امثال سكوت ومورس وهمفري ، فقد اعربوا عن اهتمامهم بحشد الاسلحة في الشرق الاوسط ولكنهم حاولوا الدفاع عن سياسة الادارة في حفظ نوع من الحياد السطحي على الاقل . وطالب همفري الذي كان يعبر عن وجهة نظر الادارة بوقف بيع المزيد من الاسلحة الى المنطقة ، وحث على قيام تعاون بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، كما شجع الامم المتحدة على تقديم مبادرة سلمية مقبولة . ولاثبات ادعاءات الحكومة بعدم الانحياز وصف همفري عبدالناصر بأنه زعيم « متفان وكفؤ وذكي »(٤٨) . وتميزت هذه الفترة بمحاولة ادارة كيندي تحسين علاقتها بعبدالناصر الذي ظهر كزعيم يقود العالم العربي ويبني حكما مستقرا . ورغم ذلك ، واصلت ادارة كيندي ، في الوقت نفسه ، تزويد اسرائيل بالاسلحة ولم تتوان على الاطلاق في تأييد حق اسرائيل في البقاء . ولكن رغم هذا الالتزام الرسمي الواضح في تأييد اسرائيل ، اعتبر بعض النواب الصهيونيين المتحمسين محاولة تحسين العلاقات مع عبدالناصر وغيره من الزعماء العرب تهديدا لاسرائيل . وهذا هو السبب الذي دفع جافيتس وغيره لانتقاد سياسة كيندي في الشرق الاوسط بشدة .

وبازدياد التوتر في الشرق الاوسط خلال العامين ١٩٦٥ و١٩٦٦ دعا الكونجرس من جديد الى تخفيض المساعدات للدول العربية وزيادة الاسلحة لاسرائيل ، واقر اعضاء الكونجرس بأنه يجب وضع شروط معينة لعبدالناصر قبل تسلمه اية مساعدة اميركية ، ومن هذه الشروط : (١) عدم وجود اسلحة نووية في مصر ، والسماح للولايات المتحدة بالتفتيش للتأكد من عدم حدوث اية انتهاكات لذلك . (٢) وقف انتاج الصواريخ والسماح للولايات المتحدة بالتفتيش . (٣) تجميد عدد الجيش المصري(٤٩) . ومن الواضح ان هذه الشروط تعتبر انتقاصا من سيادة ج. ع. م. ، الامر الذي دفع عبدالناصر الى رفضها . والجدير بالملاحظة في هذا المجال هو انه في الوقت الذي طرحت فيه هذه الشروط كان الاسرائيليون يبنون مفاعلهم الذري في ديمونه ورفضوا الاشتراك في التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية . ولم يحدث ان طالب أي نائب بتطبيق مثل هذه الشروط او القيام بالاشراف على النشاطات الاسرائيلية في هذا الصدد . ففي مجلس النواب دعا روزفلت الى زيادة بيع الاسلحة لاسرائيل بأسعار مخفضة ، وايده في ذلك فاربشتين وغيره. وفي ١٩٦٦ قامت الولايات المتحدة ببيع اسرائيل دبابات من طراز باتون ومقاتلات نفاثة بشروط بيع مخففة . وقد ادت هذه الصفقة الى زيادة التوتر في العلاقات المهتزة بين الولايات المتحدة و ج. ع. م. وكانت هذه الصفقة قد عقدت في فبراير ١٩٦٦ ، وقد قدم تقرير الى لجنتي التسلح والاعتمادات عن الصفقة ، ولكن ليس الى لجنة العلاقات الخارجية . وقد بررت وزارة الدفاع هذه الحيلة بأن الصفقة عقدت للكسب المادي لذلك لم تشمل اية مساعدات خارجية(٥٠) . وعلى اي حال يظهر بأن هذا التكتيك قد اتبع لتجنب اية اسئلة محرجة يمكن ان يوجهها اعضاء لجنة الشؤون الخارجية ، وخاصة فولبرايت ، وبدرجة اقل، جور ، اللذين كانا ينتقدان التورط الاميركي في حشد الاسلحة المستمر في الشرق الاوسط ، وكذلك فان البحث في اية صفقة اسلحة يمكن ان يثير موضوع التورط الاميركي في فيتنام ، وهو موضوع كانت وزارة الدفاع تحاول دائما تجنب بحثه قدر الامكان . وبعد عقد صفقة الاسلحة الاميركية ــ الاسرائيلية في ١٩٦٦ ، طلبت اسرائيل مزيدا من الاسلحة بحجة اعادة توازن القوى الذي كان الزعماء الاسرائيليون يعتقدون انه مال لصالح مصر نتيجة لتزودها بالاسلحة السوفياتية.

الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى

نبيل بدران

شهدت الدولة العثمانية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر تحولا اقتصاديا كبيرا مهد الطريق للتحولات السياسية المهمة التي حصلت قبل الحرب العالمية الاولى مباشرة. حدثت هذه التحولات الاقتصادية نتيجة تطبيق التنظيمات الادارية والمالية الجديدة وتحت ضغط القوى الاوروبية المستقوية على « الرجل المريض » . وكان تفاعل هذه العوامل قويا في جنوب سوريا « فلسطين » لوضعها الجغرافي – الاقتصادي والديني – السياسي . اتجهت الاطماع اليها لوضعها الاستراتيجي وللغلاف الديني القادر على احتواء هذه الاطماع . وسيقتصر البحث الحالي على تحليل المجتمع الفلاحي وتطوره تحت ضغط العوامل السالفة الذكر . وسنسعى الى مناقشة عدة نقاط : لماذا كانت فلسطين قليلة السكان نسبيا ؟ لماذا كان قسم كبير من سهول وسواحل فلسطين غير مستغل زراعيا ؟ هل كانت كفاءة الفلاح الفلسطيني بدائية كما تصورها المزاعم الصهيونية ؟ هل نمت الزراعة اليهودية – الصهيونية باستقلال تام عن الزراعة العربية غير محتاجة لتقنية الفلاح معتمدة فقط على العلم الزراعي الحديث ؟ ولن يطرح الجواب على هذه الاسئلة مستقلا عن تطور العلاقات الاجتماعية في المجتمع الريفي الفلسطيني . بل سيكون الجواب دراسة مقتضبة ولكن شاملة لوضع وتطور العلاقات الاجتماعية في الريف الفلسطيني ووضع المجتمع الريفي عامة ، اذ نريد لهذه الدراسة المساهمة في تحليل الاسباب التاريخية لبعض جوانب مسلك الفرد العربي الفلسطيني .

جغرافية فلسطين : يقع القطر الفلسطيني على حافة الصحراء العربية ، فهو قسم من الشريط الزراعي السوري الضيق والخاضع لمناخ البحر الابيض المتوسط والممتد من غزة جنوبا حتى الاسكندرونه شمالا . وفي حال اضافة المناطق القاحلة العديمة او قليلة المياه الى الصحراء الاصلية نجد ان هذه تصل الى مشارف غزة والخليل وعمان واربد . بل وصلت الصحراء بمفهومها الحضاري وقبل الاستقرار السياسي الى مشارف نهر الاردن وتخطته في عدة أماكن . وتعتمد فلسطين في صمودها امام زحف الصحراء على السلسلة الجبلية الغربية لنهر الاردن والتي تحتوي اهم مدن فلسطين واقدمها صمودا. كما تعتمد وبشكل اقل على هضبات الجليل وقممه . ونتيجة لمناخ البحر الابيض المتوسط يشمل موسم الامطار اكثر من نصف مساحة فلسطين والذي يصل معدله في اعالي جبال نابلس والجليل نحو ٨٠٠ مم في السنة ، بينما يصل متوسط كمية المطر السنوية في جميع مناطق المطر حوالي ٥١٨ مم . تساهم الامطار الغزيرة مع المياه المتفجرة والجارية في ينابيع وانهر في ارواء سهول فلسطين الثلاثة: ١) السهل الساحلي ويمتد من الناقورة شمالا حتى رفح جنوبا ، يضيق في اماكن ويتسع في اماكن اخرى ، يفصله الكرمل وراس حيفا الى قسمين : القسم الجنوبي ويسمى الساحل الفلسطيني والقسم الشمالي ويسمى سهل عكا ، ٢) غور الاردن يبدأ في منخفض الحولة ليصل الى البحر الميت ، ٣) ويفصل سهل مرج بن عامر والسهول الصغيرة الاخرى مثل سهل البطوف جبال

الجليل عن جبال نابلس وتسهل هذه السهول حركة الاتصال بين الاغوار وشرق الاردن والساحل . ونتيجة للمنحدرات القوية ونتيجة لكثافة الامطار في بعض الاشهر ، تجري كميات هائلة من المياه في الوديان العديدة وتولد في حال اهمال الزراعة وتصريف المياه مستنقعات في السهول . وشهدت فلسطين في العصور الاخيرة حين تراجعت الزراعة نتيجة عدم استتباب الامن مستنقعات كبيرة شملت منطقة الحولة وبيسان وسهل عكا والسهل الفلسطيني خصوصا بين صرفند شمالا وعرسوف جنوبا . ويساهم الشريط الرملي الساحلي والمرتفع في كثير من الاحيان في حصر المياه الوافدة من الجبال وكذلك مياه الينابيع العديدة المتواجدة على الساحل وهكذا نشأت المستنقعات الشاسعة .

يلعب المناخ دورا اساسيا في توجيه الزراعة ، حيث يؤثر عليها ويفرض على الفلاح طريقة عمل خاصة . واهم عوامل المناخ هي المطر ودرجة الحرارة والرياح والتبخر وبشكل اقل رطوبة الجو . يبلغ متوسط الامطار السنوية في فلسطين حوالي ٥١٨ مم يهطل ٨٧ في المائة منها بين شهري كانون الاول ونيسان ، اي انه ضمن الشروط العادية تبلغ كمية الامطار الهاطلة خلال نمو القمح ٤٥١ مم(١) . ويميز الفلاحون ثلاث موجات من المطر : المطر الباكر في شهر تشرين الثاني ، المطر الشديد خلال اشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط والمطر المتأخر في اواخر نيسان(٢) .

تقع فلسطين عموما في محيط مناخ البحر الابيض الذي يمتاز بالاعتدال ، لكن التضاريس الطبيعية القوية تخلق تفاوتا في الحرارة : يبدأ الحر باكرا في الاغوار ثم في السهول الثلاثة المذكورة اعلاه واخيرا في المناطق الجبلية وما تحتويه من سهول داخلية . ولا تعرف سوريا الساحلية عامة وفلسطين خاصة الا فصلين فبعد فصل الامطار يأتي مباشرة فصل الحر . فنتيجة لارتفاع درجة الحرارة وتحت تأثير انخفاض الرطوبة ومجيء الرياح الشرقية ترتفع نسبة تبخر الارض . وتحدث هذه الظاهرة على الاخص في اوائل الربيع ، وتزيد الرياح الخمسينية من سرعة التبخر . وبسبب ارتفاع نسبة الرياح الغربية خلال شهري حزيران وتموز ترتفع الرطوبة ، مما يساعد على هطول الندى وهذا يساعد في ري المزروعات الصيفية .

وقبل الانتهاء من هذا العرض السريع للجغرافية الطبيعية لفلسطين يستحسن ذكر الغابات وقد كانت حتى منتصف القرن الماضي تغطي مساحات شاسعة وبقي قسم وفير منها حتى الحرب العالمية الاولى . يظهر من خارطة صندوق استكشاف فلسطين (Palestine Exploration Fund) وجود مناطق شاسعة من الغابات في الجليل وفي المنطقة الممتدة بين جبل الكرمل وجبال نابلس وفي سهل طولكرم واشتهرت المنطقة بصنع الفحم وسميت قريتان نسبة الى هذه الصفة وهما « ام الفحم » و « فحمه » . وتقع القريتان في المنطقة الشعراوية الممتدة في كل من قضاءي طولكرم وجنين . وسميت هذه المنطقة « الشعراوية نسبة الى (الشعراء) وهي الارض او الروضة الكثيرة الشجر »(٣) . وفي الماضي كانت تمتد غابة كثيفة من عرسوف — سيدنا علي حتى عكا . وحتى عام ١٩٠٩ كان يوجد بقايا من غابة السنديان هذه ، وتقضي على القسم الاكبر منها خلال الحرب العالمية الاولى(٤) . ولكن قبل النمو السريع للمدن كانت مساحة الغابات في المنطقة الممتدة من الجليل الاعلى حتى مستوى جنين ١٣،٤ في المائة من مساحة المنطقة(٥) . استهلك نمو المدن بما اوجده من حركة بناء وتدفئة كميات كبيرة من الخشب والحطب والفحم واستهلك بناء سكة الحديد وتسييرها كميات اخرى .

الجغرافية الانسانية لفلسطين قبل التنظيمات الجديدة : عاشت سوريا قبل تحقيق التنظيمات الجديدة ، والتي صدرت في الحقبة ما بين ١٨٥٢ و١٨٧٦ ، مثل باقي اقطار السلطنة العثمانية في شبه حكم ذاتي ، مرجعه ضعف السلطنة المركزية ومقابل ذلك

سيطرة نفوذ الولاة . ودخل هؤلاء بدورهم في حروب محلية سعيا وراء توسيع منطقة نفوذ الواحد منهم على حساب الاخر . ولذا تميزت تلك الحقبة بصراع دائم بين الولاة تتخلله تحالفات فيما بينهم او مع العشائر القروية او القبائل البدوية ضد اطراف اخرى من ولاة او زعامات محلية او بدوية . وانعـدم الامن اثر ذلـك . وساهمت الـدولة العثمانية بدورها في زرع الفوضى بضعفها وبامتناعها عن بناء شبكة مواصلات توفر الحركية لقوات الجند . وانعزلت المناطق عن بعضها ونشأت تجمعات سكانية منفصلة، تقف بينها الجبال الوعرة والمستنقعات الكثيفة . ويحدثنا الرحالة تومسون(٦) وقد زار فلسطين مرتين (عام ١٨٣٥ و١٨٥٩) عن خطورة التجول في كثير من ربوع فلسطين . اذ كان السفر بواسطة الدواب يأخذ وقتا طويلا . وكما ذكر سابقـا اعتمد الولاة في خلافاتهم الدامية على العشائر القروية وخصوصا على القبائل البدوية المتعاظم شأنها لمرور طريق الحج في أراضيها وصعب على الدولة العثمانية اخضاعها والقيام بجردات ضدها لمحاذير فشلها . فقد ينتقم البدو من قافلة الحج فيهتز اثر ذلك كرسي الوالي بل عرش السلطان(٧). وكانت قبيلة الروالة وخصوصا بني صخر اخطر القبائل السورية . عمدت الدولة العثمانية الى دفع الخوة الى هذه القبائل مما شجعها على ابراز سطوتها، وحتى الى تقوية نفوذها منخلال ربط العشائر الصغيرةبها. وكان من جراء سطوتها هذه اكتساحها لسهول فلسطين وهضبات الجليل . فهرب الفلاحون الى الجبال حيث تتوفر الحماية الطبيعية والجماعية . ويتأكد لنا هذا الوضع من خلال القاء نظرة على خريطة بعثة صندوق استكشاف فلسطين التي وضعت بين ١٨٧٢ و ١٨٧٨ ، اذ نرى ان سهول فلسطين وخاصة المنطقة الممتدة بين يافا وغزة لا تحضن الا عددا قليلا جدا من القرى ، بينما تقع معظم القرى في أعالي او منحنيات الجبال والهضبات . ويؤكد ذلك احد اعضاء البعثة « تتواجد معظم قرى فلسطين في المنطقة الجبلية »(٨). ويصف غرانت نمط بناء القرى الجبلية لاضافة مزيد من المقدرة الدفاعية بقوله « شيدت البيوت في القرى الصغيرة بمحاذاة بعضها بعضا ، كأبنية المدينة وتبدو القرية هكذا وكأنها قسم مشطور عـن المدينة »(٩). وفي كثير من الاحيان كان بيت شيخ القرية يعلو البيوت الاخرى ويستعمل كبرج للمراقبة ، لينذر الحارس الفلاحين العاملين في الحقول المجاورة في حال حدوث اي طارىء .

بعد استتباب الامن خلال الحقبة الاولى من عهد ابراهيم باشا نزح قسم من الفلاحين الى السهول واعادوا تشييد قراهم السابقة . ولكن بعـد خروج ابراهيم باشا وانتشار الفوضى مجددا في سوريا والتي ساهمت في اشعال نارها الحـروب القيسية اليمنية ترك هؤلاء الفلاحون قراهم في السهول وصعدوا الى المرتفعات . ويقـدم الرحـالة تومسون امثلة على ذلـك . فقريتا العفولة والفولة في مرج بن عامر والتي شاهدهما مزدهرتين حوالي عام ١٨٣٥ اصبحتا عام ١٨٥٩ خرابا . وكذلك شاهد في حالة خراب كامل قرية المقيبلة وفي شبه خراب قرية حكمه وتقعان قرب جنين جهة المرج . وكانت مدينة بيسان قرية صغيرة تحتوي على حوالي الف نسمة(١٠). عانى الفلاحون الذين بقوا في السهول وضعا سيئا : وجب عليهم دفع الخوة الى البدو وتحمـل في نفس الوقت غطرستهم التي وقفت حائلا دون تحذير احد منهم لعبثه بالمزروعات . فحتى عام ١٨٧٨ كانت طبريا تدفع خوة لاحد شيوخ بني صخر . وكانت قرية الجاعونة في الجليل الاعلى تدفع خوة الى الوحش شيخ عرب الزنغرية(١١). واما بدو الروالة فكانوا يجتاحون حوران ويضطهدون فلاحي قرية جب يوسف في الجليل الاعلى وبيت جن ويفنيل في الجليل الادنى(١٢)، بل كانت مدينة الناصرة نفسها معرضة لغزوات البدو . يذكر القنصل فين عن غزوة بدوية على الناصرة والقرى المجـاورة ، ان مجمل ما خسرته من حيوانـات وعلف ومتاع بلغ حوالي ٢٠٠ الف قرش(١٣).

عاشت فلسطين قرونا في هذا الوضع المتدهور . واثر اخلاء السهول من الفلاحين دخلت بعض القبائل واستوطنت هناك تستغلها كمراع مع توجه قليل شطر الزراعة . هكذا جاء عرب ابو كشك وقطنوا نهر العوجا واستولى عرب الحوارث وعرب النفيعات على المنطقة الممتدة بين القيصرية ونهر الفالق في السهل الساحلي الفلسطيني . واستوطنت عشائر اخرى في سهل مرج بن عامر وسهول الجليل الادنى . وكانت عشائر مرج بن عامر تقطع بدورها المرتفعات المنخفضة الفاصلة جبل الكرمل عن جبال نابلس للانتقال الى الساحل الفلسطيني الجنوبي وكان بعضها مثل عرب التركمان يصل حتى القيصرية(١٤). وشعرت هذه العشائر شبه البدوية في مناخ الفوضى بحرية الحركة ، باسطة سلطتها على المنطقة ، فارضة الخوة على المارة او معرضة اياهم للسلب ، بل للموت . وكان على قسم من هذه العشائر شبه البدوية بدورها دفع خوة لقبائل شرق الاردن خصوصا لبني صخر . بينما دخل قسم آخر في تحالف مع القبائل القوية وما يترتب عن ذلك من تضامن في الحروب والغزوات القبلية .

نتج عن الاضطهاد الدائم من قبل القبائل البدوية للفلاحين سكان المناطق المتاخمة للصحراء تحول قسم كبير من هؤلاء الى حياة البداوة ، اي انهم تركوا الزراعة ارتباطا بالرعي وما يتطلب ذلك من تنقل . ويساهم هذا الوضع في سرعة التنقل والهرب من وجه بدو الصحراء . تقلصت اثر ذلك الارض الزراعية لصالح الرعي(١٥). ولما كان الرعي وما يرافقه من عمل زراعي هامشي لا يستطيعان اعالة كثافة سكانية معينة ، تقلص عدد السكان حسب معادلة التوازن بين الانتاج والسكان في المجتمعات المعزولة . وتتحقق هذه المعادلة من خلال سوء التغذية وهبوط المستوى الصحي نتيجة هبوط مستوى الوضع السكني .

ان القاء اي نظرة الى جغرافية التوزع السكاني في ذلك الوقت كما نشاهده على خارطة صندوق استكشاف فلسطين يوحي بالصورتين الاساسيتين الاتيتين : الصورة الاولى التي ذكرت سابقا انتشار القرى الصغيرة والكبيرة على المرتفعات المشرفة على السهول او على منحدراتها المحصنة جغرافيا . اما الصورة الثانية فهي تجمع الاماكن المأهولة حول مدن كبيرة نسبيا ويتواجد القسم الجبلي منها مثل القدس ونابلس والخليل ضمن او على حافة سهول داخلية تمثل هذه المدن قطبا للقرى المحيطة بها . ويربط هذه المدن وكذلك المدن الساحلية طرق بدائية لا تكاد تصلح حتى للدواب والجمال، مملوءة بالحجارة لتساعد الحيوانات على تسلق الجبال . واحتوت المنطقة الجبلية الخصبة الممتدة من منطقة نابلس حتى بيت لحم على قسم كبير من القرى الفلسطينية . لكن صعوبة الاتصال بين المناطق الجبلية فرض العزلة على كثير من التجمعات القروية .

كان تعداد المدن الفلسطينية القطبية في اواسط القرن الماضي محدودا . وكان قسم منها مثل نابلس وخصوصا الخليل مدنا زراعية يملك سكانها اراضي زراعية . في عام ١٨٥١ كان تعداد سكان القدس اكبر المدن الفلسطينية ٢٣٥٠٠ شخص(١٦). لذا كانت امكانية تسويق المنتجات الزراعية محدودة جدا ، تنحصر في المنتجات غير المعرضة للتلف كبعض انواع الحبوب مثل القمح والشعير والسمسم ، والزيت والصابون والزبيب والبطيخ . ولم يكن يتوافر سوق واسع لتسويق المنتجات الطازجة مثل الخضار والفاكهة . ومع انه حصل تبادل اقتصادي مع بدو الصحراء لكنه كان هامشيا لا يؤثر على مجمل الوضع الاقتصادي . في اطار هذه الظروف اتسم طابع الاقتصاد بالاكتفاء الذاتي ، يتجسد في انتاج محدود يمليه الجو المناخي للمنطقة الذي لا يتطلب تجهيزا منزليا وانتاجيا عاليا ، عكس جو الصقيع والمطر الدائم الذي يحث على توسيع دائرة الانتاج وما ينتج عنه من شبه تقسيم للعمل .

المجتمع الريفي قبل التنظيمات الجديدة :

سبق لكاتب المقالة ان بحث في كتاب « التعليم والتحديث »(١٧) بتوسع عن الاقطاع التقليدي اي الذي كان شائعا حتى العقد الرابع من القرن الماضي . جمع هذا الاقطاع بين وظيفة جمع الضريبة من الفلاحين وواجب تزويد الدولة بفرق من المقاتلين المحليين . لم يشرف الوالي مباشرة على ارجاء ولايته بل ترك الامر لزعماء المجموعات المحلية المشرف كل واحد منهم على عدة قرى . وتنبع زعامتهم من ترؤسهم لاقوى العائلات في المنطقة والتي ترتبط معها العائلات او « الحمائل » الاخرى في وحدة الدفاع الذاتي كما ذكر سابقا . ونشأت هذه الوحدة لكون أراضي القرية مشاعا تتطلب تفاهما عاليا بين حلقات المجتمع القروي الضيق . وكانت الزعامة وراثية ارتباطا بنفوذ الحمولة النافذة ، ولذا تطور الاقطاع الى تسلط من قبل هذه العائلات على انفلاحين ، وتخلى أفراد الحمولة المتزعمة عن العمل الزراعي المباشر ، تاركين على عاتق الفلاحين زراعة الارض وحمل وزر ضريبة العشر . ولما كان « الاقطاعجي » يحصل على نسبة معينة من العشر سعى الى ضبط عملية التحصيل مستعينا اولا بقوة حمولته ومستعينا ثانيا بشروط الحماية الذاتية الموجبة للتفاهم مع العائلة الحاكمة . فاعتمد على تحصيل العشر من القرية على شيخ القرية ، الذي اعتمد بدوره على « مجلس الاختيارية » لتحديد نسب دفع العشر ، ويتلاءم هذا الانتداب مع طريقة حكم القرية اذ ان مجلس الاختيارية برئاسة الشيخ يحكم جميع جوانب حياة القرية(١٨)، وذلك اعتمادا على الشريعة القروية التي هي خلاصة عدة شرائع منها الاسلامية والعشائرية والقروية القديمة(١٩). ويشرف مجلس الاختيارية على توزيع ارض المشاع وتوزيع اعباء الفدية وتحديد عدد المقاتلين في العمليات القتالية المحلية او الخاصة بالوالي وتوزيعهم ، ويحل المجلس المشاكل الداخلية ، ويحسم الشيخ بدوره المشاكل الفردية داخل القرية ، بل وصلت شهرة بعضهم الى حل مشاكل السكان في المناطق الاخرى . وهكذا نجد ان الحكم الذاتي لم يتحقق فقط في اطار الولاية والناحية بل تعداه الى القرية والعشيرة البدوية وشبه البدوية ، ولكن لا يعني هذا الحكم الذاتي استقلالا تاما بل كما اتضح لنا سابقا توجد ارتباطات ادارية وذاتية تدفع الى تمسك القرى ببعضها في اطار الناحية .

بسبب انعدام المواصلات كما ذكر سابقا وجو الفوضى الذي خيم قرونا على ربوع السلطنة العثمانية خصوصا في المناطق المتاخمة للبادية ، انعزلت التجمعات القروية عن بعضها ، وحكمت نفسها ذاتيا وعاشت على الاكتفاء الذاتي . وفي نفس الوقت تقلص عدد السكان نتيجة زحف الصحراء وغمرها لاقسام اضافية من المنطقة الحضرية ، فتحول سكان هذه المناطق الهامشية الى رعاة مع عدم التخلي تماما عن ممارسة الزراعة . وزحفت افخاذ من العشائر البدوية لتحتل السهول المنخفضة جاعلة منها مراعي لمواشيها . هرب الفلاحون الى الجبال حيث للانتاجية والانتاج حدود خصوصا في جو الارهاب العام . واستطاع آخرون التجمع في المنطقة الممتدة من غزة الى اللد حيث تتواجد عدة مدن قادرة مع تجمعهم القروي على توفير الحماية .

كانت دائرة زراعة القرية محدودة لضرورة العودة مساء الى القرية ووصولها بسرعة حال حدوث غزوة . وداخل هذه الدائرة زرع الفلاح ما يحتاج اليه من انواع الخضار والحبوب والاشجار المثمرة ولكن ضمن المعطيات المناخية والمائية ، واهمها انتساب فلسطين الى منطقة المناخ الجاف ـ البحر المتوسطية فلذا وجب على الزراعة التقليدية اخذ المعطيات البيومناخية بعين الاعتبار . زرع الفلاح جميع اصناف الخضار والاشجار المثمرة في الاراضي المروية ، فكانت بساتين القدس ونابلس والخليل ويافا واللد والرملة

وغزة وعكا مغناة للرحالة ، مثال ذلك وصف تومسون للمنطقة الشاملة للد والرملة معجبا بتعدد انواع الاشجار المثمرة وازدهار الارض(٢٠).

ولم تتوفر المياه في كل مكان ، ولذا وجب على الفلاح الاعتماد على أمطار الشتاء الموسمية . احسن الفلاح استخدام معطيات المناخ والتربة احسن استخدام . فأدرك اهمية زراعة شجر الزيتون والعنب والتين وكذلك زراعة اصناف الحبوب حسب دورة معينة . ومما فاجأ الخبراء الاجانب الذين كتبوا عن زراعة الفلاح الفلسطيني والسوري عامة مقدرته على الزراعة في الصيف حيث يعم الجفاف(٢١). ادرك الفلاح من خلال خبرته وتراثه الفلاحي وجوب تنظيم نشاطه الزراعي بشكل يساعده على الاستفادة القصوى من المناخ (الامطار ، الرياح ، الندى ، حرارة الشمس ...) ، فجاءت حراثته للارض تحفظ الرطوبة الداخلية للتربة ليستطيع النبت النمو والصمود امام حدة الشمس ، وخصوصا حفاظ رطوبة التربة للزراعة الصيفية .

قابل الاوروبي محراث الفلاح الفلسطيني بالسخرية معتقدا بتخلف تقنية الفلاح ، ولكن بعد التدقيق والمراقبة ادرك ملاءمة حجم المحراث ومعطيات المناخ والارض(٢٢). وخشي الفلاح من حرارة الشمس التي قد تجفف الارض بعد سقوط المطر ، فسعى الى حفظ الرطوبة واستغلال هذه الحرارة في نفس الوقت لقتل النباتات الطفيلية والاستفادة منها كسماد طبيعي . ونشط الفلاح خلال فصل الشتاء في تكرار حراثة الارض كتمهيد لزراعة الاصناف الصيفية ، ويهدف هذا التكرار في الحراثة لادخال اكبر كمية من المياه في جوف الارض وذلك لرفع درجة رطوبة الارض ، لتستطيع ارواء النباتات حتى شهر أيلول اي حتى موعد حصاد السمسم ، آخر محاصيل الصيف . لقد كان الفلاح يدرك اهمية الحفاظ على دورة زراعية تحفظ للتربة خصوبتها وبل ترفع درجة الخصوبة نتيجة اختلاف المزروعات واختلاف استهلاكها للمواد الكيماوية ، ومن جهة اخرى تجعل العوامل المناخية سريعة التغير الفلاح متنبها للظروف الجديدة يستغلها دون تباطؤ لمصلحته ، كما يسعى بجد الى محاربة الحشائش المضرة النابتة مع المزروعات .

اذا القينا نظرة على نشاط الفلاح خلال السنة نجده حافلا بالاعمال المتعددة ، ونكتفي هنا بذكر جدول للاعمال الحقلية(٢٣):

الحراثة التمهيدية	تشرين الثاني ــ كانون الاول
حراثة وزرع البذار الشتوية	كانون الاول ــ كانون الثاني
الحراثة التمهيدية الاولى للبذار الصيفية	شباط
الحراثة التمهيدية الثانية للبذار الصيفية	آذار
زرع الحمص	آذار
اقتلاع الاعشاب المضرة ونكش الارض بين النباتات الشتوية	آذار ــ نيسان
زرع الذرة	نيسان
الحراثة التمهيدية الثالثة للسمسم	نيسان
زرع السمسم	أيار
قلع العشب ونكش الارض امام البذور الصيفية	أيار
حصاد الشعير	حزيران
قلع الفول	حزيران
حصاد الحلبة	حزيران
حصاد القمح	حزيران ــ تموز
حصاد الحمص	حزيران ــ تموز
درس القمح والشعير والفول والحمص والحلبة	حزيران حتى أيلول

حصاد الذرة	آب
حصاد السمسم	ايلول
درس الذرة والسمسم	ايلول ــ تشرين الاول
تذرية وغربلة القمح	تموز حتى تشرين الاول

لا نستطيع تعميم هذا النشاط على جميع المناطق الزراعية ولكن يتضح من هذا الجدول العمل الدائم للفلاح وعائلته المصغرة والذي يشمل ايضا زراعة الخضراوات والاعتناء بالاشجار وقطف ثمارها والاعتناء بالمنزل وتحويل الانتاج الزراعي الى مواد غذائية . لا يستطيع الفلاح تحقيق هذه الاعباء فرديا ، بل تتطلب جهدا جماعيا لسرعة انجازها او انعكاسا لجماعية بعض ادوات الانتاج. وتلعب اليد العاملة النسائية والاولاد دورا رئيسيا في تحمل الاعباء التي لا تتطلب قوة بدنية ، ولكن يتطلب قسم منها خبرة وخصوصا مقدرة على الاحتمال والصبر .

ولان المحراث العربي ــ الفلسطيني لا يحتاج الى قوة ضاغطة قوية ، كانت الحيوانات التقليدية من عجل وثور وحمار وجمل وبغل تقوم بهذه الوظيفة وجميعها قانعة برواسب الحقول واعشاب الطبيعة كغذاء(٢٤)، فلا يحتاج الفلاح الى مخازن للعلف . ومن جهة اخرى تجري عمليات درس القمح وتخزينه في الصيف وفي العراء وفي وسط الحقول او بالقرب منها فلا يحتاج الى بناء مخازن او استعمال ادوات معقدة لاتمام هذه العمليات . كما لا تفسح المسالك الجبلية لسير العربات فتستعمل الدواب والجمال . وهكذا نجد ان تجهيزات الفلاح كما قلنا سابقا محدودة تحد بدورها من دائرة التبادل السلعي .

بالرغم من وطأة الاقطاع التقليدي وارتفاع الاعباء الضريبية احيانا نتيجة طمع الولاة وشيوخ النواحي واحتياجهم الدائم للمال لتمويل حروبهم الخاصة ، لم يشعر الفلاح بالغبن الكبير لكون العشر عينيا ، يقطع من انتاجه . لكن الغبن الاكبر كان يلحقه من الغزوات والسرقات ، التي كانت تسبب له فقدان الانتاج السنوي او فقدان حيواناته ، الركيزة الاساسية لانتاجه الحقلي .

ولا بد من الكلام عن تعلق القرويين بمزارات الانبياء والاولياء . كانت هذه المزارات شائعة بشكل قوي جدا . تكاد لا تخلو اية قرية او ناحية من مزار . اخذت بعض المزارات شكل اشجار سنديان قديمة يفترض جلوس او سكن الولي بقربها(٢٥). كما أخذ قسم آخر من هذه المزارات شكل احجار او ينابيع . ويخص قسم كبير من هذه المزارات الانبياء القدامى . بل كان الاحتفال بهؤلاء الانبياء من أهم الاعياد في المجتمعات الفلاحية الواسعة ومثال ذلك عيد النبي روبين وعيد النبي موسى . كان الفلاح يحتاج الى شفيع يساعده على تحمل مظالم الحياة واضطهاد الحكام وفي نفس الوقت ليساعده على تدارك الكوارث المناخية ونيل محصول وفير ، اذ تخضع الزراعة في المناطق شبه الجافة الى عدة عوامل . فانحسار المطر او تلته او غزارته في غير وقته تهدد جميعها المحصول ، كما تهدد الرياح الخمسينية بدورها المحصول في حال مجيئها باكرا او في حال اطالة مدة بقائها ، وكذلك تسيء الى النباتات الرياح الشرقية الحارة(٢٦). ويعبر الفلاح عن شكره للموسم الجيد بالاحتفالات الطويلة قرب المزارات المهمة . وتمثل هذه الاحتفالات ترفيها له ومعظمها يأتي بعد حصاد المزروعات الشتوية اي في الصيف . كان تدين الفلاح بدائيا نسبيا ومرتبطا بالقدرية والخرافية .

وقبل الانتهاء من وصف حياة الفلاح قبل التطور الراسمالي يجدر بالذكر هنا الحقيقة التالية : بالرغم من تمسك الفلاح بتقاليد انتاجية يرجع تاريخها الى العهود القديمة الا ان زراعته تطورت في كثير من الجوانب عن المستوى الزراعي الموجود في التوراة . واكبر

مثال على ذلك معرفة الفلاح بأنواع خضار لم تعرفها أرض فلسطين في العصور القديمة، ومن هذه الخضار(٢٧) البامية والباذنجان والبندورة والفليفلة والخيار والسبانخ والملوخية ، ولقد دخلت فلسطين والمشرق العربي مع الفتوحات الاسلامية .

التنظيمات الجديدة واثرها على العلاقات الاجتماعية : بدأ الاصلاح الاداري(٢٨) في الدولة العثمانية عام ١٨٣١ حين ألغي الاقطاع السياسي والمالي القديم واعلنت في عام ١٨٣٩ الجندية الاجبارية تكملة لالغاء الاقطاع القديم الذي أنيط به سابقا تقديم الرجال المسلحين للوالي ، وكان قد سبق ذلك الغاء فرق الانكشارية عام ١٨٢٦ . فتح هذا التطور امام الدولة العثمانية امكانية بناء الجيش الحديث ، والذي كان بدوره مبعثا اساسيا لتطوير الوضع المالي والتعليمي انعكاسا للاحتياجات المالية والكفاءات العلمية . وتحققت الادارة المحلية عن طريق قوانين ١٨٥٢ ، ١٨٥٨ ، ١٨٦٤ ، حين طورت وحددت ادارة الولايات وانشئت النواحي والبلديات وأنشىء تمثيل محلي وعام .. سعي قبل عام ١٨٥٦ الى تحقيق بعض الاصلاحات المالية ، فجاءت هامشية يضاف الى ذلك أن تطبيقها تعذر بسبب حرب القرم . بعد هذا التاريخ صدرت القوانين المالية الجديدة والتي جاءت اكثر جذرية بسبب ارتفاع الديون الخارجية نتيجة اعباء الحرب وضغط الدول الاوروبية وايضا بسبب الطموح لبناء الجيش الحديث ، وسعي الى تطبيق هذه القوانين بكل نشاط وحزم .

كانت الضرائب المباشرة(٢٩) كالتالي : أ) الويركو والمسقفات (ضريبة على الملك) ، ب) الاعشار (ضريبة على الانتاج الزراعي ومنها الاشجار المثمرة) ، ج) الاغنام (ضريبة على الاغنام والجمال المعدة للنقل) ، د) التمتع (ضريبة على الانتاج الحرفي وفي قطاع الخدمات) ، هـ) الكروسة او العمالة المكلفة (ضريبة بناء او صيانة الطرق او العمل ثلاثة ايام في السنة في هذا القطاع) ، و) المعارف (ضريبة تضاف على الويركو) . لم تأت التعديلات الضرائبية الجديدة ثورة حقيقية في المجال المالي لاعتماد ركائزها على الانماط الضرائبية السابقة مع بعض التعديلات . فعوضا عن جمع الضريبة خصوصا الاعشار عن طريق « الاقطاعجي » اصبح يجمع عن طريق الملتزم الراسمالي . وتحولت الضريبة من اقتسام عيني للمحصول الى تقدير نقدي للمحصول ، ويجري تسديدها على هذا الاساس . ومع اقصاء الزعامة التقليدية كوسيط مع الدولة ، والتي وجب عليها جمع الضريبة العينية ، اصبح الان ضروريا تحديد ملكية الارض فرديا لمحاسبة المالك ضرائبيا . وهكذا ادخل امر فرز وتسجيل الملكية (الطابو) . واستفادت الدولة من طرق تلزيم الضريبة للحصول مسبقا على قيمة الضريبة من خلال مزاد علني يرسى على المتقدم بأعلى عرض .

دخلت العلاقات الاجتماعية نتيجة التنظيمات الادارية والمالية وما رافقها من خضوع لارادة الدول الاوروبية وارتفاع معدل الفساد الوظيفي ، في مرحلة جديدة ، مرحلة التطور الراسمالي ـــ التجاري . وشجعت الدولة العثمانية انتساب أولاد العائلات الوجيهة من مدينية وريفية الى المدارس الرشيدية (العسكرية) والى المعارف والمدارس العليا للانتظام بعد ذلك في السلك العسكري والاداري . واستفادت هذه الوجاهة من تسجيل الاراضي ، فسجلت أملاكا كبيرة باسمها بسبب جهل الفلاح وخوفه من الطابو كوسيلة لمعرفة عدد اولاده وطلب الذكور منهم الى الجندية . لقد كانت حرب القرم مجزرة فتكت بأبناء الفلاحين ، كما كانت الدولة ترسل المجندين الى البقاع البعيدة مثل اليمن فينقطع اتصالهم مع الاهل ويعيش هؤلاء في الشك من امكانية عودة اولادهم . لم يكن هذا الوضع فقط عبئا عاطفيا على الفلاح بل ايضا خسارة مادية لفقدانه مرحليا أو دائما لقوى أنتاجية .

اعتمد الملتزم في تحصيله للضريبة على قوة الجند ، الذين كانوا يجدون في الحملات التأديبية وسيلة للانتفاع من الفلاح والقرية(٣٠). كانت العلاقة في كثير من الاحيان بين الملتزم وبين المسؤولين الاداريين اكثر من علاقة رسمية ، كانت ايضا علاقة مصلحية مستمدة من عنصر القرابة وعنصر الصداقة واهم من ذلك كله من عنصر النفع المشترك. سعى الملتزم بجميع الوسائل الى تحقيق الربح الوفير من خلال رفع قيمة التخمين وتحقيق هذا التخمين باكرا اذ قد يحرق الحر الشديد قسما من المحصول ، وتحميل الفلاحين تكاليف هذا التخمين وتكاليف الوكلاء المحليين . واستمال الملتزم اليه في كثير من الاحيان شيوخ القرى والحمائل وخصوصا المخاتير المعينين من قبل الدولة ، كي يصمتوا عن اعماله وينالوا حصتهم من الربح ومن الاراضي الاتية من تجريد الفلاح لملكيته اثر العجز الضريبي(٣١). كان الالتزام للراسماليين وسيلة لتجريد الفلاح من ارضه باسم العجز عن دفع الضريبة . وسعيا وراء زيادة الربح تضامن راسماليو المدن في تقديم عروض الالتزام المنخفضة مقاومين دخول الغرباء المزاد العلني . انخفض مع الوقت دخل الدولة بينما ارتفع دخل الراسماليين (الافندية)(٣٢). وامام تراكم الضريبة وثقلها المالي وتحكم الملتزم بالفلاحين عن طريق الجند ، باع قسم من هؤلاء اراضيهم لتجار المدن مفضلين العمل بالمشاركة ويتعهد المالك الجديد بدفع الضريبة . ليس من السهل على الفلاح بيع ارضه ، اساس مركزه الاجتماعي ومأمنه الاقتصادي لكن لم يكن امامه الخيار اذ كان سيفقدها عبر ثقل الديون . لم يتدخل في البدء المالك المديني في شؤون الزراعة مستفيدا من اقراضه للفلاحين ورفع حصته مع الوقت وكذلك من ارتفاع سعر المحاصيل بعد توسع المدن وفتح باب التصدير في أواخر القرن الماضي . وبدأ المالك يهتم بالزراعة مع زيادة الطلب الخارجي على انتاج الحمضيات وتطلب مثل هذه الزراعة استثمارات مرتفعة .

وكان هناك سبب آخر لبيع الاراضي للراسماليين ، فحسب القانون لا تسجل الاراضي جماعيا بل يجب فرزها وتسجيلها فرديا . كانت عمليات الفرز والتسجيل تكلف مبلغا عاليا يفوق امكانيات قسم من الفلاحين . فكان الراسمالي يعرض استعداده لشراء الحيزة كلها او قسم منها وتحمل تكاليف الفرز والتسجيل(٣٣). وتمسك بعض الفلاحين بأراضيهم وسعوا الى دفع الضريبة بجميع الوسائل ومنها قطع الاشجار خصوصا شجر الزيتون وبيعه في المدن ، بعدما ارتفع الطلب عليه نتيجة الحركة العمرانية الكبيرة في المدن خصوصا في القدس ويافا وحيفا ونتيجة استعماله المتزايد في صنع التذكارات الدينية وبذلك يكون الفلاح استهلك راسماله للاحتفاظ بأرضه . وساهمت ضريبة العشر بدورها في قطع اشجار الزيتون والامتناع عن زرع المزيد منها ، فانخفضت اثر ذلك مساحة الاراضي المزروعة زيتونا(٣٤).

وخولت القوانين الجائرة الدولة سلب الارض من الفلاحين خصوصا من البدو . فكانت تبيع بالمزاد العلني ارض كل عشيرة تقاعست عن دفع الضريبة . واستحصل بهذه الطريقة عدد من راسماليي صفد على مساحات من الاراضي . هكذا خسر العرب السواعيد أرضهم قرب بحيرة الحولة(٣٥)، واجبروا على الرحيل . وقبل ذلك خسرت العشائر القاطنة في مرج بن عامر اراضيها . ذكر مرارا احصاء اوهاغن(٣٦) الموضح اتساع الاقطاع الراسمالي في سوريا الشمالية ، ذاكرا ان ٢٠ الى ٣٠ في المائة فقط من ارض سوريا الشمالية بقيت حتى عام ١٩٠٧ بيد الفلاحين وتتفاوت هذه النسبة من مكان الى آخر . ففي شرق الاردن بقي ١٥ في المائة بيد الفلاحين بينما بقي في الجليل ٢٠ في المائة وفي المنطقة الجبلية (نابلس — القدس — الخليل) ٥٠ في المائة . يتضح لنا ان الاقطاع الحديث نما بشكل كبير في المناطق التي كانت مهددة مباشرة من قبل البدو او يقطنها اشباه البدو مثل شرق الاردن وحوران والجولان وسهول الجليل، والسهل

الساحلي الفلسطيني ، اي في المناطق التي سجلت الاراضي بأسماء زعماء العشائر او التي طردت منها كما ذكر سابقا . اضافة الى هذا الاقطاع الحديث استولى السلطان عبدالحميد على مساحات كبيرة من الاراضي بلغت جميعها حوالي مليون فدان موزعة بين وادي الاردن والحولة وفي الخليل وغزة(٣٧).

ولم ينج شراء الاراضي من قبل الراسماليين الفلاح من تراكم الديون ، بل لازمته تلك الديون بسبب انخفاض حصته ، اذ كان يحصل الفلاح مثلا لدى عائلة سرسق الاقطاعية على حوالي خمس الانتاج يضاف الى ذلك الضرائب غير الزراعية(٣٨)، فلا يبقى له الا النزر اليسير الذي لا يكاد يكفي لاعالته في سني الخيرات فكيف يمكن لهذا الدخل ان يعيله في سني الجفاف وان يواجه به تكاليف الاعباء الاجتماعية . ويتحدث كتاب «ولاية بيروت» عن ان اكثر اغنياء نابلس تقريبا «يقرضون اموالهم سنويا بفائض يتراوح بين (٦٠ و ٧٠ في المائة) »(٣٩). وظهرت نتيجة تراكم الديون والفقر المتزايد ظاهرة هجرة الفلاحين المعوزين الى المدن النامية(٤٠)، وفضل قسم آخر الهجرة الى امريكا . وسعى قسم من فلاحي الجبال الاستفادة من اختلاف مواعيد الحصاد للعمل في السهول ، كما ترك قسم آخر على عاتق اخوتهم في القرية الاعتناء بالاملاك العائلية وقصدوا هم شرق الاردن للعمل في اراضي شيوخ القبائل(٤١)، خصوصا في منطقة عمان لدى شيوخ بني صخر(٤٢). اضافة الى الاعباء الضريبية الشديدة الوطء كان على الفلاحين تحمل عبث موظفي الدولة ونهمهم الشديد . في ظل فقدان العدالة بسبب الرشوة وجدوا في الدولة وموظفيها عدوا لهم يحصل على الضريبة لتمويل عمليات سلب اضافية . وتهربا من مجابهة موظفي الدولة سعى الفلاحون الى اخفاء المشاكل والخلافات الداخلية وحلها بالطرق التقليدية ، فابقى المجتمع الفلاحي على المحاكم التقليدية الممثلة بالمجالس الاختيارية تحت شعار « حساب القرايا مش مثل حساب السراي » . نستخلص من هذا الوضع تمسك المجموعات الفلاحية بنظامها العشائري بالرغم من اضمحلال شطر من اساسه المادي ، يساعدها هذا النظام العشائري ــ القروي على تحقيق حد ادنى من الامن في محيطه كما يساهم في تحديد العلاقات مع التجمعات المجاورة . ومن الجدير ذكره هنا أن المشاع لم يضمحل تماما ، اذ بالرغم من تسجيل الارض باسم شيخ الحمولة او العشيرة بقيت الارض تستغل على طريقة المشاع التقليدي ولكن في نطاق اضيق من قبل . ففي السابق كان المشاع على نطاق القرية كلها واصبح حاليا في نطاق العائلات الرئيسية في القرية . كما بقي المشاع ردحا من الزمن في الاراضي المنتقلة الى وجهاء وراسماليي المدن . لكن اختفى المشاع في الاراضي التي سجلت باسم العائلات الصغيرة .

بدات العزلة الجغرافية تتلاشى تدريجيا توازيا مع بناء شبكة المواصلات الحديثة . افتتحت اول طريق عربات في فلسطين عام ١٨٦٦ وهي طريق يافا القدس(٤٣). وفي عام ١٨٧٩ جرى توسيعها وفي بعض المناطق اعادة تخطيطها . وبعد عام ١٨٨٦ اثر ترؤس مدحت باشا الحكومة في اسطنبول(٤٤) جرى نشاط واسع في انشاء الطرق ، فافتتحت في عامي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ الطرق الاتية: القدس ــ بيت لحم ــ الخليل ، والقدس ــ اريحا، والقدس ــ عين كارم وبعد ذلك انشئت طريق يافا ــ نابلس ويافا ــ غزة ، وكذلك طريق حيفا ــ طبريا وحيفا ــ الناصرة . وبدأ السير على الخط الحديدي يافا ــ القدس عام ١٨٩٢ وحيفا ــ درعا عام ١٩٠٨ والخط الاخير فرع من الخط الحجازي(٤٥). واخذ التعامل بين القرى والمدن القريبة والبعيدة يزداد وخصوصا ان الطلب على المنتجات الزراعية ارتفع اثر نمو المدن(٤٦) نتيجة نمو المؤسسات الرسمية والتبشيرية وارتفاع عدد السواح وازدياد عدد موظفي الدولة ومجيء المستوطنين الاجانب من الالمان واليهود ، وعموما نتيجة ارتفاع الدخل في المدن . وحث نمو المدن وازدياد الاعمال نتيجة

الارتفاع الكبير في حركة التجارة الخارجية ووجود المؤسسات التعليمية والطبية القرويين على الانتقال اليها للعمل . ومع نمو الاسواق الداخلية جرى توسع في زراعة الخضروات كما ازداد الطلب على المنتجات القروية من زراعية مصنعة او حرفية، كما تصاعد الطلب في القرى على المنتجات المدينية والمنتجات المستوردة . وجلب الوضع الاقتصادي الجديد تحسنا في وضع الفلاحين المالكين والقاطنين في جوار المدن النامية،لكن الاستفادة الكبرى جاءت لصالح الراسمالية التي استغلت الفلاح وزاد ثراؤها من جراء ارتفاع اسعار الاراضي في المدن وفي فلسطين عامة ، فاحتكرت التراكم الراسمالي على حساب فقر طبقة الفلاحين .

واظهرت الدول الاوروبية اهتماما بالانتاج الزراعي الفلسطيني ، فصدرت فلسطين القمح وخصوصا شعير غزة وبئر السبع لجودته في صناعة البيرة(٤٧). كما بدأ يظهر اهتمام بريطانيا الواسع بانتاج الحمضيات ، فتوسعت اثر ذلك هذه الزراعة لتشمل مساحات كبيرة من منطقة يافا . ولا بد من التنويه هنا ان هذه الزراعة قديمة في يافا : بلغ عدد البساتين في اواخر العقد الثامن من القرن الماضي حوالي ٤٠٠ بستان مساحتها ٣٦٨ هكتارا(٤٨). استهلك قسم من الانتاج محليا وصدر الباقي الى مصر وقدر تومسون الربح من زراعة الحمضيات في الستينات من القرن الماضي بحوالي عشرة في المائة من راس المال(٤٩). ارتفع ثمن تصدير البرتقال من ميناء يافا من ٢٦،٥ الف جنيه استرليني عام ١٨٨٥ الى ٢٩٧،٧ الفا عام ١٩١٣ (٥٠)، وشجع نجاح تصدير بعض المنتجات الزراعية الملاك الكبار على ادخال الالات الحديثة ، مثل المضخات الالية العاملة على الكاز بدلا من المضخات الهوائية ، واصبح تعدادها بالالاف عام ١٩٠٧(٥١). كما استعمل الملاك الكبار المحراث الآلي لزراعة الاراضي البور وجرى استئجار قسم منها من المستعمرات الاوروبية . واكدت هذه الظاهرة مقدرة الراسمالية العربية النامية على استعمال الآلة الحديثة ، وتحمل تكاليفها الباهظة . ولم يكن الفلاح محافظا لدرجة انكار ما تراه عيناه من فوائد الطرق الزراعية الحديثة ، غير ان افتقاره الى راس المال وقف حجر عثرة امام طموحه .

دخل المجتمع الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى في مرحلة جديدة ، تتمثل في بزوغ عصر الراسمالية وما تعنيه من تراكم لراس المال وحركية استثماره . وجاء هذا التراكم اثر تطورات ادارية ومالية واقتصادية غيرت العلاقات المادية واعطت المجال لفئات عديدة أهمها الوجاهة التقليدية المتطورة وفئة التجار لاستحواذ هذا التراكم على حساب افقار الفلاحين والحرفيين التقليديين الذين فقدوا اسواقهم لمزاحمة السلع المستوردة لانتاجهم . بدأت الجماهير الفلاحية تنظر بنقمة الى طبقة « الافندية » ترى فيها السلطة المتحكمة بأرزاقهم وذلك من خلال سيطرتها على الادارة الرسمية بطريق مباشر وغير مباشر اي عن طريق الرشوة . وبدأت التجمعات الفلاحية تتخلى عن عزلتها وتتقبل السلع وادوات الانتاج الحديثة وكذلك وسائل النقل الحديثة . واتسع مجال ارتباطها القومي . واسهم تطور الملكية في تحررها من الاقليمية المحدودة ، لكن الارتباط العشائري ظل فاعلا يتمم واجبه في الحفاظ النسبي على الامن .

لم يحقق التطور الراسمالي هذا تغييرا جذريا في البناء الاقتصادي ، انجز فقط تصعيدا في التناقض الطبقي نتيجة تعديل نمط الملكية والتي جاءت لصالح اثرياء قطاع الخدمات . فشل الفلاح في ايجاد تنظيم جماعي جديد يحافظ على حقوق الافراد فظل مرتبطا بالنمط العائلي ــ السياسي القديم والمعرض في نفس الوقت للتفسخ بسبب نمو الملكية الفردية والمصلحة الخاصة . لكن هذا النمط التقليدي وجد مبررات لبقائه مثل المواظبة على وظيفته كوسيط بين الفرد والسلطة ، واستمد قسما من استمراريته من بقاء النمط

الانتاجي القروي التقليدي المبني على السلطة الابوية المطلقــة ، فظلت في اطار هذا النشاط الاقتصادي ـ الاجتماعي القيم والضوابط التقليدية سارية المفعول . ولم يجد انفرد في تجديد مؤسسات الدولة العثمانية قيمـا جديدة تحثه على بلورة مفهوم جديد للعمل الجماعي وللمصلحة العامة الاساس السليم لتحقيق رفاهيته الشخصيته وتلمس فيها نفس العداء لحقوقه فأبقى على عدائه لها .

الفلاح العربي والاستيطان الاوروبي : يذكر سيمبسون في تقريره(٥٢) قول احد الخبراء : ان الحراثة العربية ليست اقل مستوى عن انماط اخرى من الحراثة بل تفوقها احيانا ، لكن مشكلتها تكمن في بطء سرعتها . ويؤكـد سيمبسون بدوره ان الفلاح العربي ذكي ونشيط وكفؤ في عملـه ، قادر في حال توفر راس المال وفي حال اطلاعه على الطـرق الزراعية الحديثة على اعطاء احسن النتائج . وبالرغم من صدور هذه الشهادة عـام ١٩٢٩ الا انها تتحدث عن الطريقة التقليدية للحراثة والتي حاولنا وصفها باقتضاب . ولم يكن من مصلحة الصهيونية الاعتراف بكفاءة الفلاح لانها بموقفها هـذا قد تشجع حكومة الانتداب على تحسين حالته المادية ، وتحرره من الديون ، فلا يتخلى عن ارضه وقد استرجع قسما منها بشرائها من الاقطاعيين خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها مباشرة ، اذ ان الفلاح لا يبيع ارضه بكل سهولة خلافا للاقطاعي خصوصا التاجر الذي لا تربطه بالارض اي رابطة فينظر اليها بمنظار الصفقة . ادركت الصهيونية اكثر من غيرها كفاءة الفلاح وقد استعانت به لاعمار مستعمراتها . كما ان ازدهار المستعمرات الالمانية بني على تمازج الزراعة الفلاحيــة مع التربية الحديثــة للحيوانات اضافة الى تحسين التجهيزات الاولية (الطرق ، الري ...) . سعى الالمان قبل اليهود الى ادخال المحراث الاوروبي لرفع انتاجية الارض لكنهم فشلوا لاختلاف المناخ والتربة(٥٣).

اعتمد ازدهار القسم الاكبر من المستعمرات الصهيونية على سواعد الفلاحين العرب ، الذين عملوا في البيارات او ساهموا في زراعة الاراضي . اراد المستعمرون اليهود بعد فترة من بدء استيطانهم الزراعي التحرر من العامل العربي بزراعة العنب في المستعمرات التي مولهـا روتشيلد ، لكن التجربة فشلت لصعوبة التصريف في الخـارج وارتفاع معدل الاعتماد على المنتجات الزراعية العربية . كان على الفلاح العربي تعليم المهاجر اليهودي طريقة زراعة الخضار والزراعات الشتوية والاعتناء بالبرتقال وزراعة البطيخ. كان اليهودي المهاجر يفتقر الى قوة الاحتمال نسبة للعمل الحقلي(٥٤)، اذ جاء معظم المستعمرين من المناطق المدينية ومارسوا مهنا غريبة عن الزراعة . واما القسم الاكبر من خريجي مدرستي الزراعة اليهوديتين في فلسطين فقد فضلوا العمل في المدن او الهجرة الى الخارج . لقد طلب رسميا من الفلاحين في كثير من الاحيان تعليم المهاجرين الجدد العمل الزراعي(٥٥). ولم يمارس الصهاينة الزراعة الصيفية لعدم وجود النساء والاولاد القادرين على جني المحصول بسرعة(٥٦). لقد كان تعداد العمال العرب في المستعمرات القديمة يفوق تعداد المستعمرين اليهود(٥٧). وبقي الصهاينة حتى الحرب العالمية الاولى يعتمدون على الخضار العربية .

وقد قبل الفلاحون العرب على مضض بيع الراسماليين للاراضي الى الجمعيات اليهودية ـ الاوروبية وذلك عن طريق يهود عثمانيين . وكان هؤلاء الراسماليون قد حصلوا على هذه الاراضي بالظلم والاستبداد وبنظر الفلاحين ، يعني كل بيع الى مجموعة اوروبية تقييدا او منعا لعملهم في الارض . لكن اعتماد المستعمرين على الفلاحين وزيادة دخل هؤلاء جعلهم يسكتون مؤقتا عن الوضع. على ان رفضهم وتذمرهم الشديدين ظهرا اكثر ضد الصندوق القومي اليهودي الذي نص نظامه الداخلي على رفض اليـد العاملة العربية . بدأ الفلاح يدرك مطامع الصهيونية ويستوعب خطرها على مستقبله . وشمل

هذا التذمر قسما كبيرا من فلاحي فلسطين لاستعداد اعداد متزايدة منهم النزوح الى السهول لزراعة الارض هناك بعد استتباب الامن ، ثم ازداد الطلب على الاراضي الزراعية اثر الزيادة السكانية الملموسة ، التي شهدتها فلسطين بعد عام ١٨٨٠ ، ولم تتوفر هذه الاراضي في المنطقة الجبلية بسبب استغلال جميع الاراضي الممكنة .

---

١ — W. Pinner, *Wheat Culture in Palestine*, Tel Aviv, 1930, p. 29.

٢ — G. Dalman, *Arbeit und Sitte in Palaestina*, 2nd. ed., Guterloh, 1964, 1/1, p. 175.

٣ — مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، الجزء الثالث ، القسم الثاني « في الديار النابلسية » (٢) ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٠ .

٤ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الاول ، القسم الاول ، ص ٧٥ .

٥ — Anderlind, *Zeitschrift des deutschen Palaestina*, (Z D P V) Vereins, 1885, p. 113.

٦ — W. M. Thomson, *The Land and the Book*, 2nd. ed., London, 1911.
طبعة جديدة ومراجعة من قبل Julian Grande

٧ — A. K. Rafeq, *The Province of Damascus, (1723-1783)*, Beirut, 1970, p. 258.

٨ — C. T. Wilson, *Peasant Life in the Holy Land*, London, 1906, p. 57.

٩ — E. Grant, *The People of Palestine*, 2nd. ed., Philadelphia, London, 1921, p. 43.

١٠ — تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٤٥٢ — ٤٥٨ .

١١ — T. Ashkenazi, *Les Tribus Semi-Nomade de la Palestine du Nord*, Paris, 1938, p. 23-24.

١٢ — **نفس المصدر** ، ص ٦ — ٨ .

١٣ — J. Finn, *Stirring Times*, London, 1878, p. 22.
من كتاب : A. Bonne, *Palaestina Land und Wirtschaft*, Leipzig, 1932, p. 145.

١٤ — اشكنازي ، **المصدر السابق** ، ص ٩ .

١٥ — H. Auhagen, *Beitrage zur Kenntnis der Landesnatur und der Landwirtschaft Syriens*, Berlin, 1907, p. 46.

١٦ — L. Bauer, *Volksleben im Lande der Bibel*, Leipzig, 1903, p. 295.

١٧ — نبيل ايوب بدران : **التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني** ، الجزء الاول ، عهد الأنتداب ، مركز الابحاث — سلسلة دراسات رقم ٦٣ — بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٤ — ٣٣ .

١٨ — Mrs. E. A. Finn, *Palestine Peasantry : Notes on their Clans Warefare, Religion, and Laws*, 2nd. ed., London, 1923, p. 20.

١٩ — حسب فن ، **المصدر السابق** ، كان في منطقة الخليل شريعة خاصة اسمها « شريعة الخليل » ، مما يؤكد قدم علاقة السكان بمقام الخليل والعيش بجواره .

٢٠ — تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢٣ .

٢١ — اوهافن ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ .

٢٢ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الثاني ، ص ١٨٠ .

٢٣ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الثالث ، ص ٦ ، عن كتاب
Elzari - Valconi, *The Fellach's Farm*, Tel-Aviv, 1930, p. 18 and 83.
بالرغم من تحدث الجدول عن العمل الفلاحي في احدى قرى مرج بن عامر وفي العقد الثالث من القرن الحالي ، الا انه يصور الزراعة التقليدية .

٢٤ — بينر ، **المصدر السابق** ، ص ٥٦ .

٢٥ — باور ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٦ . وكذلك كتاب
T. Canaan, *Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine*, London, 1927.

٢٦ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الاول ، القسم الثاني ، ص ٣٢٥ .

٢٧ — **نفس المصدر** ، الجزء الثاني ، ص ٢٧٩ .

٢٨ — A. Bonné, ***State and Economics in the Middle East,*** London, 1948.

٢٩ — عارف العارف : **تاريخ غزة** ، القدس ١٩٤٣ ، ص ١٩١ .

٣٠ — رفيق التميمي ومحمد بهجت ، **ولاية بيروت** ، ١ — القسم الجنوبي ، بيروت ١٣٣٥ هـ — ١٩١٤ م ، ص ١٠٥ ، ويؤكد الكاتبان ان جشع وقسوة نفر الجندرمة ازدادا بعد الاصلاح الدستوري .

٣١ — ولسون ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٣ .

٣٢ — اوهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ .

٣٣ — **نفس المصدر** ، ص ٣٤

٣٤ — تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٥ وتعليق غراندي في حاشية الصفحة .

٣٥ — اشكنازي ، **المصدر السابق** ، ص ١٣ .

٣٦ — اوهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ .

٣٧ — A. Ruppin, *Der Aufban des Landes Israel*, Berlin, 1919, p. 117.

٣٨ — A. A. Boddy, *Days in Galilee*, London, 1900, p. 31.

٣٩ — التميمي وبهجت : **المصدر السابق** ، ص ١٠٥ .

٤٠ — ولسون ، **المصدر السابق** ، ص ٥ .

٤١ — غرانت ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢١ ، وولسون ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

٤٢ — L. Oliphant, *The Land of Gilead,* Edingburgh, Blackwood, 1880, p. 270.

٤٣ — باور ، **المصدر السابق** ، ص ٢٩٦ و٣٠٢ .

٤٤ — G. Schumacher, *Population List of the Livâ of 'Akka, in Palesṭine*, Exploration Fund Quarterly (P.E.F.Q), 1887, p. 169.

٤٥ — H. Fischer, *Wirtschaftsgeographie von Syrien,* (ZDPR), 1919, p. 20.

٤٦ — A. Ruppin, *Syrisn als Wirtschaftsgebiet,* Jaffa, Berlin, 1916, p. 186.
وبدران ، **المصدر السابق** ، ص ٤١ .

٤٧ — عارف العارف ، **المصدر السابق** ، ص ٢٨٨ ، وصل التصدير في احدى السنين الى ٦٠ الف طن .

٤٨ — Anderlind: (Z D P V) 1888, p. 88.

٤٩ — تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٥١٧ .

٥٠ — S. Tolkowsky, *The Gateway of Palestine, A History of Jaffa,* London, 1924, p. 184.

٥١ — اوهاغن ، **المصدر السابق** ، ص ٦٨ . ويذكر تومسون ، **المصدر السابق** ، ص ٥١٥ ، إن بعض الملاك العرب أراد منذ الستينات ادخال المضخات الالية ولكن فشلت التجربة لعدم توفر الكفاءة الفنية القادرة على صيانة الالات .

٥٢ — H. P. Simpson, *Report on Immigration, Land Settlement and Development,* London, 1930, p. 66.

٥٣ — دالمان ، **المصدر السابق** ، الجزء الثاني ، ص ١٨٦ .

٥٤ — **المصدر السابق** ، ص ٥٦ . A. Ruppin, *Der Aufbau des Landes Israel,*

٥٥ — K. Navratzki, *Die Judische Kolonisation Palaestinas,* Munchen, 1914, p. 150.

٥٦ — روبين ، **المصدر السابق** ، ص ٢١ .

٥٧ — **نفس المصدر** ، ص ٥١ .

المعلم العربي والتعليم في الارض المحتلة

الدكتور شاكر مصطفى

الذين لا يزالون يذكرون من قصص الطفولة مغامرات روبنسون كروزو يذكرون دون شك المفاجأة التي أصابت الرجل حين فتح عينيه في بعض مغامراته فاذا هو بين شعب من العمالقة يتفحصون هذا المخلوق الصغير الغريب . كل شجاعته وما عرف لنفسه من الطول والعرض انهار فجأة أمام القدم الضخمة التي تزحم قدما اخرى على طول جسده الممدد على الارض . رعب عينيه وهما تصعدان على الارجل القائمة من حوله كالاعمدة المنتصبة في ميدان مكتظ لم يكن يعد له سوى خفقة قلبه من العجز والشلل ... عاد فجأة صغيرا جدا . أصغر بكثير مما كان يخطر بباله ان يكون واضعف بكثير من ان يأتي برد فعل — اي رد فعل ! ان تذكرتم ، اذن فهذا حال الجماعة العربية في فلسطين التي نامت ليل ١٥ مايس ١٩٤٨ اكثرية وفي بلادها ولها المواطنة الكاملة . ثم صحت صباح ذلك الليل على المفاجأة الصاعقة فاذا ارضها التي دفنت فيها عشرين قرنا من الاجداد قد سحبت من تحتها واذا هي اقلية مشلولة مطوقة ثم اذا تسلط اجنبي صهيوني يتعملق حولها في كل الافاق ويتكاثر بسرعة لا تعرفها كل قوانين الديموغرافيا والجغرافية البشرية .

مأساة اللاجئين التي نعرف حول فلسطين ، لها وجهها الاخر ضمن فلسطين نفسها حتى الان . وهذا الوجه كثيرا ما ننساه . المأساة لم تكن على جانب واحد ولكن كانت على الجانبين خارج الحدود وداخل الحدود — ان الرواية لم تتم فصولا ! واذا عاش مليون من اللاجئين العذاب اللاانساني منذ ثلاث وعشرين سنة خارج وطنهم فان ربع مليون اخر منهم (أضحوا الان ٣٦٠ الفا) قد عانوا العذاب اللاانساني نفسه على اشكال اخرى تحت احتلال العدو .

بعض اشكال ذلك العذاب مصادرة الاراضي العربية وغصبها من أصحابها . فمجموع ما اغتصبته اسرائيل من الاراضي حتى نهاية ١٩٦٩ وعيون اهله تنظر : مليون وربع مليون دونم من ارض الزراعة . وبعض أشكال ذلك العذاب الحكم العسكري المباشر الذي طبق منذ سنة ١٩٤٨ في المناطق الثلاث التي يتجمع فيها العرب الجليل والمثلث والنقب وأقل حدود هذا الحكم المنع من مغادرة المنزل من غياب الشمس حتى الشروق ، ومنع مغادرة القرية الا بتصريح ، ومنع التجمع . ومع ان الحكم العسكري الغي قانونا سنة ١٩٦٦ الا أنه لا يزال ساري المفعول ضد كل من تتوجس السلطات من حركته اي خيفة . انه يجمد فورا او ينفى ان لم يرافق ذلك نسف منزله. وبعض اشكال ذلك العذاب ايضا عملية الحريات ومن حقوق الانسان الاولى وتعمد التمييز الطائفي والعنصري والاهمال العمد في توفير الخدمات العامة وتفاوت الاجور والحقوق بين العمال العرب واليهود . هذا والجماعة العربية دون قيادة لان قياداتها هاجرت كلها دون برنامج للغد لانها كانت وما تزال الى الان — دون غد . وبعض اشكال ذلك العذاب ايضا عملية التعليم : معلموها وطلابها والمناهج والتخطيط التهويدي الكامن وراء كل ذلك .

ان البحث في امر المعلم العربي والتعليم في الارض المحتلة لا يمكن في الواقع ان يفهم الا في اطار هذه الخلفية من العذابات المختلفة وعلى ضوئها . ان سياسة اسرائيل الصهيونية مع اولئك العرب الذين تشبثوا بالارض والوطن لا يغادرونهما، هي خطة متكاملة الحلقات وان تكن مئوية الوجوه. ومن اي الدروب أتيتها وجدت أنها تنتهي في نقطتين : تهويد الارض المحتلة بمحو كل ما يشير

الى الوجود العربي فيها ، واحلال الوجود اليهودي بالمقابل محله . وسلب الانسان العربي في فلسطين — وخارج فلسطين ايضا — أي قدرة او تفكير في رفض الامر الواقع ، هو نوع من عملية الشلل المنظم بمختلف الوسائل . واذا كانت اسرائيل عن طريق ثلاث حروب سنة ٤٨ وسنة ٥٦ وسنة ٦٧ وعن طريق تأييد دولي لم يعرف العالم له شبيها من قبل قد استطاعت في الظاهر ، أن تفرض على الانظمة العربية المجاورة لها نوعا من الاعتراف الواقعي بوجودها في فلسطين فانها كانت بالطبع اقدر على فرض نفسها وسياستها على البقية الباقية من عرب فلسطين الذين وقعوا تحت احتلالها .

وقد حققت اسرائيل ذلك في الواقع ، عن طريق تلك الدوائر الخاصة التي انشئت منذ الايام الاولى في معظم وزاراتها واداراتها تحت اسم : « ادارة الشؤون العربية » . « هذه الادارات تطورت بسرعة مذهلة حتى أصبحت مع الزمن جهازا خاصا ذا مصالح سياسية واقتصادية واجتماعية ... واضحى له ممثلون في جميع المؤسسات وخاصة في الصحافة . اما قوائم عملائه فهم عصبة من المحرضين المعروفين بأسم (خبراء الشؤون العربية) يعملون فيه مع بعض العرب مقابل الرفاه المادي والجاه وملء الجيوب . ويأتي في رأس القائمة مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية يمسك بيده معظم المفاتيح . اما المفاتيح الاخرى التي تدير هذا الجهاز المتخصص ، فشبكة من المنظمات المتعاونة يشترك فيها الجيش عن طريق الحكم العسكري وحزب المباي عن طريق اجهزته السياسية المختلفة والنواب العرب التابعين له ، كما تشترك دوائر المخابرات وخاصة منها دائرة « الشين بيت » دائرة الامن الداخلي ومقاومة التجسس ودائرة التحقق . وتشترك الى هذا وذاك الدائرة العربية في اتحاد العمال (الهستدروت) »، ان شئت فانظر تفصيل ذلك لدى الاستاذ صبري جريس في كتابه « العرب في اسرائيل ». (نشر مركز الابحاث في م. ت. ف.).
هذا الجهاز هو الذي يسلب الارضين ويقف وراء الحكم العسكري وينظم لا القوائم الانتخابية للعرب او تصاريح العمل ولكن حتى مباريات كرة القدم عن طريق الهستدروت ونشر شعر الغزل عن طريق صحيفة المرصاد ، وهي تصدر عن المابام .

ويشكل التعليم احد الركائز الاساسية لنشاط هذا الجهاز وتطبيق عمليتي التهويد والشلل على العرب الذين فوجئوا في اللحظات الاولى لانشاء اسرائيل على حالة من الاستسلام المشلول فاستغل الجهاز « اياه » وضعهم هذا أوسع استغلال .
ولعلنا نستطيع ان نعرض الموضوع في اربعة مظاهر على اساس الاقانيم الاربعة التي تتمثل بها العملية التعليمية — التربوية : المعلم والتلميذ والمدرسة ومناهج الدراسة . ثم نحاول في نقطة خامسة اخرى تقصي ملامح السياسة الصهيونية التعليمية من خلال كل اولئك .

ونسجل منذ البدء ملاحظتين اساسيتين : الاولى : ان هذه المحاولة تتناول بالدراسة عرب الارض المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ فقط . الثانية : ان هؤلاء العرب كانوا اول ايام اسرائيل أقل قليلا من ٢٠٠ الف (وان سجلتهم الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية ١٥٨ ألفا). ثم تزايد الرقم الاحصائي الرسمي فبلغ ١٨٨،٨ الفا سنة ١٩٥٤ ثم ٢٠٩ آلاف سنة ١٩٥٧ ثم ٢٣٤ ألفا سنة ١٩٦٠ ثم ٢٦٨،٤ سنة ١٩٦٣ ثم ٢٩٣ الفا سنة ١٩٦٥ ثم ٣٢٩ الفا سنة ١٩٦٧ ثم بلغ في نهاية سنة ١٩٧٠ حسب الارقام الاخيرة : ٣٥٨،٧ الفا .

المعلم

حرب مايس سنة ١٩٤٨ لم تغير المجتمع العربي في فلسطين ديمغرافيا فقط فتمسخه بغتة الى السدس ولكنها غيرته اجتماعيا كذلك، فمعظم الذين هاجروا كانوا من سكان المدن بينما كان معظم الباقين من سكان الريف في الجليل والمثلث ومن البدو في النقب وهذا الوضع لم يحرم هؤلاء فقط من القيادات السياسية والفكرية ولكن حرمهم ايضا من القوى التعليمية التي كانت مراكزها الاساسية في المدن كما حرمهم الاتصال بهذه المدن التي تحولت فجأة الى مدن عدوة مغلقة بالاحتلال المفاجيء لها من قبل القوى والجموع الغريبة . وكانت المشكلة الاساسية التي واجهت هؤلاء العرب في نهاية صيف سنة ١٩٤٨ عند بدء العام الدراسي هو البحث عن معلم لمدرسة القرية . معظم المتعلمين ومنهم المربون كانوا قد هاجروا بينما وجدت القوى الصهيونية في هذه المجموعة الصيد السهل المستسلم .

ونقص القوى التعليمية « المؤهلة » « الاكاديمية »

الذي استهل به التعليم العربي في الارض المحتلة مسيرته سنة ١٩٤٨ ما يزال الى اليوم قائما . المعلم هو النقص الاساسي هناك : عددا من جهة وكفاية من جهة اخرى . وقد باتت هذه المشكلة مفضوحة للدرجة التي لم تجد حتى النشرات الاعلامية الاسرائيلية مناصا من الاعتراف بها(١) كما "ان الباحثين الصهيونيين المتعصبين امثال بنتوتشي لم يستطيعوا بدورهم تجاهلها(٢). ولعل الارقام الواردة في آخر المقال تكشف جانبا منها :

١) ان مجموع المعلمين في التعليم الابتدائي العربي في الارض المحتلة يتوزع كما في الجدول رقم (١). ٢) ويتوزع هؤلاء المعلمون من حيث الجنس كما في الجدول رقم (٢) . ٣) ويتوزع هؤلاء المعلمون من حيث العمر كما يتضح من الجدول رقم (٣) . ٤) ويتوزع هؤلاء المعلمون حسب الطوائف كما في الجدول رقم (٤) . ٥) ويتوزع هؤلاء حسب درجة الكفاية والخبرة في التدريس كما في الجدول رقم (٥) . ٦) والجدول رقم (٦) يكشف بعض الارقام والنسب في عدد المعلمين العرب واليهود .

ونستطيع ان نسجل من خلال هذه الارقام الاحصائية عددا من الملاحظات الهامة :

الاولى : ان عدد المعلمين العرب (وفيهم بعض اليهود المهاجرين من البلاد العربية) يبلغ ١٨٣٠ معلما فقط لـ ٣١٢٤٥٠٠ مواطن سنة ١٩٦٦ — ٦٧ وكان الرقم قبل سنتين فقط ينقص عن ذلك مائتي معلم بينما عدد المعلمين اليهود في الفترة نفسها هو (٣٤٠٢٥) معلما ثم (٣٩١٤٨) معلما لمليوني ساكن . وهذا يعني ان ثمة خمسة معلمين لكل الف من السكان العرب مقابل ٢٠ معلما تقريبا لكل الف مستوطن يهودي . ومع ان العرب يشكلون ١١٫٥٪ من مجموع السكان في الارض المحتلة فان نسبة المعلمين منهم الى مجموع المعلمين قد هبطت الى ٤٫٥ ٪ .

الثانية : ان نسبة غير المؤهلين من معلمي العرب ظل بعد عشرين سنة من قيام اسرائيل يبلغ نصف المعلمين عامة وقد كان الرقم قبل ذلك بسنتين يبلغ ٥٥٫٢ ٪ ذلك ان السلطات الاسرائيلية ما اهتمت منذ الايام الاولى بسد صفوف المدارس العربية بالمؤهلين وتهيئة المزيد منهم ، لم تستخدم من الجامعيين (الذين تحسبهم على الجامعة المؤهلة) سوى عدد محدود جدا ١٥ او ٢٦ من اصل ١٦٢١ و١٨٣٠ معلما على التوالي .

الثالثة : ان المعلمين العرب السابقين لقيام الدولة الاسرائيلية يمكن ان تعرف اعدادهم من خلال الجدولين ٣ و٥ .

وهذا يعني بصورة عامة انه لم يبق من الجهاز التعليمي العربي في فلسطين سنة النكبة سوى حوالي ٢٥٠ — ٢٧٥ معلما فقط ولم يكن هؤلاء بالطبع يكفون حاجة المدارس العربية الموجودة ولا حاجة التوسع الذي توسعته تلك المدارس سنة بعد سنة . وقد عمدت السلطات الاسرائيلية الى سد هذا النقص باعداد من خريجي المدارس الثانوية وطلابها ومن المتعلمين غير المؤهلين الذين لا ينتخبون على اساس الكفاية والتفوق بل على اسس مستنكرة وعجيبة كاقرار الحكم العسكري ووزارة الدفاع تعيينهم او محسوبيتهم على بعض العناصر المتعاونة المعروفة او قرابتهم العائلية . واستمر الوضع على هذا الشكل ثماني سنوات دون اي محاولة جدية لحل المشكلة الى ان فتحت السلطات الاسرائيلية في سنة ١٩٥٦ دار المعلمين العرب في يافا . وهي دار اعدت لتدريب المعلمين والمعلمات ومعلمات رياض الاطفال في المدارس الابتدائية العربية خلال ثلاث سنوات بعد الثانوية لكن هذه الدار ظلت سنوات لا تستوعب اكثر من ٥٠ الى ٦٠ طالبا . والجدول رقم (٨) يعطي فكرة عن اعداد الطلاب في هذه الدار مقارنة بما يقابلها لاعداد المعلمين اليهود .

ونلاحظ في الجدول رقم (٨)(٣): **اولا** : ان رقم الطلاب العرب ارتفع ما بين السنة الدراسية ١٩٦٦ — ١٩٦٧ وبين السنة التالية لها من ٢٠٨ طلاب الى ٣١٦ بزيادة ٥٢٪ وما ذلك الا لان المخطط الصهيوني رأى ان يهيىء سلفا زيادة من المعلمين العرب يستخدمهم في المناطق التي احتلها مجددا سنة ١٩٦٧ . **ثانيا** : ان رقم الطلاب اليهود تراجع ما بين ١٩٦٧ — ٦٨ وسنة ٦٩ والسبب في ذلك توجه الشباب للحرب ضد العرب والسبب نفسه هو الذي جعل رقم الطالبات يبلغ ٥٢٢٨ من اصل ٥٩٩٤ اي ٧٦٫٨٪ . **ثالثا** : ان السلطات الاسرائيلية تهيىء لكل الف من المواطنين العرب في احسن الاحوال وحسب ارقام سنة ٦٧ وسنة ٦٨

معلما واحدا بينما تهيىء للسكان اليهود ٣٢٥،٣ معلمين لكل الف منهم .

وقد يبدو ان فتح دار المعلمين العربية في يافا كان عملا ايجابيا من السلطات الصهيونية ولكن الواقع العملي يكشف ان هذه الخطوة انما كانت في اطار التخطيط الصهيوني العام وهدفها : — ١) انتاج من يخدم الخطط الصهيونيـــة في ميدان التربيـــة والتعليم من العرب انفسهم ليكون تقبلها اسهل واسرع على المجموعة العربية . ٢) قطع الطريق على اي شكوى قد تصدر من العرب بأنهم اهملوا والحيلولة دون اعطاء المبررات لاي تمرد بينهـــم وابقائهم مربوطين بعجلة السلطات الاسرائيليـــة باقامة جسور من المتعلمين العرب بينهم وبين تلك السلطات . ٣ — التحكم في توجيه المجموعة العربية تحسبا من الانفجار الديمغرافي الذي تدل عليـــه مؤشرات الزيادة في السكان والغاء اي دور يمكن ان تلعبه تلك الزيادة في المستقبل لتهديد كيـــان اسرائيل . فمدرسة المعلمين ليست في الواقـــع سوى مدرسة « تانيس » و« تطبيـــع » للشباب العربي تمسح نتوءاته وتخدر مقاومته وعوامـــل « التسطيح » التي تمارسها الصهيونية لسحق الانسان العربي في الارض المحتلة هـــي في دار المعلمين عملية منهجية منظمة غـــرضها الاساسي الوصول الى آلات تعليمية طيعة فان لم تنجح هذه السياسة كمرحلة اولى فان المرحلة الثانية بعد التخرج جاهزة بما فيهـــا مـــن سياســـة الاذلال والتجويع ثم التهجير الاضطراري والدليل الاساسي على ذلك كله تحكيه الارقام نفسها .

ان عدد المتخرجين من هذه الدار قد بلغ في مدى عشر سنوات منذ سنة ٦٠/٥٩ حتى ٦٩/٦٨ قرابة ١١٠٠ معلم مؤهل فاذا اضفنـــا اليهم المعلمين المؤهلين قبل النكبة وهم حوالي ٢٥٠ — ٢٧٥ كان مجموع من يجب توفرهم في التعليم الابتدائي العربي من المؤهلين هو بين ١٣٥٠ — ١٣٧٥ معلما ولكن الاحصاء يعطينا رقما آخر في الجدول رقم (١) هو ٨٨٩ معلما مؤهلا فقط وهذا يعني هنا ان حوالي ٤٦٠ — ٤٨٥ معلما مؤهلا قد ضاعوا بين فترة التخرج والخدمة التعليمية الفعلية بمعدل ٤٦ الى ٤٨ معلما كل سنة . ولا حاجة لان نفتش عن مصير هؤلاء الذين يشكلون ٤٣٪ من متخرجي الدار و٥٢٪ من المؤهلين العاملين . لقد ابعدوا عن التعليم في عملية ما بعد التخرج التي تبدأ بالاذلال وتنتهـــي بالتهجير الاضطراري ، او احيانا بالنفي .

وخريج دار المعلمين عاجز مبدئيا عن العمل خارج نطاق التعليم . فاذا اجتاز المصاعب التي توضع في وجهه للفوز بالتعيين والتي يشترك في تفحصه فيها الحاكم العسكري وعميل المخابرات وأنصار حزب المباي وحصل على اذن الهستدروت ، دخل عند ذلك دوامة الرعب والارهاب التي تمارسها ضده اجهزة وزارة التربية والتعليم وتسهم فيها كذلك الادارة العربيةلنقابة المعلمين اليهود. سيفالحرمان من الرزق والعيش هو اول الاسلحة المسلطة قبل التعيين وبعده ثم يتدرج الضغط الى التحقيق من قبل السلطات عند كل ريبة واثبات الوجود في مخفر الشرطة كل يوم والاقامة والاستغناء عـــن الخدمات تعسفيا والاقامة الجبرية في المنزل منذ مغيب الشمس حتى الشروق . ثـم السجـــن الاحتياطي او النفي الى بلد آخر في فلسطين او خارج فلسطين والشعار الاساسي في كل تلـــك المراحل « لا تفكير في غير خدمتنا » يغتفر للعامل في التعليم كل شيء حتى العجز المسلكي ما دام يرضي السلطات ويخدمها أما التفكر السياسي خـــارج الاطار الصهيوني فهو الجريمة الكبرى .

واذا كان هذا حال المعلمين المختصين الذين تعدهم السلطات في دار المعلمين بعد مراحل من التدقيق فما حال المعلمين غير المختصين ؟ وما حال حملة الشهادة الثانوية او ما دونها ممن يصنفون كغير مؤهلين درجة اا ودرجة ا ودرجة ب ؟

من الصعب الحصول على أرقام الذين سرحوا منهم او استبدل بهم غيرهم ثم استبدل بهؤلاء آخرون . ولكن خضوعهم للشروط نفسهـــا وعدم تمرسهـــم السابق بعملية التطويع القسري في دار المعلمين تجعل اعداد المسرحين منهم على مر السنوات عدة آلاف وتجعل نسبة المغضوب عليهم سنويا كبيرة تصل حتى ٥٥ — ٦٠ ٪ من المجموع ومن يبقى منهم في التعليم رغم ذلك كله يبقى حيث كان دون امل في تغيير وضعه لان مـــن خطوط السياسة الصهيونية عدم تمكين هؤلاء بدورهم من الحصول على شهادات تعليمية اختصاصية او الظفر بأي تحسين في الوضع المعيشـــي . ويمكن ان نلاحظ التخطيط الصهيوني المتعمد لابقاء المدارس العربية في مستوى منخفض دون معلمين مختصين من مراقبة

عدد المتخرجين من دور المعلمين العربية واليهودية.

فقد تخرج من المعلمين اليهود خلال عشر سنوات ١٩٥٩ — ١٩٦٨ ما ينيف على ١٧٣٠٠ منهم ١٦٠٠ (٦٣ — ٦٤) و٢٠٠٠ (٦٤ — ٦٥) و٢٣٠٠ (٦٥ — ٦٦) و٢٠٠٠ (٦٦ — ٦٧) و٢٥٠٠ (٦٧ — ٦٨) و٢٤٠٠ (٦٨ — ١٩٦٩) . أي بمعدل ٨٢٦ معلم لكل الف نسمة بينما تخرج من العرب واستخدم في الفترة نفسها (١١٠٠ متخرج — ٤٦٠ مسرحا) = ٦٤٠ معلما مؤهلا اي بمعدل ٢٦١ معلم لكل الف من السكان في المتوسط .

ويضاف الى هذا الوضع العام أمور اخرى تشكل الاطار الرهيب للوضع المعيشي بالنسبة لاي مثقف عربي .

١) ان شروط العمل التي تحكم العمال العرب تحكم بدورها المعلمين منهم من تسجيل وتصاريح عمل ورضى سلطات ، وفي النهاية اجور متدنية عن أجور اليهود . ان المعلمين هناك معتبرون من العمال . وجوابا على سؤال اثير في الكنيست بتاريخ ١٩٥٢/١/٢٨ اعترف وزير التربية والتعليم بان المعلم اليهودي العازب ، حامل شهادة الدراسة الثانوية وشهادة دار المعلمين يقبض ٦٩ ليرة اسرائيلية في الشهر (كانت الليرة تعادل الجنيه الاسترليني) في حين ان المعلم العربي الذي يحمل الكفايات نفسها مع الخبرة يتقاضى فقط ٤١ ليرة في الشهر اي بنقص يعادل ٤٢،٨٪ عن زميله ويتقاضى المعلم اليهودي العازب حامل شهادة الصف الثامن الثانوي ٥٩ ليرة في الشهر في حين يتقاضى مثيله العربي ٣٦،٥٠ ليرة . وما يزال هذا التمييز العنصري الفاضح قائما بالنسبة نفسها الى اليوم رغم محاولة الهستدروت احتواء العمال العرب واستغلال اصواتهم الانتخابية وكثرتهم العددية. ولنلاحظ ان عدد العمال العرب في الخدمات الصحية والتربوية والاجتماعية والدينية والقضائية لا يشكل الا نسبة ضئيلة جدا من مجموعهم فقد تركت السلطات اليهودية لهم الاعمال الصعبة من قطع حجار وبناء طرق وزراعة وتحريج ويمكن ان ناخذ فكرة عن هذا الوضع في الاحصاء التالي : في سنة ١٩٥٤ كانت نسبة العاملين في التربية والصحة وغيرها من العرب ٤،١ ٪ ثم ارتفعت سنة ١٩٥٨ الى ٥،٩ ٪ ثم عادت فانخفضت سنة ١٩٦٢ الى ٣،٥ ٪ ثم ارتفعت سنة ١٩٦٥ الى ٤،٢ ٪ . بينما نسبة العمال العرب المستخدمين في الزراعة والتحريج وصيد السمك في هذه السنوات نفسها كانت بالترتيب : ٥٩،٩٪ ، ٤١،٩ ٪ ، ٥٣،١ ٪ ، ٥٨،٣ ٪ . ونجد بالمقابل ان نسبة العمال اليهود في الخدمات التربوية والصحية وغيرها تبلغ في الفترات ذاتها ما يلي : — بالترتيب ١٠،٣ ٪ ، ١٤،٥ ٪ ، ١٥ ٪ ، ١٨،٣ ٪ اما نسبتهم في الاعمال الزراعية والتحريج والصيد فهي : ١٤،٧ ٪ ، ١٥،٧ ٪ ، ١٢،٤ ٪، ١١،٢ ٪ .

٢) يتبع هذا ان فرص العمل ، في الوظائف العامة او الخاصة للعربي محدودة جدا وهم عمليا محرومون من دخول القطاع الوظيفي وهو موقف سلبي انما تتعمده السلطات بالطبع ضد المثقفين العرب ، ضمن مخطط الاذلال والتجويع وتوفير اليد العاملة غير الخبيرة للصناعة اليهودية . ولو اخذنا احصاء وسطا لموظفي الدولة فيما بين فترة انشائها سنة ٤٨ وسنة ١٩٧١ لوجدنا ان من بين ٤٨،٧٩٢ موظفا حكوميا في سنة ١٩٦١ كان الموظفون العرب لا يزيدون عن ٥٠٠ فقط ، وفي المناطق العربية بالذات ، اي انهم لا يشكلون سوى ١ ٪ تقريبا من مجموع الموظفين في حين ان السكان العرب يبلغون ١١ ٪ من مجموع سكان الدولة حسب كتاب الاحصاء السنوي لاسرائيل سنة ١٩٦٣(٤) وهكذا فلا سبيل لان يجد المتعلم العربي، في غير مجال التعليم فرصة للعمل .

٣) ويتصل بهذا ايضا سلسلة اخرى من المحرمات والقيود فالمناطق غير العربية مغلقة على المعلمين العرب وعلى تلاميذهم فهم محرومون من رؤية وطنهم او الحركة فيه الا بتصاريح رسمية محرومون من اي نشاط حتى الرياضي منه او الاجتماعي او الفكري الا ان نظمت ملعب الكرة الادارة العربية في الهستدروت او رعت المهرجان الشعري نقابة المعلمين اليهود او نظمت لجان الفاء المهور حلقات حزب المباي ، او نشرت الشكوى صحيفة (المرصاد) او (اليوم) او كتبت نص المحاضرة احيانا دوائر لجنة الدعاية المركزية في الهستدروت. والمعلم العربي الى هذا وذاك معزول عن ثقافة امته العربية عزلة قاسية فهو محروم ان يفهم تاريخه العربي ويدرسه كما شاء كعماد قومي، محروم ان يفهم دينه (الاسلامي او المسيحي)

ويدرس نصوصه كما يجب لها من الدراسة كركن روحي ، محروم من ممارسة ادبه ولغته . حتى اللغة فان التلاميذ العرب يتخرجون الان وهم لا يجيدون اقامة جملة سليمة فيها بينما يعتبرون من العيب ان يسقط احدهم باللغة العبرية . وحتى الشعر المقاوم فان له حدوده التي يجب ان تظل في اطار الرمز واللغة العربية لا يجاوزهما : ذات مرة سنة ١٩٦٠ قام الادباء العرب في الارض المحتلة بمحاولة لها معناها : فقد انتهزوا فرصة وجود الكاتب اليهودي بنيامين تموز معهم في احدى المناسبات الادبية ، وهو الذي يقدم نفسه صديقا للعرب فعقدوا معه حلفا شفويا يجعل من بيته منتدى لالقاء الشعر يدعون اليه من يشاؤون . وكانت التجربة محزنة . فقد ابدى اعجابه بقصيدة القاها معلم عربي شاعر يصف تدمير الصهيونيين لقرية سنة ١٩٤٨ فترجم القصيدة للعبرية ونشرها. وتدم المعلم العربي على الفور للمحاكمة بتهمة العداء للدولة . واقيل طبعا من عمله التعليمي . ولم ينبر اي كاتب يهودي للدفاع عنه حتى ولا « تموز »(٥).

التلاميذ

الارقام البكماء ليس اكثر منها بلاغة وصدق تعبير . ولعله من الضروري ان نتقدم بعض الاحصاءات الاساسية قبل ان نسجل اي ملاحظة حول تربية النشء العربي في الارض المحتلة .

(١) عدد من كانوا في سن ٥ — ١٤ من العرب واليهود في الفترة المتوسطة بين سنتي ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٩ مقارنا بعدد من كانوا فعلا في رياض الاطفال والدراسة الابتدائية(٦).

من خلال الجداول الاحصائية (من رقم ٩ — ١٤)(٨) نستطيع ان نكشف استراتيجية التجهيل « المتعمد » في المخطط الصهيوني ونكتفي في هذا السبيل ببعض الملاحظات :

١) بالرغم من وجود قانون التعليم الالزامي للصغار فان السلطات الاسرائيلية لا تهتم أي اهتمام بتطبيقه في المناطق العربية . وقد نجم عن ذلك ان ما يتراوح بين ربع وثلث الاطفال في سن المدرسة لا يرونها ، وهذه النسبة التي استمرت واضحة بين سنتي ١٩٥٠/١٩٦٠ تقلصت نتيجة الشكوى المتزايدة والضغط السياسي من الكتلة العربية لا سيما في فترات الانتخابات. وتحول الرقم بالتدريج الى ما بين الربع والخمس . والرقم الاخر المسجل لاحصاء ٦٦/٦٧ يسجل مع ذلك بقاء حوالي ١٦٪ من الاطفال دون فرصة التعليم ولعلنا ننبه هنا الى ملاحظتين : — **الاولى** مساهمة المدارس الخاصة غير الحكومية في امتصاص اكثر من ١٥٪ من الاطفال في اعمار المدرسة من الشارع (١٣،٨ الفا من اصل ٨٩ الفا ' . **الثانية** ما قد يكون في الرقم الحكومي (٨٥ ٪) من جانب دعائي يقصد الى قطع دابر الشكوى العربية بعد أن افتضحت خطة الاهمال والتجهيل .

٢) ان الجدول رقم (١٤) الذي يعطي هذه النسب يعطي هو نفسه نسبة اخرى اكثر تعبيرا هي ان من يدخل الدراسة الثانوية من الفتيان العرب لا يجاوز في أعلى الارقام الاخيرة لسنة ١٩٦٧/٦٦ حوالي ٢٢٧،٨ في الالف . اي اكثر قليلا من الخمس اما الاخماس الاربعة الاخرى فتعود عمالا في الحقول والمصانع . وكانت النسبة من قبل (وحسب الجدول نفسه سنة ١٩٦١ — ١٩٦٢) لا تزيد عن ١٧ ٪ ويبقى ٨٣ ٪ من التلاميذ طعاما لحاجات المحراث والالة .

٣) ونجد في الجدول رقم (٩) تعبيرا آخر عن عملية التجهيل مقارنة بما يوفره اليهود لابنائهم من علم فالارقام في ذلك الجدول اخذت في الفترة المتوسطة من حياة اسرائيل بين سنتي ٥٥ — ١٩٥٦ ، ٦٣ — ١٩٦٤ من جهة وفي الفترة المتوسطة من حياة الطلاب بين الدراستين الابتدائية والثانوية ومقارنة النسب في الجدول كافية لتكشف أنه : بينما كان ٦٠ ٪ من فتيان العرب خارج المدرسة في سنة ٥٦/٥٥ لم يكن امثالهم من اليهود في اعمارهم يجاوزون ٨،٦ ٪ وبالرغم من ان النسبة تحسنت بعد سنوات فانا نجد خارج اسوار المدرسة في سنة ٦١/٦٠ ما يعادل ٤٣،٥ ٪ من الشباب العرب يقابلهم ٢،٥ ٪ فقط من اليهود وفي سنة ٦٤/٦٣ يزداد الشباب اليهود قليلا الى ٦،١ ٪ ولكن العرب يظلون ٤٠ ٪ .

٤) ونستطيع من خلال الجدول رقم (١٠) مع بعض الارقام الاضافية ان نتبين عملية « طرد » العربي من المدرسة من خلال مراقبة المسيرة لدفعة واحدة من التلاميذ خلال الدراسة الابتدائية والثانوية خاصة . ففي سنة ١٩٤٩/٤٨ دخل الصف الاول الابتدائي ٢٠١٢ تلميذا وقد وصل هؤلاء الدراسة

الثانوية فلم يدخلها منهم سنة ٥٦ــ٥٧ سوى ٣٠٥ طلاب فقط . وقد نجح من هؤلاء في الشهادة الثانوية ٥٣ طالبا فقط في سنة ١٩٥٩ ــ ٦٠ ثم كان في الجامعة كلها تلك السنة ١١٥ طالبا عربيا وفي دار المعلمين ١١٧ طالبا . وفي سنة ٥١/٥٢ دخل الابتدائي ٥٦٩٢ فلم يدخل منهم سنة ٥٩/٦٠ الى الثانوي سوى ٤٥٧ ونجح منهم في الثانوية ٧٦ فقط سنة ٦٢/٦٣ وكان في الجامعة فقط ١٥٢ طالبا وفي دار المعلمين قريب من ذلك . وفي سنة ٥٦/٥٧ دخل الابتدائي ٣٢٦٤ تلميذا فلم يدخل منهم سنة ٦٤/٦٥ في الصف التاسع الثانوي سوى ٧٣٢ فقط ونجح في الثانوية في سنة ٦٧/٦٨ ما عدده ٨٢ فقط . ومجموع من كانوا في الجامعات حوالي ٢٤٠ طالبا فقط واما من دار المعلمين فكان المجموع ٣١٦ طالبا.

ولعله من الضروري ان نلح على هذه النقطة بعض الالحاح ايضا ونراقب عملية « الطرد » للطالب العربي في شكلها الاحصائي الموضوعي . وانا لنستطيع ذلك من خلال الجداول رقم (١٥ــ١٩) المستخلصة من بحث علمي نشره الاستاذ صالح عبدالله سرية في مجلة الجامعة المستنصرية ١٩٧٠ معتمدا على المجموعات الاحصائية السنوية لاسرائيل ما بين سنتي ١٩٥٨ و١٩٦٨ . فلو راقبنا تحرك الدفعات المتتالية للطلبة العرب دفعة دفعة خلال مرحلة الدراسة الابتدائية يتبين لنا الفرق بين اعدادهم سنة الدخول للمدرسة الابتدائية واعدادهم في السنة الثامنة سنة الدخول للثانوي كما في الجدول رقم (١٥) الذي جرى تنظيمه على اساس النسبة المئوية لعدد كل من الطلبة العرب واليهود سنة دخول المدرسة[٩]. (مع ملاحظة ان الزيادة الموجودة لدى اليهود فوق النسبة المئوية ناجمة عن اولاد المهاجرين الجدد) .

اما في المدارس الثانوية فان عملية « الطرد » تنكشف بشكل اكثر وضوحا وقسوة لا سيما حين نقارن عدد الطلبة العرب واليهود فيها والجدول رقم (١٦) **اولا** يكشف نسبة عدد الطلاب العرب الى اليهود في الدراسة الثانوية خلال عشر سنوات . والجدول رقم (١٧) **ثانيا** يكشف النسبة المقارنة بين عدد الطلاب من العرب واليهود في انتقالهم من مرحلة التعليم الابتدائي الى الثانوي .

فنسبة عدد الطلاب في الصف التاسع (الثانوي) الى عدد الطلاب الموجودين في السنة السابقة في الصف الثامن الابتدائي، هي كما في الجدول رقم(١٧). والجدول رقم (١٨) **ثالثا** يكشف النسبة المئوية بين عدد من دخل الصف التاسع الثانوي وبين من وصل الصف الثاني عشر بعد ثلاث سنوات

وقد تبدو النسبة اليهودية منخفضة في هذا الجدول ولكنا يجب أن نلاحظ مع زيادتها الواضحة والدائمة على النسبة العربية انما تظهر منخفضة بسبب تحول ثلث الطلاب اليهود الى المدارس المهنية المختلفة في هذه المرحلة التعليمية وهي مدارس وانواع من التعليم غير متاحة للطالب العربي . وهذا يعني أن الفرق في النسبة بين الطلاب العرب واليهود الذين يتمون الدراسة الثانوية هي أكبر بكثير مما يكشفه الجدول وتزيد بصورة عامة حوالي ٢٥ ٪ .

ويكفي بعد هذا كله أن تكشف الجداول المتتالية أن ثلثي الطلاب العرب الذين ينهون الدراسة الابتدائية محرومون من الدراسة الثانوية .

٥) فاذا انتقلنا الى التعليم الجامعي كانت الارقام اكثر فضيحة ورهبة : الجامعة الاساسية التي ينتسب اليها الطلبة العرب في اسرائيل هي الجامعة العبرية في القدس ولا يكاد يوجد عربي في غيرها من مثل جامعة تل أبيب أو معهد وايزمن في روحوبوت او التخنيون في حيفا وجامعة بارايلان والمعهد الصحراوي في بئر السبع . وعدد هؤلاء الطلاب العرب في الجامعة العبرية كان كما في الجدول رقم (١٩) .

فاذا غضضنا النظر عن رفض قبول الطلاب العرب في الكليات العلمية واجبارهم على توجيه دراستهم الجامعية الى النواحي النظرية والادبية والدراسات الشرقية فان فضيحة الارقام تكفي : لا يصل التعليم العالي من ٣٥٠ الف انسان سوى ٢٥٠ فردا فقط اي أقل من ثلثي الواحد في المائة . وتتضح معالم الصورة خاصة في الجدول التالي الذي يتصل بالتعليم العالي والتمييز العنصري الفاضح فيه : ففي سنة ٦٦/٦٧ كان طلاب الجامعات اليهود ٢١٧٥٦ طالبا منهم ٣٧٩١ في الهندسة و ٣٦٣٤ في العلوم . وفي سنة ٦٧/٦٨ كان طلاب الجامعات اليهود ٢٥٥٤١ طالبا منهم ٤٢٧٢ في الهندسة و٤٢٠٩ في العلوم والرياضيات . وفي سنة ٦٨/٦٩ كان طلاب الجامعات اليهود ٢٩٢٠٥ طلاب منهم ٤٦٢٦ في الهندسة و٤٦١١ في

العلوم والرياضيات . أما الطلاب الجامعيون العرب في هذه الفترات نفسها فكانوا بالترتيب ٢٥٠، ٢٧١، ٢٨٣ طالبا فقط كثرتهم الكبرى في العلوم الانسانية والادبية والحقوقية مع العلم بأن العرب يشكلون الان ١٢٪ من سكان فلسطين المحتلة . وفي سنة ٧١/٧٠ قبل في الجامعات اليهودية ٢٩٥٠٠ طالب وارتفع رقم الطلاب العرب مقابلهم كثيرا جدا اذ قبل منهم ٤٠٠ .

المدرسة

كما كانت القوى الاكاديمية والمؤهلة تنقص المجموعة العربية في ميدان التعليم يوم النكبةكذلك كانت تنقصها الوسائل المادية : المدارس والتجهيزات اللازمة فيها . ذلك ان الجهاز التعليمي كان قد اصيب بأضرار جسيمة خلال اضطرابات ٤٨/٤٧ ولما كان معظم العرب الباقين في فلسطين قرويين فان مدارسهم ، كانت في الاصل مباني قروية سيئة البناء وقد استمر التعليم فيها بعد ذلك سنوات بعد سنوات . وفي سنة ١٩٦٣ كتب الاستاذ صبري جريس في كتابه (العرب في اسرائيل) يقول « .. وحالة المدرسة العربية محزنة للغاية والقسم الاكبر من مبانيها لا يصلح لرسالة المدرسة فانها ابنية قديمة متصدعة تحوي غرفا ضيقة ومظلمة وتنقصها المنافع الصحية والساحات والملاعب المدرسية. وأثاثها هزيل وضئيل »(١٠). وبناء المدرسة العربية هو مشكلة التعليم العربي ذلك ان القانون يعفي وزارة التربية والتعليم من توفير الابنية والملاعب والاثاث للمدارس فتلك المهمة منوطة في المستعمرات اليهودية كلها بادارة المستعمرة وانما توفرها لهم مع الابنية الاخرى الوكالة اليهودية نفسها ويشرف على تأمين الحاجات التالية بعد ذلك المجلس المحلي مجلس البلدية للمستعمرة او البلدة الذي هو صلة الوصل مع السلطات الحكومية فيما يتعلق بجميع الخدمات التربوية والصحية والاجتماعية .

وقد استغلت الدوائر الصهيونية التعليمية هذه الناحية لابقاء القرى العربية في وضعها البدائي التعليمي دون مدارس او خدمات تعليمية اخرى وبالرغم من أن القانون يفرض على الدولة تقديم المساعدة العضوية لتوفير حاجات التعليم الا ان الادارة العربية في وزارة التربية والتعليم تختبىء وراء نص قانوني اخر لا يسمح بتقديم هذه المساعدة الا للقرى التي تتوفر فيها المجالس المحلية او البلديات ، ولما كان تشكيل هذه المجالس منوطا بدوره بوزارة الداخلية وكانت سياسة هذه الوزارة مرتبطة الارتباط الصميمي بالمخططات الصهيونية فقد كان على القرى العربية اذن أن تنتظر . وهكذا لم يطبق حتى سنة ٦٣ نظام المجالس المحلية والبلديات الا في ٤٣٪ من القرى العربية التي يعيش فيها ٦١٪ من المواطنين العرب . شكلت فقط ١١ سلطة محلية ما بين سنتي ١٩٥٠ ــ ١٩٥٣ ثم تسعة مجالس محلية ما بين سنة ١٩٥٣ ــ ١٩٥٩ ثم عشرة مجالس محلية اخرى ما بين سنة ١٩٥٩ــ١٩٦٢ وظل الحرمان الاضطراري من كافة الخدمات (التربوية والاجتماعية والصحية والعمرانية) نصيب ٥٧٪ من القرى العربية التي ياهلها ٣٨٪ من المجموعة العربية . ويبين مدى الظلم في هذه النقطة اذا عرفنا أن ٢،٥٪ فقط من المستعمرات اليهودية تنقصها المجالس المحلية ولا يسكن هذهالمستعمرات سوى ٤٣٪ من السكان . كما يتبين الظلموالاهمال في ذلك ان عرفنا أن أول قرية عربية وصلها الكهرباء في عهد اسرائيل هي قرية الطيبة وكان ذلك سنة ١٩٥٥ ثم وصل الكهرباء سنة ١٩٦١ الى خمس قرى ثم لم يصل حتى سنة ١٩٦٥ الا الى سبع قرى اخرى . وقد اعترف الكتيب الدعائي الذي نشرته وزارة الخارجية الاسرائيلية عن العرب في اسرائيل بنقص الابنية المدرسية وانه كان من الاسباب المعوقة لتطور التعليم بين العرب(١١).

ويمكن أن نقول الان أن المدارس الابتدائية قد فتحت في جميع القرى العربية حتى البعيد منها بحيث انه في السنة الدراسية ٦٢/٦١ وجدت في ١٣٥ قرية عربية ومختلطة ١٦٧ مدرسة عربية وروضة أطفال وبالرغم من أن هذه المدارس هي في الواقع مراكز للتحرير من الامية بالنسبة للاطفال وليس اكثر فان الفضل في هذا التقدم لا يعود الى سلطات اسرائيل وحدها ولكن يعود ايضا الى شبكة اخرى متشعبة من المؤسسات التبشيرية والطائفية المسيحية خاصة، ومع ان هذه المدارس تتلقى المساعدة المادية القليلة من وزارة التربية والتعليم الا انها تقوم بمهمتها مستندة الى قوى مادية مستقلة ومعظمها خارج اسرائيل. وكثيرا ما كانت المعارك الانتخابية والخلافات

البرلمانية التي تستهدف اجتذاب الاصوات العربية في الانتخابات سببا في اثارة موضوع المدارس وغيرها من نواقص التربية والتعليم عند العرب وكانت السبب في تخصيص بعض المخصصات المالية في ميزانية الوزارة لهذا الغرض . وهكذا خصصت مثلا منذ سنة ١٩٥٩ ولمدة خمس سنوات متوالية ثلاثة ملايين ليرة اسرائيلية تقريبا لتطوير المدارس العربية « ... ولسنا ندري مقدار ما استغل من هذا المبلغ ويجدر بنا أن نذكر ان هذا المبلغ يشكل قسما ضئيلا جدا من ميزانية وزارة التربية والتعليم التي ترقى الى عشرات الملايين من الليرات الاسرائيلية ... » وقد لجأت الحكومة بدل بناء المدارس الى استئجار غرف في أماكن متفرقة متباعدة ومعظمها غير صالح للتدريس وكدست التلاميذ في الكثير منها تكديسا[١٢].

على أن التوسع في المدارس الابتدائية لم يقابله توسع مماثل في المدارس الثانوية . وقد كان في اسرائيل سنة ٦٣/١٩٦٢ عشر مدارس ثانوية عربية يتعلم فيها جميعا ١٤٢٥ طالبا عربيا مقابل ١٣٢ مدرسة يهودية تضم ٤١٤٢٥ طالبا يهوديا . وانظر ان شئت الاحصاء في الجدول رقم (٢٠) .

وانظر كذلك الجدول رقم(٢١)حول عدد المدارس للعرب واليهود في السنوات ذاتها (من ثانوية وابتدائية).

على ان يبقى في البال ان خمس عدد المدارس العربية هو من مدارس التعليم الخاص الاهلي[١٣].

ويتضح مما يلي[١٤] عدد الصفوف الابتدائية والثانوية وكثافتها بالمقارنة ما بين العرب واليهود في سنة ١٩٦٩/٦٨ : عدد صفوف المدارس العربية ٢٠٣٢ منها ١٢٧٨ صفا يتراوح طلابها بين ٣٠-٤٥ طالبا . عدد صفوف المدارس اليهودية ٢١٦١١ منها ٩٧٣٢ صفا يتراوح طلابها بين ٣٠-٤٥ طالبا . عدد الصفوف العربية الابتدائية ١٨٨٨ والثانوية ١٤٤ . عدد الصفوف اليهودية الابتدائية ١٣٥٨٢ والثانوية ٤٤٢٩+ ١٨٨٢ .

اما مجموع المدارس الابتدائية العربية فيبلغ في السنة نفسها ٢٣٦ مدرسة بينما لا تزيد المدارس الثانوية وما بعد الابتدائية عن ٣٦ وهذا يعني أن لكل ١٦٠٠ ساكن عربي مدرسة ابتدائية واحدة . ولكل ١٠ الاف عربي مدرسة واحدة بعد المرحلة الابتدائية بينما لكل ٤٠٠ يهودي مدرسة ولكل ١٢ الف عربي مكان واحد في الجامعة بينما لكل ٨٣ يهوديا فقط مكان .

ولو انتقلنا الى مجالات التعليم الاخرى لوجدنا الصورة نفسها تتكرر « ففي سنة ٦٤/٦٣ كان لدى العرب مدرستان لاولاد العمال يتعلم فيهما ١٠٥ طلاب مقابل ١٤٠ مدرسة كهذه لدى اليهود تعلم فيها ٥١٣٨ طالبا وأربع مدارس مهنية عربية فيها ١٦٦ طالبا مقابل ١٣٨ مدرسة مهنية يهودية فيها ٢١١١١ طالبا يهوديا . ومدرسة زراعية واحدة فيها ٥١ طالبا عربيا مقابل ٤١ مدرسة زراعية يهودية فيها ٧٣٠٩ طلاب يهود » . ودار واحدة للمعلمين فيها ١٠٤ طلاب مقابل ٤٢ دارا لليهود فيها ٧٥٧٥ طالبا[١٥].

ويمكن أن نلحق بمشكلة المدرسة مشاكل الادوات والاثاث ووسائل الايضاح والكتب المدرسية والمختبرات والخرائط . والكتاب الاعلاميون الصهيونيون يعترفون بها اعترافا كاملا . ويقر (بنتويتش) الباحث التربوي الصهيوني ان كثيرا من مدارس القرى العربية لا تحوي سوى بعض المقاعد القديمة دون اي معدات تعليمية[١٦] واليهودي الامريكي راندولف براهام يذكر بدوره أن بعض مدارس العرب لا يزال على اثاثها ومعداتها التي كانت عليها أيام الانتداب البريطاني[١٧]. على اننا يمكن ان نرى صورة حية عن هذا النقص في كلمة مواطن عربي عاش تلك المشكلة في أرضها وكتب عنها بالعبرية أيضا قبل أن يكتب بالعربية . قال في صدد الكتب المدرسية « ... ان المدارس العربية تعاني نقصا ملموسا في كتب التدريس بحيث أن المعلمين والطلبة يضطرون الى استعمال الكتب القديمة أو نسخ مادة التعليم من كتب يصعب الحصول عليها . ورغم أن تحسينا طرأ على هذا الوضع في المدارس الرئيسية الا أن حالة النقص في الكتب في المدارس الثانوية لا تزال قائمة . والمكتبة العربية في الدولة فقيرة جدا ليس في الكتب الدراسية فحسب بل في كتب المطالعة والثقافة العامة . وحتى نيسان سنة ١٩٦٤ ظهر في اسرائيل ٢٧٠ كتابا باللغة العربية منها ٦٤ كتابا الفه كتاب مقيمون في اسرائيل عرب ويهود و٢٠٦ كتب نشرت اولا في الدول العربية واعيد طبعها في اسرائيل . وثمة نقص

اخر ذريع في الخرائط وفي وسائل الايضاح في المختبرات ...»(١٨). ويضيف الكاتب في مكان اخر قوله « ان الحكومة (الاسرائيلية) هي المسؤولة عن النقص الذريع في كتب التدريس في المدارس العربية لاطول فترة مستمرة وليس في اسرائيل نقص في القرى اللازمة لتأليف كتب تدريس باللغة العربية سواء كان المؤلفون من بين العرب المقيمين في اسرائيل ام من بين اليهود الذين هاجروا اليها من البلاد العربية . ولو أن هذه القوة كانت منعدمة لامكن ترجمة بعض الكتب المقررة في المدارس اليهودية أو ترجمة كتب غيرها من اللغات الاجنبية او اعادة طبع كتب تدريس عربية صادرة عن البلاد العربية المجاورة بدون اذن كما فعلت الهستدروت حين طبعت القصص العربية . وقد اشارت لجنة التربية والتعليم والثقافة التابعة للكنيست الى حالة النقص في كتب التدريس في المدارس العربية في تقريرها (المجلد ٣٣ من وقائع الكنيست صفحة ١٠٥٨ بتاريخ ١٩٦٢/١/٢٤) وطالبت وزارة التربية والتعليم ببذل اقصى الجهد للتغلب على هذا النقص . والى حالة النقص في الكتب المدرسية عزت اللجنة تأخر التعليم بين العرب المقيمين في اسرائيل»(١٩). لكن السلطات الصهيونية كانت وما تزال واقعة من هذه المشكلة في حيص بيص فهي ترفض كتب عهد الانتداب كما ترفض بالطبع الكتب المدرسية التي تدرس في البلاد العربية المجاورة ويقول قائلها ، وهو مدير التعليم العربي (اليهودي) « يجب أن ننتج نحن كتبنا »(٢٠) ولكنها حتى الان لم تبذل اي جهد لانتاج الكتب المدرسية العربية التي تلائم الصهيونية!

مناهج الدراسة

ليس من غرضنا ولا في امكاننا هنا دراسة المناهج الدراسية المطبقة على عرب فلسطين ولكنا نورد الملاحظات الاساسية حول هذه المناهج وطرق تطبيقها لكشف الاستراتيجية الصهيونية في التعليم العربي من ورائها . واذا انتخبنا من المناهج مواد اللغة العربية والدين والتاريخ باعتبارها المواد القومية – الروحية فماذا نجد ؟

اللغة العربية : هي في النصوص القانونية لغة رسمية ولكنها في الواقع ليست كذلك الا في بعض الاوراق الرسمية ولا يراها المواطن العربي الا حين يصله انذار الجابي بدفع الضريبة . « واذا كانت نسبة مئوية كبيرة من خريجي المدارس العربية الابتدائية يقرأون ويكتبون العربية بصعوبة رغم انهم رضعوا لبان العروبة » فان معنى ذلك وسببه واضحان في منهج التعليم نفسه الذي يرمي الى تهويد الفكر العربي الناشيء . وتتجلى هذه النية المبيتة في برنامج تعليم اللغتين العربية والعبرية ففي الوقت الذي يتضمن منهاج تعليم اللغة العربية فقرة واحدة فقط بالنسبة لاهداف تعليم اللغة العربية نجد أن منهاج اللغة العبرية يتضمن ثلاث فقرات عن اهدافه ويتضمن في الفقرة الاخيرة (ان اللغة العبرية تدرس وفقا لمنهاج ثابت متصل في المدارس العربية من الفصل الرابع الابتدائي) وتتجه النية الى التوصية بتعليمها ابتداء من الصف الاول الابتدائي واحيانا من رياض الاطفال . وذلك عن طريق الاناشيد والالعاب والاعياد وقد اجاز واضع البرنامج امكانية تعليم العبرية في ظروف معينة بحيث تحل محل اللغة العربية ». وبينما تستوى ساعات اللغتين في المرحلة بعد الابتدائية يجد الطالب العربي نفسه تحت التوجيه المركز وامام ضغط الحاجة العملية او الثقافية مضطرا للعناية بالعبرية بل وبالانكليزية اكثر بكثير من عنايته بالعربية التي لا يبدو انه قد يفيد منها كثيرا في المستقبل وينقطع بهذا الشكل سبب اساسي من اسباب ارتباطه بقوميته واهله. « وقد حذفت من البرامج التعليمية في المدارس العربية مجموعة كبيرة من القصائد العربية الشهيرة والانتاج العربي الذي كان لقاح عقول الشعراء والكتاب العرب المشهورين في التاريخ وحل محلها قطع ادبية مبتذلة ضعيفة لكتاب مغمورين .. » مما يزيد في سعة الهوة بين المثقف الناشيء والتراث الثقافي القومي(٢١).

حتى اللغات الاخرى في المدرسة العربية يتلقى الطالب العربي فيها دروسا دون المستوى المطلوب مما يؤدي بالكثيرين الى السقوط في امتحانات الشهادة الثانوية او الى العجز عن متابعة الدراسة الجامعية .

الدين : ليس من هدف اليهود بالطبع تحويل المسلم أو المسيحي الى يهودي ولو حاولوا ذلك لما استطاعوه لاسباب كثيرة ولكنهم في الوقت الذي يحاولون فيه تثبيت مفاهيم اليهودية في نفوس

العرب يحاولون ايضا الغاء كل ما يمكن ان تحمله الديانتان الاسلامية والمسيحية من ادانة لليهود : وهكذا نجد مثلا أن تعليم التوراة الزامي في المدارس الثانوية العربية . في حين ان الديانتين الاسلامية والمسيحية لا تدرسان مطلقا ولا تدرس كذلك بعض السور من القرآن الكريم في المدارس الابتدائية العربية . وكذلك حرمت وزارة التربية والتعليم تدريس سورة (الممتحنة) من القرآن الكريم في مدارس اليهود لان الآيتين الثامنة والتاسعة منها حوتا الحث على الجهاد ضد الذين قاتلوا المسلمين في دينهم واخرجوهم من ديارهم او ساعدوا على اخراجهم . « ويلاحظ أن الايات القرآنية والاحاديث المختارة للتربية الدينية تتركز في الجانب الاخلاقي والتهذيبي وتتجاوز الايات المتعلقة بنظم الحكم والمجتمع أو تتعلق بالجهاد او بواجب المسلمين ضد الاخطار »(٢٢). والغرض من كل ذلك محو كل مستند روحي قد ترتكز اليه فكرة ثورية بالمقاومة .

التاريخ : وفي هذه المادة ينكشف بوضوح الموقف الصهيوني الذي « يستهدف بلبلة الاجيال العربية الناشئة في اسرائيل عن طريق تزييف تاريخ الشعوب العربية وتمثيله وكانه سلسلة من الانقلابات وعمليات القتل والخصومات والسلب والنهب بشكل رمى الى انقاص المكاسب والانتصارات العربية خلال الاجيال مقابل تعظيم التاريخ اليهودي وتوسيعه وصبغه بالوان كأنها قطع الورد ... » ونظرة عابرة الى برامج التعليم الرسمية التي وضعتها وزارة التربية والتعليم والثقافة ترينا هذه الاهداف، فقد خصصت عشر ساعات لدروس تاريخ العبرانيين في الصف الخامس الابتدائي مقابل خمس ساعات لدراسة شبه الجزيرة العربية وخصص للتاريخ الاسلامي في الصف السادس ٣٦ حصة من بين ٦٤ حصة للتاريخ العربي كله من أوله حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ، مع الاشارة الى الطبيب اليهودي موسى بن ميمون الذي عاش في عصر صلاح الدين وابن جبيروت الشاعر اليهودي الاندلسي . ولا يدرس التاريخ العربي في الصف السابع الابتدائي مطلقا في حين ان سدس السنة الدراسية مكرس للعلاقات القائمة بين الجاليات اليهودية في الخارج وارض اسرائيل . وان عشر حصص قد خصصت للصف الثامن والاخير في المدارس الابتدائية العربية لدراسة التاريخ العربي ابتداء من القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا مقابل ثلاثين حصة لدراسة تاريخ اسرائيل . ويلاحظ اذن ان الطالب العربي لا يعرف شيئا عن تاريخ العروبة من اوائل القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر . ومن برامج التعليم في الصف الثامن تأزم العلاقات الطائفية في سوريا ولبنان والخصومة بين الدروز والموارنة (والمسلمين) في سنة ١٨٦٠ . وليس الوضع بالنسبة لتعليم التاريخ العربي في الصفوف الثانوية العربية بأحسن حالة منه في الصفوف الابتدائية . فخلال السنوات الثانوية الاربع في هذه المدارس خصصت للتاريخ العربي ٣٢ حصة فقط وحذف منه تاريخ الفتح العربي للاندلس والمدنية العربية التي اضاءت تلك البلاد خلال الحكم العربي الذي امتد الى ٨٠٠ سنة فيها ومقابل ذلك شملت دراسة التاريخ اليهودي هنا ٣٨٤ حصة وادهى من ذلك كله الاسئلة المقدمة للتلاميذ في امتحان الدراسة الثانوية العامة . فبينما تبدو الاسئلة المتعلقة باليهود فراضة واسعة، متناهية في الجدية ومن ورائها الخط السياسي الرسمي لحكومة اسرائيل ، تكون الاسئلة المتعلقة بالتاريخ العربي مجرد فوازير تبرز فيها الحركات المبتذلة والخصومات على انواعها في العالم العربي . وتعير اهتماما كبيرا لدور الانحطاط في التاريخ العربي . وتتعامى عن جميع الزعماء الذين ابرزوا شخصية الامة العربية خلال الاجيال ضمن ذلك ان لا يسأل الطالب في هذه الامتحانات عن النبي محمد (ص) ابدا ولا عن الخليفة هارون الرشيد ولا عن الخليفة معاوية ولا عن صلاح الدين وهم من أعظم الرجال في تاريخ الشعوب العربية(٢٣).

ويتركز التزييف التاريخي الجغرافي خاصة في كل ما يتعلق بفلسطين من الارض وما حولها . فكل الخطوط في المناهج والتدريس موضوعة لايهام الطالب العربي ان فلسطين ارض يهودية منذ القدم وذلك باستبدال كافة اسماء الاماكن والانهار واعطائها اسماء عبرية وباظهار العلاقة التاريخية بين الاماكن في فلسطين وبين اليهود والمقابل اظهار العرب في فلسطين وكانهم احدى فصائل الغزاة الكثيرين الذين مروا على فلسطين ابتداء من الرومان ومرورا بالاتراك حتى الانجليز وهم لا

يهيئون بذلك الجو النفسي للطالب العربي كي يقبل الاحتلال ولكنهم يهدفون الى ايهامه — كالطالب اليهودي بأن الاقسام الاخرى من اسرائيل الكبرى لا تزال بيد العرب « المغتصبين الغزاة » وفي معرض الرد على غولدمان قال احد الصهاينة : « ماذا يريد العرب منا بعد ؟ أيريدون اكثر من ان يرقص الشعب اليهودي طربا في الشوارع عندما قسمت الامم المتحدة بلاده عام ١٩٤٧ واعطت قسما منها للفلسطينيين العرب ؟ »(٢٤). ولعل المشكلة الاساسية التي تعاني منها المناهج في المدرسة العربية بالارض المحتلة هي عدم الاستقرار والتغيير المستمر فيها ولعل هذا نتيجة مشتركة لثلاثة عوامل : الاهمال من جهة وتوخي التجريبية فيها ورصد النتائج من جهة اخرى بجانب الرغبة في زرع القلق المستمر وعدم التكامل في شخصية الناشىء العربي والمعلم العربي على السواء .

والواقع انه لم توضع حتى الان ورغم مرور ٢٣ سنة على الاحتلال مناهج مدرسية كاملة للمدرسة العربية ولا مناهج ثابتة ويتكرر التغير بين حين وآخر في برامج التدريس الثانوي خاصة ويظهر زيادة في البلبلة قبيل امتحانات الشهادة الثانوية والتعديلات المتكررة لهذه المناهج تهدف دوما الى زيادة تلاؤمها وخدمتها لاهداف الدولة الصهيونية ومحو ما قد يعارض ذلك .

اسس وأهداف السياسة التعليمية الصهيونية

فاذا وصلنا اخيرا الى هذه الاسس والاهداف فماذا نجد ؟ ان (اوري لوبراني) مستشار رئاسة الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية وهو المفتاح الاول لكل ما يتعلق بالعرب في الارض المحتلة قد كفانا مؤونة البحث عن النوايا الصهيونية والتخمين بشأنها حين قال « ... لو لم يكن ثمة عرب (في الارض المحتلة) لكان الوضع خيرا وأبقى . ولو ان العرب بقوا حمالي حطب (وسقائين) فربما كان أسهل لنا أن نتحكم فيهم . لكن ثمة امورا لا تخضع للرغائب . (ما كل ما يتمنى المرء يدركه) ولا مناص من ذلك وعملنا انما يتطلب منا كتابة نص المشورة واحاطة المسؤولين علما بطريقة معالجة القضايا »(٢٥). والكلمة لا تحتاج الى تعليق و« القضايا » المطلوب « معالجتها » انما تعني كما هو واضح المشاكل الناجمة عن وجود كائنات حية غير يهودية تتنفس على ارض فلسطين ومعالجتها تعني بيان الطرق والوسائل لتسطيح هذه الكائنات وكف ما قد تحمل من خطر على الكيان اليهودي .

وتستند النظرة الصهيونية الى عرب الارض المحتلة الى خلفيتين فكريتين اساسيتين كلاهما سلبي ويضرب جذورا عميقة من الحقد والهجومية : — **اولاهما** : نظرة الاحتقار للعرب وللاسلام من ورائه للمسيحية والسيد المسيح ايضا والافكار السائدة تربط بين الاسلام والقومية العربية في مفهوم واحد . فاذا كان العرب من « الغوييم » « الاميين » المحتقرين (ولعلهم أسوأ الغوييم بسبب رفضهم اليهود) فان الاسلام ، كما قال اسرائيل كارلباخ رئيس التحرير السابق لجريدة معاريف في هذه الجريدة « الاسلام عدو كل تفكير مثمر وكل زمام مبادرة طيب القلب وكل فكرة منتجة . انه ما قدم قط اي صنيع (حسن) في الماضي ولن يقدم اي جميل في المستقبل . انه الظلام . انه الرجعية انه السجن لخمسمائة مليون انسان ... »(٢٦). **ثانيتهما** : نظرة الصهيونية للاقلية العربية لديها على انها تمثل المجموعة الضخمة من العرب في العالم وتحمل اوزارها وعلى أنها الاقلية — الاكثرية بما يشد ازرها من مائة مليون عربي مجاورين مقابل الاكثرية — الاقلية الذين هم اليهود المطوقين بهذه الملايين المائة . ان جانبا كبيرا من تكثيف القوى وحشدها في اسرائيل انما سببه التخوف الدائم من هذه الاكثرية العددية ذات العمق الاستراتيجي البعيد وينعكس هذا التخوف بنتائجه على تلك الاقلية وفي مناقشة في الكنيست للاحكام العسكرية المفروضة على العرب سنة ١٩٦٣ صرح بن غوريون بأن « الكثيرين من افراد الاقلية العربية المقيمة في اسرائيل لا يرون أنفسهم اقلية بل انهم يرون اليهود كأقلية . وافكار هؤلاء العرب ترتكز الى اساس ان الاكثرية اليهودية هي بالفعل اقلية تحيط بها من وراء الحدود عشرات الملايين من ابناء الشعوب التي تنتمي اليها الاقلية العربية في اسرائيل ... » ان هذه المعادلة الحرجية بين الفزع ونزعة التهويد بفلسطين هي التي تحكم العملية الاسرائيلية كلها وتحكم بين ما تحكم عملية التعليم سواء بجانبها السلبي للعرب او بجانبها الايجابي لليهود . ولنلاحظ ان النظرة الرسمية لهذه الاقلية

لا تعتبرها مواطنين ولكن « غرباء » . وحين أجاب مردخاي شابيرا وزير الداخلية عن بعض الاسئلة في مناقشة قانون الجنسية في الكنيست ذكر « الحقوق المهمة التي تكرمت بها على عرب الارض المحتلة حين منحت دولة اسرائيل رعويتها الاسرائيلية التلقائية لـ ٦٣ الفا من الغرباء الذين سجلوا في سجلاتها بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ ... » وما هؤلاء «الغرباء» سوى بقية عرب فلسطين الذين ولدوا وولد آباؤهم والاجداد عشرين قرنا او تزيد في فلسطين قبل قيام اسرائيل وقد سجلوا انفسهم — وأحكام الحرب سنة ١٩٤٨ ما تزال قائمة — فوق أرضهم القومية(٢٧). وعلى ضوء هاتين الخلفيتين فان الاهداف التي تضعها الصهيونية الاسرائيلية لتعليم العرب قد تكون واضحة ويمكن ان نتبين فيها ثلاثة خطوط رئيسية :

١) ابقاء العرب في الارض المحتلة قاصرين اجتماعيا وممزقين سياسيا ودينيا وعاجزين اقتصاديا وجعلهم افرادا او مجموعات سلبية لا كتلة ايجابية واحدة امام المجتمع اليهودي النامي المسيطر وفي خدمة أموره الدنيا . وتكوين خلفية فكرية لديهم من التسليم بالواقع وبحق اليهود وتفوقهم وظفرهم النهائي ان لم يكن الالهي .

٢) السيطرة على القوى النامية في المجموعة العربية وما قد ينشأ فيها من قيادات وقطع العلاقات القومية كلها بالتاريخ العربي واللغة والدين (ان أمكن) والارض والقوم وربط الولاء بالمقابل باسرائيل لتبقى القيادات — ان ظهرت — دون جذور او بيئة فكرية او اجتماعية مواتية .

٣) الاحتياط لمخاطر التفجر السكاني الذي تتميز به هذه المجموعة التي زادت الى الضعف زيادة طبيعية منذ قيام اسرائيل ، وهذا التفجر السكاني قد تكون له مخاطره ان التقى داخليا مع افكار قومية عربية او قوة اقتصادية او التقى خارجيا مع قوى العالم العربي . واذا كانت المجموعة العربية الان غير هامة ديمغرافيا (عشر السكان) فان صلتها القومية قد تجعلها في المستقبل هامة جدا وهنا يكمن الخطر ويجب حفظ التوازن ما بين عوامل التفتح الفكري والقوة المادية والديمغرافية المتزايدة في هذه المجموعة . وما بين أهداف اسرائيل في الاستقرار النهائي في المنطقة واقامة الدولة اليهودية الخالصة وتشييد الحضارة العبرية التي « تعيد الشعب اليهودي من جديد شعبا مختارا منيرا الطريق أمام العالم كله »(٢٨). اما الخطط والطرائق الى تحقيق تلك الاهداف فتقوم على استراتيجية ذات ثلاث شعب متعاونة فيما بينها :

الاولى : عملية التجهيل المنظم للجماعة العربية الواسعة ذات المؤشر الديمغرافي الخطر وذلك بالحفاظ على مستواها الاجتماعي القائم وزيادة التمزق السياسي والضياع القومي وهذه العملية تبدأ بسجن العرب الاضطراري في اطار الريف وجعل المدن — وهي يهودية كلها — محرمة وعدوة وتنتهي بالمقاطعة الثقافية والقسرية لما وراء الحدود . وتستند بين هذا وذاك الى تحييد الكتلة العربية فلا تكون بؤرة للثوريين والى تشجيع الانقطاع المدرسي الواسع واقلال المدارس وتصعيب الدراسة والى الالحاح في طرح القضية الفلسطينية والنزاع مع العرب لا على انها قضية ارض حقوق وانسان ولكن على أنها نزاع ديني وتعصب اسلامي . ولما كان اليهود لا يرغبون في تهويد المسلم والمسيحي فعداء العرب لهم اذن لا مبرر له سوى الحقد الاعمى .

الثانية : عملية الافقار الاقتصادي ومنع العلم من ان يكون وسيلة للتطور في مستوى المعيشة والفكر فاذا تحولت الكتلة العربية عمالا (زراعيين او صناعيين) حلت حاجة المصانع اليهودية للايدي العاملة وتفرغ اليهود للامور العليا وسهل اقتناص ما بقي من الارض الفلسطينية بيد العرب . وسهلت في الوقت نفسه السيطرة على المجموعة العربية . ولعل من الامور ذات المغزى الا يكون في ثلث مليون عربي بعد ربع قرن من الحكم الصهيوني سوى ٣٥ محاميا و٤٠ طبيبا و٢٥ مهندسا .

الثالثة : عملية « الحصار الثقافي » للطلائع العربيه الناشئة فان المتحولتين الخطرتين اللتين تمثلهما عوامل التفتح الاجبارية من جهة والزيادة الديمغرافية من جهة اخرى يجب ان تقابلهما لالغاء دورهما الايجابي الخطر عملية « تعقيم » مزدوجة الخطة فيها القطيعة مع العروبة من جهة ، وفيها وجهها الاخر المتمم وهو الولاء الخالص لاسرائيل . وتلعب المدرسة العربية في هذا النطاق الدور الاول في مرحلة النشأة بينما تحل موارد الرزق محلها في المراحل التالية والانسان العربي في

الحالين تحت رحمة مقص التشذيب والتقليم .

وبالرغم من ان هذه العملية اشبه بتنقية الصبير من الشوك او بقتل الافعوان ذي الرؤوس السبعة فان اسرائيل تتابعها بدأب عجيب منظم ومن حدودها الواضحة فك الشباب العربي عن كل ارتباط قومي، واضعافهم لا في لغتهم الام فقط ولكن في اللغات الاجنبية كلها الا العبرية فلهم ان يغرفوا منها ما شاءوا والتحكم في الاقنية القائمة بينهم وبين وسائل النشر سواء في وصولهم اليها او وصولها اليهم.

ولما كانت هذه الاستراتيجية المتعددة الاسس مشتبكة الحدود ايضا فيما بينها فان الوسائل والمداخل التطبيقية والخطط التكتيكية في اطارها هي كذلك، مشتبكة الحدود متداخلة بقدر ما هي متعاونة وغالبا ما تخدم الوسيلة الواحدة أكثر من خطة ضاربة عدة عصافير لا عصفورين فقط بحجر . وهذه الوسائل والمداخل التطبيقية تكشف الكثير من جوانبها والحدود خلال الصفحات الماضية ولعلنا نستطيع في النقاط التالية أن نحمل بعض ملامحها ومن الممكن دوما ان يضاف الى هذه الملامح الكثير :

١) التحكم في ادارة التعليم العربي ووضعها بيد قوى متعددة مسيطرة . فالحاكم العسكري له فيها بقدر ما للادارة العربية للهستدروت، والمخابرات العسكرية تأمر فيها بقدر ما تأمر الادارة العربية في وزارة التربية ومستشار رئيس الحكومة ينظم بقدر ما تنظم اجهزة الاحزاب وبجانب هذه القوى الست تأتي القوى الصغيرة الاخرى من محلية وعائلية لتدس انفها . وليس من شأن تعدد القوى ان يضع هذا التعليم ضمن اطار كامل من الرقابة الدقيقة فقط ولكن من شأنه ايضا ان يؤدي الى الاضطراب وتعطيل التطور في الجهاز التعليمي وهذا بدوره ايضا هدف مطلوب .

وتلتقي جميع هذه القوى في تأثيراتها حول مركز واحد هو آلة التعليم نفسها : المعلم ، فهي تسيطر عليه السيطرة الكاملة تعليما في دار المعلمين او تعيينا بعد التخرج (او دون تخرج) او توجيها خلال العمل او استمرار رزق على توالي السنين فانجح المعلمين عندئذ هو من وصل نقطة السلبية المطلقة واللامبالاة وانسحاق الشخصية وانجح منه من اثبت بالتعاون مع السلطات انه تجاوز نفسيا وعمليا حاجز الوازع القومي الى الطرف الاخر العدو.

٢) تمزيق الجماعة العربية الى طوائف وخلق الاحقاد والفرق والحساسيات بينها والتمييز بينها في المعاملة التربوية او على الاصح التمييز في معاملتها بما لا يتعارض مع الاهداف الصهيونية العامة . ليس هناك من « عرب » في فلسطين . هناك في عرف اليهود مسلمون (ويقصد بهم السنيون خاصة) ومسيحيون ودروز وآخرون وعلى هذا الاساس يجري التعامل مع الجماعة العربية (انظر مثلا الجدولين رقم ٤ و١٢) وما التمييز التربوي التعليمي سوى جزء من السياسة الاسرائيلية العامة لتفكيك المجموعة العربية .

واذا كان عدد من العوامل قد جعل التدخل الاسرائيلي في شؤون الطائفة المسيحية اقل ما يمكن بسبب المراكز الروحية والسياسية التي تحميها وتغذيها خارج اسرائيل ، فان الطائفة الاسلامية بالعكس هي التي تتوجه اليها أقسى النقمة . ومع انها تشكل الاكثرية في المجموعة العربية الا ان « ... هذه الطائفة تقاسي اكثر من اي طائفة اخرى في اسرائيل »(٢٩) وتنهب أوقافها وتتدخل السلطات اليهودية في تسيير امورها الشرعية وتعيين قضاتها وتحديد مناهج التربية الدينية والتاريخية في مدارسها ... وتنتقم بها من كل العرب الموجودين خارج الحدود .

ويقابل هذا الموقف موقف التمييز الذي تقفه السلطات الاسرائيلية من الطائفة الدرزية(٣٠) ومع ان الدروز عرب خلص ويشكلون احدى الفرق الاسلامية المعروفة فان تلك السلطات تصر على ان تجعل منهم مجموعة قومية مميزة، فالناطقون الرسميون باسم الحكومة والصحافة العبرية والموجهون السياسيون والناس يتحدثون هناك عن « القرى العربية والقرى الدرزية كمجموعتين منفصلتين وتقوم حملة دعاية في اسرائيل وخارجها لتمثل الدروز كشعب غريب منفصل له لغة مشتركة مع اليهود ومصالح مشتركة وتعايش مشترك في منطقتين متجاورتين ووحدة مصير » وقد اعترفت اسرائيل بهم كطائفة دينية مستقلة عن الاديان الاخرى(٣١). وحين سئل وزير الداخلية في الكنيست عن تسجيل القومية الدرزية على بطاقات الهوية الخاصة بأبناء هذه الطائفة أجاب بأنه اقر هذا الامر تجاوبا مع طلب رؤساء الدروز في اسرائيل(٣٢).

على أن هذا النفاق الصهيوني للدروز الذي لم يحم

ارضهم من أن تنهبها السلطات الاسرائيلية كغيرها من الاراضي العربية سواء بسواء لم يعد عليهم ، الا باقل المنافع من الناحية التعليمية والتمييز انما استخدم وعلى نطاق واسع لبلبلة المدرسة العربية وتزييف التعليم العربي كله . حتى لقد ظهرت مثلا كراسة اعدت لتكون « كتاب قراءة خاص بالطلبة الدروز في الصفوف العليا من المدارس الابتدائية». وحين افتتحت في حيفا مدرسة ثانوية مهنية للعرب في سبتمبر سنة ١٩٧٠ قيل أنها للشباب العمالي العربي والدرزي ... ولكنها لا تعلم سوى يوم واحد في الاسبوع(٣٣). وتقدم بعض المنح الدراسية الجامعية ولكن للطلاب الدروز(٣٤) . ويكتب كاتب يهودي. مقالا يفخر فيه بتقدم التعليم بين ابناء الطائفة الدرزية(٣٥) وارتفاع رقم الطلاب ما بين سنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ وسنة ٦٨/٦٧ من ٩٨١ طالبا الى ٨٠١٩ وارتفاع نسبة الفتيات في هذا الرقم من ١٠،٢٪ الى ٤٦٪ وارتفاع عدد المعلمين الدروز من ٦ الى ١٦٠ وعدد المديرين من ٢ الى ١٣ الا ان هذا لم يمنع كاتبا آخر من ان يعترف بالواقع فقانون التعليم الالزامي غير مطبق والمستوى المنخفض في المدارس الابتدائية الدرزية يشكل عقبة خطرة أمام الشباب الدرزي في الدراسة الثانوية ونسبة خريجي. الثانوي من الدروز هي اكثر نسبة منخفضة في الدولة وليس هناك من مراكز كافية للتعليم الثانوي(٣٦)..الخ.

وواضح من هذا انه لا الطائفة المغضوب عليها ولا المرضي عنها قد حظيتا باي عناية تعليمية وان المقصود من التمزيق الطائفي هو زيادة السيطرة الحكومية واضعاف الجماعة العربية امام تلك السيطرة واذا كانت الطائفة المسيحية على المستوى نفسه من الاهمال الحكومي فانها تعنى بشؤونها التعليمية الخاصة عن طريق الارساليات الاجنبية ويكشف الاحصاء (الجدول رقم ١٢) ان ثلاثة ارباع التعليم الخاص غير الرسمي هو في القطاع المسيحي للمسيحيين اما في الحكومي فيمشي بجانب التعليم الدرزي وعلى المستوى نفسه .

٣) عدم توفير الوسيلة التعليمية اللازمة ابتداء من المعلم المؤهل وانتهاء بوسيلة الايضاح مروراً ببناء المدرسة والكتاب المدرسي العربي . ولا يعود الامر الى الاهمال ولكن الى تخطيط مدروس المقدمات والنتائج .

وتستطيع الشكوى في اسرائيل ان تصل مع الامواج الانتخابية وزحام المزايدة في السوق الى الكنيست وقد وصلت الشكاوى العربية بالفعل حتى لجنة التربية والتعليم في الكنيست أكثر من مرة وكتبت هذه اللجنة في تقريرها أكثر من مرة ايضا مثل هذه الجملة « من واجب وزارة التربية والتعليم ان تبذل الجهد الخاص والعميق فتقدم المساعدة لرفع مستوى التعليم العربي والدرزي الى درجة مقبولة »(٣٧) بعد أن شهدت هبوط ذلك المستوى الهبوط الفاضح ولكن التوصية شيء والمسكين بمفاتيح السياسة والتنفيذ شيء آخر والانقطاع المتعمد بين الطرفين لا سبيل لاجتيازه لانه مرتبط بمصالح « الدولة » العليا .

٤) عملية التصفية المنظمة للتلاميذ قبل المدرسة وأثناءها وبعدها في سلسلة متصلة من التطويق والتشذيب: فربع الاطفال الذين يبلغون سن المدرسة محكومون ان يبقوا أميين (كانت النسبة من قبل الثلث) والذين يتاح لهم دخولها تفتح لهم كل سبل الهرب منها . فاذا الخط البياني لتناقصهم هابط بشكل عمودي فلا ينتهي الصف الثامن ابتدائي الا وقد وصله ما بين عشر الى سدس من دخل الصف الاول ثم لا يدخل المرحلة الثانوية الا ثلث المتخرجين من الابتدائي فاذا انهوها لم ينل الشهادة الثانوية منهم الا ١٥ ٪ فقط وقد هبطت النسبة احيانا الى ٦ ٪ فقط وان ارتفعت اخيرا الى حوالي ٢٠ ٪ ثم لا يدخل الجامعة من هؤلاء الا حوالي الربع . عملية تصفية متصلة قوامها عدم تطبيق قانون التعليم الالزامي وتشجيع الهرب المدرسي ، مقابل التشدد القاسي في الامتحانات وفي تضييق أماكن وشروط القبول لحلقات الدراسة بعد الابتدائية .

وقد دلت الاحصاءات على ان معدل الراسبين من الطلبة العرب في امتحان الشهادة الثانوية العامة يبلغ عبر عدد من السنين اكثر من ٨٥ ٪ وقد اعترف وزير التربية والتعليم مرة امام الكنيست بتاريخ ٦٣/٣/٢٧ بالنسبة المئوية التالية لنجاح الطلبة العرب : في سنة ٥٨/٥٧ كانت النسبة المئوية ٨،٦ ٪ . وفي سنة ٥٩/٥٨ كانت النسبة المئوية ٦،٧ ٪ . في سنة ٦٠/٥٩ كانت النسبة المئوية ٩،٥ ٪ . في سنة ٦١/٦٠ كانت النسبة المئوية ١٣،١ ٪ . في سنة ٦٢/٦١ كانت النسبة المئوية ١٠،٣ ٪(٣٨).

وتظهر هذه النتيجة بشكلها الفاجع عند مقارنة النسبة المئوية للخريجين العرب من المدارس الثانوية منسوبة الى مجموع الخريجين . والجدول رقم (٢٢) يبين هذه النسبة خلال عشر سنوات(٣٩). وبدلا من ان تعمد السلطات الى تلافي هذه النسبة جذريا بزيادة العناية بالتعليم العربي عمدت بالعكس الى منع القبول للامتحان الا للمتفوقين من الطلبة العرب(٤٠). ولكي يتكشف اثر هذه الخطط يكفي القاء نظرة على الجدول رقم (٢٣) لحاملي شهادة الدراسة الثانوية من العرب واليهود(٤١). ونجد النتائج نفسها في التعليمين المهني والزراعي فان نسبة الطلاب العرب فيهما الى اليهود اعتبارا من سنة ١٩٦٢ السنة التي وجد فيها هذان النوعان من التعليم بالنسبة للعرب هي كما في الجدول رقم (٢٤) . واما هذه النتائج بالارقام فهي كما في الجدول رقم (٢٥) .

اما النسبة المئوية للطلاب العرب في الجامعات فهي النسبة المخجلة . انهم دوما اقل من ١ ٪ من عدد الطلاب اليهود : في سنة ١٩٦٠ — ٦١ كانوا ٠٧١. بالمائة وفي سنة ٩٦٥ — ٦٦ كانوا ٠٩٦. بالمائة وفي سنة ٩٦٦ — ٦٧ كانوا ٠٩٨. بالمائة .

وليس لمثل هذه النتائج سوى تفسير واحد هو انها سياسة مخططة لتحطيم الطالب العربي وحرمانه بالوسائل المختلفة من الطموح الى تجاوز واقعه عن طريق العلم . وحتى الذين ينجحون اخيرا في سباق قفز الحواجز هذا مضطرون آخر الامر للتسليم بالامر الواقع حين يصطدمون بشروط تحرم عليهم الالتحاق بدراسات معينة علمية او هندسية وتبقيهم في اطار الدراسات الشرقية والنظرية ، تلك خاتمة المطاف الطويل ! فان تخرج الطالب بعد ذلك كله وما يزال به رمق من عنفوان قومي او حاول ان يتمرد على كل تلك القوالب التي صيغ من خلالها يكون الحكم العسكري كفيلا به وبأن يحمله على الجادة بما يملك من وسائل الترغيب والترهيب والا فالطريق السوي ممدود امامه من الاقامة الجبرية الى السجن الى المنفى الداخلي ثم الى النفي خارج البلاد ، ان لم يسبق هو نفسه هذا الطريق الجهنمي الطويل فيتعجل الرحيل عن اسرائيل !

٥) تفتيت المواطن العربي من الداخل وتسطيح كل النتوءات الجارحة التي يحملها من بيئته الخاصة باستخدام المادة العلمية نفسها وسيلة للتشويه الفكري والضياع القومي والاسقاط العملي في الحياة . واكثر ما تستخدم في هذا السبيل المواد القومية ، اسس القومية العربية ذاتها من لغة ودين وتاريخ مشوه هي التي تستخدم كمواد سلبية ضد الشعور القومي العربي وتوضع بالمقابل المواد القومية الصهيونية اقطاب جاذبة ايجابية . وتلعب الهزائم العربية الحالية دورها الكبير بين هاتين المتحولتين لينتهي الشاب العربي الى اليأس ان لم يصل الى العمالة .

وقد استطاعت السلطات الصهيونية ان تسوق هذه السياسة بألف خيط وألف طريق الى نتيجتها الطبيعية : الحفاظ لدى عرب فلسطين على مستوى من التعليم هو اكثر المستويات انخفاضا ليس بالنسبة الى التعليم اليهودي في اسرائيل فحسب ولكن بالنسبة للتعليم في جميع دول الشرق الاوسط الان وبالنسبة للتعليم في فلسطين ابان الانتداب ...(٤٢).

والدعوى الاعلامية التي تسوقها اسرائيل مدللة بأرقام التزايد التربوي لدى العرب في الارض المحتلة على تحسن احوالهم التعليمية تحسنا لم يكونوا ليعرفوه لولا الرعاية الاسرائيلية ، هذه الدعوى يكفي لكشف زيفها مقارنة الاوضاع التعليمية لبقايا النكبة في اسرائيل بأرقام الثورة التعليمية الواضحة في الدول العربية المجاورة في المنطقة كلها وخاصة الارقام في الكويت وسوريا ومصر ثم لبنان والعراق والاردن والسعودية . بعض هذه الارقام كأرقام الناجحين بالشهادة الثانوية في الكويت وسوريا ومصر تزيد مع حفظ جميع النسب ، عشر مرات عن أرقام المنكوبين بالاحتلال الصهيوني ، وعدد طلاب الجامعات في سوريا ومصر ، مع الاحتفاظ دوما بالنسب يبلغ ١٢ ضعفا عن اعداد الجامعيين العرب في اسرائيل . جامعة الكويت ، بنت الامس والتي تستند الى اساس سكاني يقارب العدد السكاني العربي في الارض المحتلة تحوي الان ستة أضعاف الجامعيين في تلك الارض.

ان قوى التغيير والتطور في الارض المحتلة كانت اقل جدا من القوى التي تعمل ضدها ولهذا لا يؤدي التعليم العربي هناك ثماره المرجوة كغذاء للثورة والتمرد والتشبث بالارض .

على ان اجراسنا هناك ليست كلها مختنقة .

الرفض هناك ليست مجرد كلمة ولكنه الخبز اليومي للكثيرين . والكفاح ضد عوامل « التسطح » يطلع بين ما يطلع الازهار الوحشية المتمردة التي اصبحنا نعرفها باسم ادب المقاومة . ان الانتماء هناك ليس وجهة نظر والالتزام بالقضية القومية ليس رايا للمناقشة ولكنه واقع تاريخي معاش ، هو السجن والجوع والقتل واذا كان اطفالنا هناك هم ضحايا العنصرية الشوفينية الصهيونية والعسكرية الحاقدة فالمعلمون هم الاوتاد الغارقة في الارض تمسك الارض ان تزول او تتغير معالمها الى الابد .

هم القابضون على العروبة — أرأيت كيف يكون القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر!

ومصير الطفل العربي هناك هو النموذج المصغر لمصير كل طفل عربي مع هذا الغزو الصهيوني بكل مكان . واذا كان القتال قدرهم المقدور هناك فهو كذلك قدرنا المقدور هنا ايضا ولو كرهنا « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » وفي معركة المصير التي تدور الان لا غالب هناك ومغلوب ولكن هناك فقط موجود وفان.

الجدول رقم (١)

	١٩٦٤—١٩٦٥	١٩٦٦—١٩٦٧
حاملو شهادات جامعية	١٥	٢٦
حاملو أهلية تعليم	٧١١	٨٨٩
غير مؤهلين مرحلة ا ا	٣٠	٦٦
غير مؤهلين مرحلة أ	٤٥١	٤٥٩
غير مؤهلين مرحلة ب	٤١٣	٣٧٦
غير معروف الكفاية	١	١٤
المجموع	١٦٢١	١٨٣٠
نسبة غير المؤهلين الى المجموع	٥٥،٢٪	٤٩،٦٪

الجدول رقم (٢)

	٦٤—١٩٦٥	١٩٦٦—١٩٦٧
المعلمون الرجال	١١٠٦	١٢٧٣
المعلمات	٥١٥	٥٥٧

الجدول رقم (٣)

	٦٤—١٩٦٥	١٩٦٦—١٩٦٧
من عمر ١٨ حتى عمر ٢٩	٩٨٧	١٠٢٢
من عمر ٣٠ حتى ٣٩	٤٠٤	٥٥٠
من عمر ٤٠ حتى ٤٩	١٤٣	١٦٥
من عمر ٥٠ حتى ٥٩	٦٤	٧٠
من ٦٠ فما فوق مع غير المحددي الاعمار	٢٣	٢٣
معدل الاعمار	٢٨،٢	٢٨،٩

الجدول رقم (٤)

مسلمون (يقصد بهم سنيون)	٨١٩	٩٣٢
مسيحيون	٦١٢	٦٨٧
دروز	١٠٦	١٢٨
يهود	٥٦	٥٩
آخرون	٢٨	٢٤

الجدول رقم (٥)

ذوو الخبرة حتى أربع سنوات	٥٥٢	٥٨٤
ذوو الخبرة ما بين ٥ الى ٩ سنوات	٤٣٣	٥٠٥
ذوو الخبرة ما بين ١٠ الى ١٤ سنة	٣٣٩	٣٤٣
ذوو الخبرة ما بين ١٥ الى ١٩ سنة	٢٢٢	٢٨٢
ذوو الخبرة اكثر من ٢٠ سنة	٧٥	١٢٥
غير معروفي الخبرة	—	١١
معدل سنوات التدريس للمعلم	٨،٠	٨،٢

الجدول رقم (٦)

	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
مجموع عدد المعلمين في اسرائيل	٢٢٨٩٢	٢٤٨٢٦	٢٦١٧٢	٢٧٩٧٢	٣٠٢٦٥	٣١٧٤٢	٣٣١٤٦	٣٥٦٥٥	٣٨٣٨١	٤٠٩٧٨
المعلمون العرب منهم	١٢٠١	١٣٨٨	١٤٤٩	١٨٤١	١٦٩٨	١٧٧٦	١٨٤١	١٦٣٠	؟	١٨٣٠
النسبة المئوية	٥،٢٪	٥،٦٪	٥،٥٪	٥،٨٪	٥،٦٪	٥،٦٪	٥،٦٪	٤،٩٪	—	٤،٥٪

الجدول رقم (٧)

	٦٤–١٩٦٥	٦٦–١٩٦٧
مجموع من يتجاوز عمره ٤٠ سنة من المعلمين يبلغ	٢٣٠	٢٥٨
ومجموع من تتراوح خبرته بين ١٥ الى ١٩ سنة يبلغ	٢٢٢	٢٨٢
ومن تزيد خبرته على ٢٠ سنة يبلغ	٧٥	١٢٥

الجدول رقم (٨)

	٥٧/٥٦	٦٢/٦١	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨	بنات
مجموع طلاب دار المعلمين العرب	٤٢	١١٧	٢٠٨	٣١٦	٣٦٨	منهم ١٩٥
مجموع طلاب دار المعلمين اليهودية	٢٦٠٠	٢٨٥٣	٧٤٦٦	٧٥٠٢	٥٩٩٤	منهم ٥٢٢٨

الجدول رقم (٩)

	عدد الفتيان في سن ٥–١٤		عدد الطلبة في المدارس الابتدائية ورياض الاطفال		النسبة المئوية	
السنة المدرسية	يهود	عرب	يهود	عرب	يهود	عرب
١٩٥٥ — ٥٦	٢١٦٠٠٩	٥٣٥٠٤	٢٨٨٨٧٦	٢٣٥٧٥	٩١٫٤	٤٤٫١
١٩٥٦ — ٥٧	٣٥١٥٧٨	٥٥٦٧٠	٣٢٥٩٤١	٢٦٥٣٨	٩٢٫٧	٤٧٫٦
١٩٥٧ — ٥٨	٣٩٠٠٨٤	٥٧٦٠٠	٣٥٩١٤٤	٢٨٢٦٩	٩٢٫١	٤٩٫١
١٩٥٨ — ٥٩	٤١٢٠٩٢	٥٩٠٠٠	٣٩٤٨٣٠	٣٠٣٩٣	٩٠٫٨	٥١٫٥
١٩٥٩ — ٦٠	٤٣٠٣٠٩	٦١٥٨٣	٤١٦١٩١	٣٢٦٦٤	٩٦٫٥	٥٣٫٠
١٩٦٠ — ٦١	٤٤٤٣٨٣	٦٣٢١٦	٤٣٣٣٤٣	٣٥٧٥٥	٩٧٫٥	٥٦٫٥
١٩٦١ — ٦٢	٤٥٥٤٢٠	٦٤٨٧١	٤٣٦٦٠٢	٣٩٢٧٥	٩٥٫٧	٦٠٫٥
١٩٦٢ — ٦٣	٤٧٤٦٣٤	٧٠٦٩٦	٤٤٥٦٩٩	٤٢٤٧٣	٩٣٫٩	٦٠٫١
١٩٦٣ — ٦٤	٤٨٩٢١٨	٧٥٧١٦	٤٥٩٨٠٤	٤٦٠٦٨	٩٣٫٩	٦٠٫٨

الجدول رقم (١٠) : عدد الطلاب العرب في السنوات المختلفة للدراسة وفي عدد من السنوات المختارة التالية :

الصفوف	٤٩/٤٨	٥٢/٥١	٥٧/٥٦	٦١/٦٠	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	١٩٦٩/١٩٦٨
الاول	٢٠١٢	٥٦٩٢	٤٣٢٦	٦٤٩٦	٩٣٣٩	٩٧٩٤	١١٫٠٩٨
الثاني	١٣٤٦	٥٢٥٥	٣١٨١	٦١٤٣	٨٩٠٤	٩٢٦٩	٩٦٨٠
الثالث	١١٧٩	٤٢٣٦	٣٣٩٥	٥٣٤٠	٧٧٩٦	٨٧٥١	٩٠٩٧
الرابع	٩٥٩	٢٣٤٠	٣٧١٥	٤٩٥٧	٧٠٨٢	٧٦٣١	٨٥٠٢
الخامس	٦٠٨	١٨٨٧	٣٤٢٩	٣٦٧٨	٦٣٢٤	٦٨٨١	٧٤٤٥
السادس	٣٧٥	١٤٢٩	٣١٦٧	٢٦٣٦	٥٦١٤	٥٩٧٠	٦٥٣٥
السابع	٢٣١	٩٣٩	٢٠٣٨	٢٤٦٥	٤٤٩١	٥٠٩٧	٥٤١٤
الثامن	٥٦	٦٠٠	١٤٨٨	٢١١٣	٣٤٥٩	٣٨٢٤	٤٣٢٢
التاسع	١٤	٢٥٦	٣٠٥	٥٦٢	٩٧٣	١٢٦٣	١٦٥٥
العاشر	—	١٥٤	٢٢٠	٣٥٢	٦٦٦	٨٠٢	١٠١١
الحادي عشر	—	١٨	١٧٢	١٩٠	٣٩٨	٢٥٩	٦٢٨
الثاني عشر	—	—	١٥٦	١٧٣	٢٤٣	٣١٥	٤٢٩
المجموع :	٦٧٨٠	٢٢٩٠٦	٢٥٦٣٤	٣٥٢٢٢	٥٥٥٨٩	٦٠٤٦٢	٦٦٢٤٢ (٧)

الجدول رقم (١١) : توزيع الطلاب بين التعليم الحكومي والتعليم الخاص غير الرسمي (ومعظمه ديني)

	٤٩/٤٨	٥٢/٥١	٥٧/٥٦	٦١/٦٠	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
في التعليم الخاص	٣٧١٢	٧٢٧٩	٩٤٣٨	١١٠٤٧	١٣٦٥٨	١٢٢٠٤	١٣٨٢٣
في التعليم الحكومي	٧٥٠١	٢٧١٤١	٢٩٢٤٤	٤٠٧٦٨	٦٣٨٦٢	٦٩٧٠٥	٧٥٧٨٠
المجموع	١١٢١٣	٣٤٤٢٠	٣٨٦٨٢	٥١٨١٥	٧٧٥٢٠	٨٢٩٠٩	٨٩٦٠٣

الجدول رقم (١٢) : توزيع التلاميذ العرب حسب الدين والطائفة في التعليمين الحكومي والخاص

	٤٩/٤٨	٥٢/٥١	٥٧/٥٦	٦١/٦٠	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
في التعليم الخاص							
مسلمون	—	٧١٢	١٢٥٨	١٨٩٠	٣٣٧١	٢٢٢١	٣٦٩٤
مسيحيون	—	٥٣٢٦	٦٦٤٢	٧٦٩٥	٩٤٥٢	٩٤٠٧	٩٥٧١
دروز	—	٦٠	١٦٩	٢١٢	١٣٧	١١٢	٨٥
آخرون	—	١١٨١	١٣٦٩	١٢٥٠	٦٩٨	٤٦٤	٤٧٣
في التعليم الحكومي							
مسلمون	٣٧٥٤	٢٠٠٥٨	٢٠٧٥١	٣٠٠٣٠	٤٩٠٢٢	٥٢٨٧٨	٥٨٩٩٥
مسيحيون	٢٧٥٣	٤٣٥٤	٤٩٨٥	٦٠١٤	٧٣٥٥	٧٨٠٧	٨٢١٨
دروز	٩٨١	٢٧٢٢	٣٥٠٦	٣٧١١	٧٤٦٤	٨٠١٩	٨٥٦٥
آخرون	١٣	٧	٢	١٣	٢١	١	٢

الجدول رقم (١٣) : عدد التلاميذ العرب في مراحل التعليم المختلفة سنة ١٩٦٩/٦٨

	في التعليم الخاص	في التعليم الحكومي	المجموع
في رياض الاطفال	٢٦٩٥	٩٥٣٨	١٢٢٣٣
في التعليم الابتدائي	٨٦٦٣	٦٢١٥١	٧٠٨١٤
في التعليم الثانوي	٢٤٦٥	٣٧٢٣	٦١٨٨
في دار المعلمين	—	٣٦٨	٣٦٨

الجدول رقم (١٤) : نسبة التلاميذ العرب الى عدد الاطفال العرب (بالالف) :

اولا : من ٦ الى ١٣ سنة

في ١٩٦٢/١٩٦١	٨٠٤،١	لكل ألف من أولاد السكان غير اليهود
في ١٩٦٤/١٩٦٣	٨٠٣،١	» » » »
في ١٩٦٧/١٩٦٦	٨٤٤،١	» » » »

ثانيا : من ١٤ الى ١٧ سنة

الباقون في المرحلة الابتدائية في ٦٢/٦١	٧١،٦	» » »
٦٤/٦٣	٧٥،٤	» » »
٦٧/٦٦	٧٥،٩	» » »

الذين انتقلوا الى المرحلة الثانوية	في ٦١/٦٢	١٠١،٨	» » »
	في ٦٣/٦٤	١١٣،٦	» » »
	في ٦٦/٦٧	١٥١،٩	لكل ألف من أولاد السكان غير اليهود
	في ٦٧/٦٨	١٦٥،٣	» » »
	في ٦٨/٦٩	١٩٤،٨	» » »
المجموع من هذا العمر	في ٦١/٦٢	١٧٣،٤	لكل الف من الاولاد غير اليهود
	في ٦٣/٦٤	١٨٩،٠	» »
	في ٦٦/٦٧	٢٢٧،٨	» »

الجدول رقم (١٥)

دفعة	٥١—٥٨	٥٢—٥٩	٥٣—٦٠	٥٤—٦١	٥٥—٦٢	٥٦—٦٣	٥٧—٦٤	٥٨—٦٥	٥٩—٦٨
بقي من العرب	٪٣٢،١	٣٩،٦	٤٩،٩	٥٦،٦	٥٩،٥	٥٤،٨	٤٢،٣	٥٦،١	٥٥،٦
بقي من اليهود	٪٧٧،٥	٨٥،٩	٩١،٤	١٠١،٦	١٠٢،٥	٩٧،٩	٩٨،٥	١٠١	١٠٥،٤

الجدول رقم (١٦)

٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	١٩٦٦
٪٥،٣	٪٤،٥	٪٣،٧	٪٣،٥	٪٣،٢	٪٣،٤	٪٣،١	٪٢،٩	٪٣	٪٣،٣

الجدول رقم (١٧)

	٥٦—٥٧	٥٧—٥٨	٥٨—٥٩	٥٩—٦٠	٦٠—٦١	٦١—٦٢	٦٢—٦٣	٦٣—٦٤	٦٤—٦٥	٦٥—٦٦
من العرب	٪٢٨،٩	٢١،٦	٢٧	٢٩،٧	٣١،٧	٤٠،٧	٣٠،٥	٣٠،٩	٢٩،٤	٣٢،٤
من اليهود	٪٧٤،١	٧٠،٢	٧٤،٨	٧٤،٢	٧٤،٩	٧٣،١	٧٤،٨	٧٥،٩	٧٧،٦	٨٢،٢

الجدول رقم (١٨)

	٥٥—٥٨	٥٦—٥٩	٥٧—٦٠	٥٨—٦١	٥٩—٦٢	٦٠—٦٣	٦١—٦٤	٦٢—٦٥	٦٣—١٩٦٦
من العرب	٤٣،٩	٤٠	٤٠،١	٤٠،٥	٤١	٣٩،٥	٣٨،٤	٣٠،٦	٤٢،٢
من اليهود	٥٦،٦	٥٢،٨	٤٨،٩	٥٠،١	٤٥،٨	٤٤،٢	٤٧،٨	٥٠،٤	٥١،٤

الجدول رقم (١٩)

٥١—٥٢	٥٣—٥٤	٥٨—٥٩	٥٩—٦٠	٦٠—٦١	٦٢—٦٣	٦٣—٦٤	٦٤—٦٥	٦٥—٦٦	٦٦—١٩٦٧
١٠	١٧	٢٣	٥٧	٧٥	٧٧	١٣٥	٢١٠	٢٠٨	٢٥٠

الجدول رقم (٢٠)

في المرحلة الثانوية :	٩٥٧	٩٥٨	٩٥٩	٩٦٠	٩٦١	٩٦٢	٩٦٣	٩٦٤	٩٦٥	٩٦٦
عدد الطلاب اليهود	١٦٧٢٨	٢٠٣٥٠	٢٤٥٦٥	٣٠٠١٥	٣٦٥٣٨	٤٠٤٢٥	٤٢٢٩٦	٤٦٦٦١	٤٩٦٢٨	٥٣٥٧٧
عدد الطلاب العرب	٩٤٥	٨٨٤	٩٦٨	١٠٨٦	١٢٤١	١٤٢٥	١٣٤٠	١٤٠٥	١٥٥٨	١٨٤٦

الجدول رقم (٢١)

مدارس اليهود	٣٨٧٢	٣٩٨١	٤١٥٩	٤٢٢٨	٤٣٤٥	٤٤٧٢	٤٦٣٢	٤٧٧٠	٤٩٨٠	٥١٨١
مدارس العرب	٢٣٥	٢٥٤	٢٦٧	٢٩٦	٣١٧	٣٢٧	٣٣٠	٣٣٠	٣٥٣	٣٦٢

الجدول رقم (٢٢)

١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
٪٢،٢	٪١،٢	٪١،٩	٪٢،٦	٪١،٧	٪١،٣	٪١،١	٪١،٣	٪١،٧	٪١،٣	٪١،٢

الجدول رقم (٢٣)

	السكان		الناجحون بالشهادة الثانوية	
السنة الدراسية	عدد اليهود	عدد العرب	من اليهود	من العرب
١٩٥٥/٥٤	١٢٥٢٦٠٩	١٩١٨٠٠	٢٥٢٠	٣٨
١٩٥٦/٥٥	١٥٩٠٥٠٠	١٩٨٥٥٦	٢٧٢٣	٩٦
١٩٥٧/٥٦	١٦٦٧٤٤٥	٢٠٤٩٣٥	٢٩٠٤	٧٧
١٩٥٨/٥٧	١٧٦٢٧٤١	٢١٣٢١٣	٢٦٩٨	٦٠
١٩٥٩/٥٨	١٨١٠١٤٨	٢٢١٥٢٤	٢٢٦٤	٢٨
١٩٦٠/٥٩	١٨٥٨٨٤١	٢٢٩٨٤٤	٢٦٧٥	٥٣
١٩٦١/٦٠	١٩١١١٨٩	٢٣٩١٦٩	٢٤٦٤	٩٤
١٩٦٢/٦١	١٩٣٢٣٥٧	٢٤٧١٣٤	٤٣٥٦	٧٥
١٩٦٣/٦٢	٢٠٦٨٨٨٣	٢٦٢٩١٩	٥٧٠٢	٧٦
١٩٦٤/٦٣	٢١٥٥٦٠٠	٢٧٤٥٠٠	٧١٧٣	٨٢
١٩٦٥/٦٤	٢٢٣٩٢٠٠	٢٨٦٤٠٠	٨٤١٨	١١٧
١٩٦٦/٦٥	٢٢٩٩١٠٠	٢٩٩٣٠٠	٨٠٤٣	١٣٩
١٩٦٧/٦٦	٢٣٤٤٩٠٠	٣١٢٥٠٠	١٠٥٨٨	١٤٤

الجدول رقم (٢٤)

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
٪ ٠،٩	٪ ٠،٧	٪ ٠،٨	٪ ٠،٨	٪ ١	٪ ٠،٩

الجدول رقم (٢٥)

عدد الطلاب العرب	٢٤٠	٢٢٠	٢٨٠	٣١٠	٤٣٤	٤٦٦
عدد الطلاب اليهود	٢٥٦١٥	٢٨١٩٨	٣٢٣٧٠	٣٧٨٠٣	٤٢٢٩٦	٤٧٣٥٢

---

١ — Ministry of Foreign Affairs (Israel), *The Arabs in Israel*, Jerusalem, 1958, p. 74.

٢ — J. S. Bentwich, *Education in Israel*, Routledge and Kegan Paul, London, 1965, p. 174.

٣ — الاحصاءات في هذا القسم من البحث مأخوذة من كتاب الاحصاء الاسرائيلي :
Statistical Abstract of Israel, No. 20, 1969. Central Bureau of Statistics, Jerusalem, 1969, p. 555-557.

ومن بحث للدكتور صالح عبدالله سرية بعنوان « التمييز في مجال التعليم بين العرب واليهود في اسرائيل » ، في مجلة **الجامعة المستنصرية** (بغداد) ١٩٧٠ ، العدد الاول .

٤ — كتاب **الاحصاء الاسرائيلي** للسنة ١٩٦٣ ، ص ٥٤٠ و٦٢٩ .

٥ — غسان كنفاني ، **ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ — ١٩٦٦** (دار الاداب) بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٦ .

٦ — صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** (مركز الابحاث في م. ت. ف.) بيروت ، ١٩٦٧ ، الجزء الثاني ، ص ١١٦ .

٧ — نلفت النظر الى الفارق الكبير بين هذا الرقم وبين الرقم الاخر الموجود في الجدول رقم (١٢)، والرقمان من الاحصاءات الرسمية .

٨ — جميع هذه الاحصاءات من كتاب **الاحصاء الاسرائيلي** ، آنف الذكر ، للسنة ١٩٦٩ ، ص ٥٥٧ — ٥٦٣ .

٩ — ان الجدول رقم(١٥) والجداول الثلاثة التالية له تقدم على اساس حساب النسب المئوية ، وصفيت بالاستناد الى الارقام الاحصائية المنشورة في كتاب **الاحصاء الاسرائيلي** ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٨ .

١٠ — صبري جريس، **المصدر السابق**، ص ١١٨.

١١ — انظر المرجع المذكور في الحاشية رقم ١ .

١٢ — صبري جريس ، **المصدر السابق** ، ص ١١٩ ، وحبيب قهوجي ، **مذكرة مقدمة الى الندوة العالمية الثانية لفلسطين في الكويت** (شباط ١٩٧١) .

١٣ — هذه الاحصاءات مأخوذة من كتاب **الاحصاء الاسرائيلي** للسنة ١٩٦٣ ، ص ٦٢٧ — ٦٣٤ . وللسنوات ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٧ .

١٤ — **المصدر السابق** ، السنة ١٩٦٩ .

١٥ — صبري جريس، **المصدر السابق**، ص ١٢٢.

١٦ — بنتوتش ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٢ — ١٧٧ .

١٧ — Randolf L. Braham, *Israel: A Modern Education System*, Washington, 1966, p. 91.

١٨ — صبري جريس، **المصدر السابق**،ص ١١٨ .

١٩ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢٣ — ١٢٦ .

٢٠ — بنتوتش ، **المصدر السابق** ، ص ١١٧ .

٢١ — صبري جريس ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٥ — ١٢٨ .

٢٢ — حبيب قهوجي ، **المصدر السابق** ، ص ١٢.

٢٣ — صبري جريس ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٥ — ١٢٧ .

٢٤ — حبيب قهوجي ، **المصدر السابق** ، ص ١١.

٢٥ — **هآرتس** ، ١٩٦١/٤/٤ .

٢٦ — **معاريف** ، ١٩٥٥/١٠/٧ .

٢٧ — صبري جريس ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٨ — ١٦٩ .

٢٨ — هذا ما يكرره بن جوريون في مناسبات عديدة وبصيغ متشابهة تقريبا .

٢٩ — صبري جريس، **المصدر السابق**، ص١٠٧ .

٣٠ — كان عدد الدروز في العام ١٩٤٩ : ١٤٥٠٠ وبلغ عددهم في ١٩٦٨ : ٣٣٢٥٠ .

٣١ — **مجموعة قوانين الكنيست** ، مجلد ٩٥ في ١٩٥٧/٩/٢١ ، ص ١٢٨٠ .

٣٢ — **محاضر الكنيست** ، مجلد ٣٥ في ١٩٦٢/١٢/١٩ ، ص ٥٢٧ .

٣٣ — **دافار** ١٩٧٠/٩/٧٠ .

٣٤ — **دافار** ، ١٩٧٠/١/٩ .

٣٥ — **هآرتس** ، ١٩٧٠/٨/١٤ .

٣٦ — **هآرتس** ، ١٩٧٠/٩/٤ .

٣٧ — صبري جريس ، **المصدر السابق**، ص١٢٠.

٣٨ — **محاضر الكنيست** ، مجلد ٢٦ سنة ١٩٦٣ ، ص ١٦٦٨ .

٣٩ — الجدول رقم (٢٢) بالنسب المئوية محسوب من واقع الارقام الاحصائية المنشورة في كتب **الاحصاء الاسرائيلي** ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٨ .

٤٠ — حبيب قهوجي ، **المصدر السابق** ، ص ١٠.

٤١ — كتب **الاحصاء الاسرائيلي** ، ص ١٩٥٦ الى ١٩٦٤ .

٤٢ — **المصدر نفسه** ، ما بين ١٩٦٣ و١٩٦٨ .

٤٣ — صبري جريس، **المصدر السابق**، ص ١١٥.

مراجعات

Khalid Kishtainy, **Palestine in Perspective**
(Beirut: P.L.O., Research Center, 1971).

ان كتاب خالد القشطيني من الكتب التي كان من الضرورة أن تكتب ، ليس الان فقط ، بل ومنذ عشرين سنة ، خاصة وانه مزود بايضاحات عن الخلفية الجغرافية والعمرانية والاجتماعية والاقتصادية لفلسطين التي بدأت تؤول الى الزوال بشكل سريع . وقبل البدء في استعراض الكتاب لا بد من الاشارة الى ان قسما كبيرا من المواد التي جمعها قشطيني في هذا الكتاب متوافرة في كتب اخرى ، ولكن بشكل نتف في تلك الكتب التي هي موضع اهتمام الباحثين والاخصائيين . وكذلك لا بد من الاعتراف ان مجرد جمع هذه المادة ورسم صورة متوازنة منها لتاريخ فلسطين وتطورها عمل يستحق الثناء والتقدير ، علما بأن هناك جهودا ، في المقابل ، تبذل عن سابق تصميم لتشويه ، ان لم يكن محو ، صورة فلسطين الحقيقية . من هنا ارى انه ، رغم البحث والتدقيق والعناء الذي بذله المؤلف في وضع الكتاب ، من المؤسف حقا وجود أخطاء في تقديم المادة يمكن ان تستخدم كحجة يتمسك بها جميع اولئك الذين لا يعجبهم الكتاب . ففي طبع كتاب من هذا النوع ، حيث الدقة هي أهم ما يرمي اليه المؤلف الذي يهدف الى تصحيح أخطاء الاخرين ، من المؤسف وُجود مثل هذا الاهمال في تصحيح الطباعة وفي الهفوات الصغيرة التي تصرف القارىء عن الاهتمام بتتبع تسلسل الاراء المطروحة . ولو ظهر مثل هذا الكتاب ، الذي يعرض مثل هذه الصورة غير المتعارف عليها لتسلسل الاحداث في فلسطين ، قبل سنة او سنتين لكانت مثل هذه الضعفات قاضية . وما اقصد به هو ان هذه الصورة غير مألوفة للقراء العاديين الذين كانوا غارقين تحت وابل من المعلومات الخاطئة ، التي كان بعضها مضللا عن غير قصد في حين كان البعض الاخر يخدم اهدافا دعائية .

ولكن ، ولحسن الحظ ، تغير الوضع الان . فالقارىء الذي يبغي في الحقيقة معرفة صورة فلسطين ما قبل ١٩٤٨ ، وما هو التبرير الذي قدمه الصهيونيون لتعاملهم معها كمنطقة للاستعمار ، وما هي الحيل والذرائع التي استخدمت للتغلب على تردد أولئك (اليهود والاميين) الذين كانوا يعارضون هذه المبادرة ، وما هي العوامل التي مكنت الصهيونيين من مثل هذا النجاح الباهر ، يجد أمامه فيضا من الكتابات الجديدة . ففي كل شهر تظهر كتب جديدة لمؤلفين نجحوا في الحصول على معلومات جديدة — او على معلومات كانت مخفية او متغافل عنها — لها تأثير كبير على موضوعات هامة حديثة . وهنا تجدر الاشارة الى ان بين أولئك الذين يعملون على اعادة التمحيص في خلفية المسألة الفلسطينية عدد من الكتاب الاسرائيليين الذين من المتوقع ان تساعد تحليلاتهم لدوافع واطماع الصهيونيين الاوائل على اضعاف هيمنة اسرائيل على الفكر الغربي. ومن ابرز هؤلاء عاموس الون مؤلف كتاب « الاسرائيليون : مؤسسون وابناء » الذي يعالج بموضوعية نادرة المعضلة التي تواجه اسرائيل التي اقيمت على حساب عرب فلسطين . وهذا الكتاب يكمل في كثير من المواضع كتاب خالد قشطيني ، اذ ان المؤلف، كاسرائيلي ، يشير اعتمادا على بينات من الداخل الى عدد من المغالطات في الفكر الصهيوني يكشفها قشطيني من الخارج .

ان كتاب « عمران فلسطين » الذي نحن بصدد مراجعته هو محاولة لخرق جدار الميثولوجيا التي غلفت القضية الفلسطينية منذ زمن طويل ، وللوصول الى حقيقة شعب فلسطين وتاريخها الذي كان له اعظم الاثر في تطور التاريخ الانساني . ولتحقيق ذلك ، يصف المؤلف الحضارة التي وجدها

العبرانيون الاكثر تخلفا عندما تسللوا الى بلاد كنعان حوالي نهاية الالف الثاني ق. م. وبعد ذلك يتحدث عن قيام الممالك اليهودية وسقوطها وكذلك حكم الاغريق والرومان حتى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي . وهنا يلاحظ المؤلف نقطة هامة وهي انه بعد قيام الحكم العربي « لمدة تقارب الخمسمئة سنة ظلت القدس بعيدة تماما عن اي نوع من الكوارث السياسية او العسكرية ، كما لم تتعرض لاي تدمير او حريق او نهب كالذي تعرضت له في الفترات السابقة خاصة في ظل الحكم اليهودي . » ويضيف بأن فترة الهدوء هذه لم تنته الا في زمن الفتوحات الصليبية في العام ١٠٩٩ عندما احتفل الغزاة الجدد ، لمناسبة استيلائهم على القدس، بذبح قسم كبير من سكانها. وهذه الحقائق التي غالبا ما تكون موضع تحريف على يد المؤرخين اليهود والمسيحيين الغربيين ، تشكل النقطة المركزية لوجهة نظر المؤلف ، وهي انه اذا لم تعد فلسطين في بداية القرن العشرين الارض الاسطورية للبن والعسل ، فان مسؤولية ذلك لا تقع على عرب فلسطين ، بل على الغزاة الاجانب الذين تعاقبوا على حكم البلاد واساءوا استخدام مقدراتها او دمروها . أضف الى ذلك ، يقول المؤلف وبشكل مقنع ، انه في حين كانت معظم ثروات البلاد مشتتة ، فان الاسطورة الصهيونية التي تقول بأن الصهيونيين الاوائل وجدوا فلسطين بلادا قاحلة هي كذلك وجهة نظر خاوية . ومن الطريف ان افضل المراجع التي يستخدمها لتدعيم هذا الراي هو كتاب السير موسس مونتيفيوري الذي قام في العام ١٨٣٩ بجولة في فلسطين بقصد الحصول على اراض للتنمية الزراعية على يد المستوطنين اليهود . ويقول السير موسس عن الجليل الشرقي : « يوجد كروم زيتون يزيد عمرها على خمسة آلاف سنة على ما اعتقد ، وكروم عنب ، ومراع وآبار ومياه وافرة وصحية ، وكذلك شجر التين والجوز واللوز والتوت ، الخ ، وحقول غنية بالقمح والشعير والعدس . » ويضيف السير موسس انه وجماعته « بين صفد وطبريه عبروا في منطقة جميلة يتخللها منحدر طويل يلتوي بين التلال المغطاة بأشجار التين والزيتون والرمان » ، كما انهم رأوا ان المنطقة المحيطة بالجاعونه « رائعة حقا وفي افضل مستوى زراعي . » وقد اثنى على مهارة المزارعين ، ولاحظ كثرة قطعانهم ودواجنهم وخلص الى القول : « انني لم ار اي بلد غنية وجميلة كهذه » . اعتقد ان هذا يكفي بالنسبة لخرافة الصحراء التي جعلها الصهيونيون تزهر .

ومن الجدير بالملاحظة ان نرى عددا من الاسرائيليين في الوقت الحاضر يعبرون بصراحة عن آراء مماثلة تناقض الاسطورة التي نجح الصهيونيون في غرسها في العالم الخارجي . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، هناك عاموس الون الذي يقول في كتابه المشار اليه آنفا : « هناك شعور مزعج بالذنب ، ولو بشكل محدود ، بين بعض الاسرائيليين بأن افضل الاراضي التي يقيمون عليها كانت ملكا للعرب الذين ارغموا بطريقة او بأخرى على النزوح عنها . » وقد حدثت في المجال الثقافي عملية مماثلة لهذه نوعا ما . واعتقد ان كثيرا من الاسرائيليين يشاطرون خالد تشطيني ملاحظته بأن « المهاجرين اقتبسوا كثيرا من الفنون الشعبية العربية ، بما في ذلك الرقص والزخرفة ... لخلق ما يسمونه في هذه الايام الفن الاسرائيلي . » اما في مجال العمران فالامر مختلف، ولسوء الحظ ، اذ ان القدس الجديدة التي باشر الاسرائيليون في بنائها هي ، بكل بشاعتها ، من خلقهم .

وبالنسبة للسؤال الاخير الذي يطرحه الاستاذ التشطيني حول ما اذا كان من الممكن ان تتعرض فلسطين للدمار والخراب كالذي رافق الغزوة الاسرائيلية الاولى ، اعتقد ان الوقت لم يحن بعد للاجابة عليه . ولكن المرء ، في هذا المجال ، سرعان ما يتذكر قول آحاد هاعام ، المفكر اليهودي المشهور بأن « الخطأ الذي ينجح يبقى خطأ . »

مايكل ادامز

A. C. Forrest, **The Unholy Land**
(Toronto: McClelland and Stewart Ltd., 1971)
Frank H. Epp, **Whose Land is Palestine ?**
(Michigan: William B. Eerdmans Publishing Co., 1970)

من المفيد دراسة ومقارنة مثل هذين الكتابين لسببين . فهما يمثلان اولا الاتجاهات الجديدة التي بدأت تظهر في مواقف الكنائس البروتستانتية من قضية فلسطين . ويعبران ثانيا عن بوادر تفسخ جدار الجهل الذي اقامته وسائل الدعاية الصهيونية واحاطت به الرأي العام في المجتمعات الغربية . ولقد ارتأينا اجراء هذه المقارنة للكتابين استنادا الى اربعة مفاهيم تتناول طريقة البحث ، والغرض من الكتابين ، وميزات الكتاب ، واخيرا تعريف الكاتبين لقضية فلسطين والحل الذي يرتئيانه لها.

١) طريقة البحث : يعتمد كل من الكاتبين طريقة مختلفة في تجميع المواد واسلوب التحليل. فالدكتور أب يلجأ الى اسلوب التحليل التاريخي ولهذا فهو يكثر من الاعتماد على المراجع ويحاول جاهدا ان يضفي على كتابته طابع دقة التحليل التاريخي . بينما يعتمد الدكتور فورست المقابلات والتجربة الشخصية اساسا لتجميع مادة الكتاب حتى وانه يغفل في كثير من الاحيان عن ذكر مصادر الجمل التي يستعين بها بين الحين والاخر . ويصح القول ان هذا الاختلاف في طريقة البحث قد جعل كلا من الكتابين يصلح لجمهور مختلف من القراء . فكتاب **الارض غير المقدسة** يستميل القارىء العادي المفتقر الى الكثير من المعلومات عن الوضع في الشرق الاوسط والذي يفضل ان يستخلص له الكاتب بعد سرد لبعض المواقف والحوادث الاتجاهات والنتائج الناجمة عن الوضع القائم . واما كتاب **لمن ارض فلسطين ؟** فيغلب عليه الطابع الاكاديمي الجاف واهتمام الكاتب بسرد الوقائع اكثر من اهتمامه بالتحليل .

٢) الغرض من الكتاب : يعرف أب غرضه من كتابة **لمن ارض فلسطين ؟** بانه محاولة تنوير مسيحيي شمال اميركه الذين يعانون في فهمهم لقضية الشرق الاوسط من خطاين : اولهما عدم وضوح البعد التاريخي للقضية وثانيهما النظرة الدينية الضيقة . ولهذا نرى أب يحاول أن يستعرض تاريخ فلسطين منذ بدء الحضارة فيها ، اي انه يستعرض حقبة الخمسة آلاف سنة الاخيرة من تاريخ فلسطين . وهو يسعى في مجال استعراضه لاحداث هذه الحقبة التاريخية ان يتفهم المكانة التي خصّت بها الديانات الثلاث — اليهودية والمسيحية والاسلام — فلسطين ، ويهدف أب من ذلك الى تحرير قرائه من المفاهيم الخاطئة العالقة باذهانهم بسبب تفسيرهم الحرفي للكتب المقدسة وجهلهم بالحضارات الاخرى التي ازدهرت على ارض فلسطين .

ويوضح فورست في مقدمة **الارض غير المقدسة** هدفه بانه المساهمة في عملية فهم القضايا المعقدة المتعلقة بالنزاع العربي — الاسرائيلي . وذلك من اجل الوصول الى خطوات ايجابية تؤمن اولا عدم وقوع حرب اخرى وتضع ثانيا حدا لمآسي اللاجئين الفلسطينيين وتطمئن ثالثا الشعب اليهودي على مستقبله . ولقد ضمن فورست كتابه خلاصة ما رآه وسمعه خلال زياراته المتعددة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ الى منطقة الشرق الاوسط . واعتبر الكاتب مهمة ايصال وتعريف الرأي العام بالمعلومات التي حصل عليها واجبا يحتمه عليه ضميره الانساني . فوسائل الاعلام الغربية برايه ومن ضمنها الجرائد الدينية قد خانت جمهورها وجعلت منه ضحية لدعاية ماهرة . ويضيف ان رجال الدين خاصة قد شاركوا في لعبة التغطية هذه اما برضوخهم للتهديدات الصهيونية او بسماحهم للصهيونيين بالتلاعب بهم واغرائهم ، كما يحدث حين قبولهم للرحلات المجانية لاسرائيل . وهذا ما يفسر اندفاع البعض منهم ومغالاتهم في تأييد اسرائيل . ويعطي فورست مثالا على ذلك ما قاله الدكتور روي اكهاردت ، استاذ الدين ومن اتباع الكنيسة المثودية ، أن مصانع الاسلحة الاسرائيلية هي اصح مكان اليوم لاعطاء الشهادة المسيحية .

٣) ميزات الكتاب : يتميز كتاب أب بالرغم عن عدم ورود معلومات جديدة او غير معروفة فيه بانه محاولة جدية لاعطاء تفسير ديني لقضية فلسطين وبقالب جديد . فهو باظهاره العامل الديني لا يقتصر في معالجته على مجرد عرض وجهة نظر

ديانة واحدة . بل يتعداه الـى وجهات الاديان الثلاثة التي مرت على أرض فلسطين . وهذا ما افتقرت اليه سابقا الكتب التي عالجت الموضوع من هذه الزاوية . والميزة الثانية للكتاب تظهر في الفصل الاخير حيث ينتقل أب من مرحلة السرد الى مرحلة التحليل ويقدم بعض الاراء الجـديدة والجريئة . فهو يبحث مثلا في امكانية مساهمة مسيحيي الغرب بايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط فيعدد المزايا والعقبات التي تقف اما لتشجيع مثل هذه المساهمة او الحؤول دونها . ويعدد بالاضافة المفاهيم التي يجب علـى مسيحيي الغـرب أن يتخلصوا منها والمفاهيم التي عليهم أن يكتسبوها حتى يمكن لهم القيام بدور الوسيط . ولقد نجح اب عند ابدائه هذه الاراء في التخلص من عقد التكبر والاستعلاء والتهرب التي كثيرا ما كانت تشوب كتابات الغربيين الذين حاولوا معالجـة مواقف مجتمعاتهم من قضية فلسطين .

اما كتاب فورست فيمتاز على كتاب اب باسلوبه المبسط وايلائه الوضع الحالي اهتماما اكبـر . والكاتب جريء في معالجته للمواضيع التي يتناولها ولا يتوانى في اصدار حكم قاطع على اللاانسانية التي تتصف بها سياسة اسرائيل في الاراضي المحتلة وفي معاملتها للاقلية العربية في اسرائيل . ويمكن اعتبار الكتاب سجلا فاضحا لشاهد عيان يفند فيه مزاعم اسرائيل الاعلاميـة ويفضح عدوانيتهـا وعنصريتها .

٤) تعريف القضية الفلسطينية والحل الذي يتبناه كل من المؤلفين : يعرف فورست قضية فلسطين على انها نتاج محاولة حل المشكلة اليهودية من خلال اقامة دولة يهودية واقتراح تقسيم فلسطين . ويضيف فورست ان هذه المحاولة بخلقها عن عمد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين واقامة دولة عنصرية وعدوانية جعلت اية امكانية لحل القضية رهنا ، في الامد القريب ، على تطبيق قرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وفي الامد البعيد ، على تخلي اسرائيل عن صهيونيتها . ويرى فورست ان الطغمة الحاكمة في اسرائيل لن تقدم على هذه الخطوات . كما ويعتقد انه من المحتمـل ان يساهم الشباب الاسرائيلي ، الذي أصبح اكثر اقتناعا بعدالة قضية الفلسطينيين ، مع الشباب العربي في حمل دولة اسرائيل على القبول بحل عادل للقضية .

ويختلف أب في تعريفه لقضية فلسطين عن فورست فيعتبر انها نتاج صراع ما بين شعبين، الفلسطينيون العرب واليهود ، على أرض جغرافية واحدة . وان شعوب الغرب في محاولتها التعويض عـن اضطهادها لهم ، عادت فعبرت عن شعورهـا المعادي للسامية باضطهادها العرب وتسهيل خلق دولة يهودية . ويرى أب أن الحل الوحيد للقضية يكمن في اعطاء الفلسطينيين حق العودة الـى ديارهم وتوفير ضمانات كافية لليهود القاطنين فلسطين حاليا وجعل الدول الكبرى تكف عـن التدخل في شؤون الشرق الاوسط .

ان كتابي **الارض غير المقدسة** و **لمن ارض فلسطين** يمثلان بوادر الرفض التي بدات تظهر بين رجال الدين في امريكة الشمالية لنظرة مجتمعاتهم التقليدية حيال الوضع في الشرق الاوسط . وليس مـن المستغرب أن يثير الكتابان وخاصة كتاب الدكتور فورست ضجة كبيرة حين صدورهما في كندا وذلك للمكانة الخاصة التي ما زال يتمتع بها رجال الدين في المجتمع . ولقد عملت الدوائر الصهيونية على التخفيف من تاثير كتاب فورست بأن وجهت ضغوطا الى اكبر شركة كندية للتوزيع ونجحت فـي سحب الكتاب من الكثير من المكتبات في ارجاء البلاد . بيد ان هذه الحملة باءت بالفشل حين تنبهت لها مجموعة من شباب الجالية العربية في لندن انتاريو وعملت بمساندة الاتحاد الكندي العربي على اثارة الموضوع علانية وتوجيه الاحتجاج الـى الدوائر الرسمية والهيئات الشعبية والتظاهر ضد هذا التحيز السافر . ونجحت هذه المجموعة في كسب الراي العام الكندي الذي سارع بدوره الى المكتبات يطلب منها نسخا من الكتاب . وبقي كتاب **الارض غير المقدسة** ولعدة اشهر علـى قائمة احسـن المبيعات .

هاني احمد فارس

J L. Talmon, **Israel Among the Nations**, (London: Weidenfeld and Nicholson, 1970).

ان الكتاب الذي نستعرضه الان ليس الا عبارة عن مجموعة من ٣ مقالات مطولة ، كان المؤلف — وهو استاذ للتاريخ الحديث في الجامعة العبرية بالقدس — قد كتبها في اوقات متفاوتة ، ثم جمعت ونشرت على شكل كتاب واحد . ولكن على الرغم من ذلك لمجموعة المقالات هذه تعبر عن راي المؤلف ونظرته الاساسية الى ثلاثة من المواضيع الرئيسية الهامة : اليهودية والصهيونية واسرائيل .

وقبل ان نتطرق الى معالجة كل من تلك المقالات على حدة ، لا بد لنا ان نشير الى ان الانطباع الذي يخرج المرء به بعد قراءة هذه المادة هو ان المؤلف لا يختلف كثيرا عن تلك المدرسة من المؤرخين التي خلقتها الجامعة العبرية بالقدس وان نظرة المؤلف الى التاريخ اليهودي خاصة لا تختلف كثيرا عن نظرة المنتمين الى تلك المدرسة . وهي المدرسة التي توجه اللوم الى كل من الاشتراكية والراسمالية واحيانا اليهود انفسهم ، على حد سواء . معتبرة كلا منهم مسؤولا عن المصاعب التي حدثت لليهود خلال القرنين الماضيين . هذا في نفس الوقت الذي تصل به الى نتيجة مفادها ان ظهور الصهيونية كان ضرورة حتمية ، لتعود وتهمس بصوت خافت ان الحركة الصهيونية ارتكبت بعض الاخطاء — وخاصة بحق العرب — اثناء مسيرتها ولتعلن في نفس الوقت عن تشاؤمها وامتعاضها من عدم قدرة العرب على « تفهم » الحركة الصهيونية . بينما كل هذا مرفق بمحاولات لاعادة النظر في تاريخ اليهود ، بصورة تكاد تصل احيانا الى محاولات اعادة كتابته من جديد .

ففي المقالة الاولى التي يحتوي عليها الكتاب ، وتحت عنوان « الثورة والثورة المضادة » يردد المؤلف القول ان العناصر اليمينية كانت تعتبر اليهود من المؤيدين لليسار الاشتراكي مبدية كرهها لهم ، بينما العناصر اليسارية تعتبرهم في صف الطرف المضاد وتبدي هي الاخرى بغضا لهم . ومن هنا ينتقل المؤلف الى القول ان اليهود اشتركوا بأعداد كبيرة نسبيا في ثورات في١٨٤٨ في اوروبا ، وان هذه الواقعة سببت ارتكاب المجازر بحقهم فيما بعد . كذلك يرى المؤلف ان نشاط اللاساميين في اوروبا ، الذين اصبحوا يعتبرون اليهودي رمزا للخبث ، زاد من سوء وضع اليهود في اوروبا يومها (راجع الصفحات ١٣ و ٢١ و ٢٨ و ٤٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٤) .

وبعد تلك المقدمة ينتقل المؤلف ليحدثنا عن الحركة الصهيونية وعرضها على شكل « نماذج من الوعي الذاتي اليهودي » بصورة توحي — كما ذكرنا — ان ظهور تلك الحركة كان حتميا ولكن الغريب في الامر ان المؤلف ، لسبب ما ، وبعد ان يحدثنا قليلا عن هرتسل ، دون ان ياتي بجديد ، يركز اهتمامه كليا على موشي هس وبصورة يشعر بها القارىء ان الرجل هو مثاله الاعلى . والغريب في الامر ان المؤلف يكاد لا يتعرض لاي من آباء الصهيونية ومفكريها عدا الشخصين المذكورين — لا اولائك الذين عاصروهم والذين لا يقلون اهمية عنهم في كثير من الاحوال ولا اولائك الذين ظهروا بعدهم ، رغم اهميتهم .

اما في مقالته الثالثة والاخيرة — وهي زمنيا احدث مقالة في الكتاب — فيعالج المؤلف وضع اسرائيل وموقفها من العرب بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . وفي هذه المقالة بالذات تبرز روح تلك المدرسة من المؤرخين التي تحدثنا عنها ، واذا كان المرء — مثلا — لا يستطيع الا ان يوافق المؤلف عندما يقارن الموقف الصهيوني المرن من تطورات القضية الفلسطينية على اختلاف مراحلها وقدرته ، نسبيا، على التصدي للازمات مقابل الموقف العربي المتزمت ، الذي لم يكن في اغلب الاحوال على مستوى الاحداث ، فانه في نفس الوقت لا يستطيع الا ان يخالف المؤلف في حديثه عن الحركة الصهيونية ، الدمقراطية التحررية ، التي « اضطرت » للتعاون مع الاستعمار في سبيل تحقيق اهدافها (راجع ص ١٣٢ ، ١٤٧) . ومرة اخرى ورغم تحليل واقعي لحالة اليهود في دول شرق اوروبا وفي روسيا القيصرية (ص ١٣٧ ، ١٣٨) وللمراحل والتطورات التي سبقت اقامة اسرائيل (ص ١٥٤) وعلاقة كل ذلك بالمجتمع

الاسرائيلي (ص ١٦١) فيما بعد ، لا يستطيع المرء الا ان يستغرب عرض المؤلف لقضية اللاجئين الفلسطينيين وكانها شر لا بد منه ، وان التاريخ عرف في الماضي حالات اشد قسوة من هذه الحالة (ص ١٥٧) .

وبالاضافة الى ما ذكرناه تبقى هناك ملاحظتان حول بعض اراء المؤلف التي تظهر غريبة عندما تصدر من شخص مثله . واولى هذه الملاحظات هي مقارنة جابوتينسكي بنهرو وتشبيهه له (ص ١٣٣) ، بصورة يحار معها المرء ويكاد يعتقد انه غير قادر على فهم حقيقة ما يريد المؤلف قوله . فالقارىء يكاد لا يجد اي شبه بين نهرو ، كما عرفناه ، وبين الاب الروحي لليمين الصهيوني، الذي وان كان يظهر احيانا انه يتمتع « بنبل » الارستقراطيين « وعطفهم » ، فانه يبقى ذلك الشخص الذي تبنى حركات صهيونية كانت ولا تزال قريبة جدا من الفاشية ، بل انه زودها بكثير من تراثها الفكري . اما الملاحظة الثانية فهي آراء المؤلف حول تلك الطباع التي تكونت على حد تعبيره بين اليهود والاسرائيليين ضد الحرب وحب قتل الغير (ص ١٥٩) ، والمرء لا يستطيع الا ان يستغرب ذلك ، خصوصا وان المؤلف ولا شك مطلع على تلك الروح العسكرية المسيطرة على الكيان الاسرائيلي وعلى وجود فرق خاصة في الجيش الاسرائيلي تحولت، مع مرور الزمن الى جماعة من القتلة مهمتها الفتك بالعرب وعلى الاخص عرب الدول المجاورة . كذلك لا بد ان يكون المؤلف على اطلاع حسن على تلك الروح التي كانت تشن بها العمليات الانتقامية الاسرائيلية ضد الدول العربية ، وعلى اوصاف ونفسيات الجنود والضباط الذين كانوا يشتركون بها .

ان قراء الانكليزية ، من خلال الكتاب المذكور ، يستطيعون الاطلاع على عدة نواح من تفكير تلك المدرسة من المؤرخين التي تحدثنا عنها ، والتي لا يزال معظم انتاجها حتى الان بالعبرية .

صبري جريس

Jon Kimche, **Can Israel Contain the Palestine Revolution ?** Conflict Studies No. 13. (London: The Institute for Conflict Studies, June, 1971)

صدرت مؤخرا دراسة للكاتب الصهيوني جون كمشي ، الذي يحاول الظهور بمظهر المستقل عن الحركة الصهيونية منذ اقالته من رئاسة تحرير مجلة « الجويش اوبزرفر » واصداره مجلة « ذي نيو ميدل ايست » بعنوان « هل تستطيع اسرائيل احتواء الثورة الفلسطينية ؟ » وهذه الدراسة هي واحدة من سلسلة من الدراسات التي تصدر عن معهد انشىء حديثا في لندن بادارة بريان كروزييه باسم « معهد دراسات الصراع » . وتأتي اهمية هذه الدراسة في هذا الوقت بالذات لانها تتفق مع الخط العام الذي بدأ الاعلام المعادي للثورة الفلسطينية انتهاجه منذ احداث ايلول ١٩٧٠ في الاردن والذييحاول ان يبين للرأي العام بأن الثورة الفلسطينية قد انتهت . تأتي هذه الدراسة لتضيف على هذه الحملات المضادة للثورة القول بأن الثورة فشلت في عملها العسكري ضد اسرائيل ايضا . من هنا تنبع اهمية التصدي للحجج الواردة في هذه الدراسة .

تستند دراسة كمشي على فرضيتين اساسيتين ، الاولى ان الثورة الفلسطينية قد اثبتت فشلها في نشاطها العسكري ضد اسرائيل حتى الان وانها « لن تمثل في المستقبل تهديدا حاسما ضد أمن اسرائيل رغم انها ستستطيع في كل الاوقات ان تحدث قدرا معينا من الاذى والتخريب » . اما الفرضية الثانية فتكمل الاولى وتقول ان الثورة الفلسطينية قد فشلت سياسيا لان نظرتها الى مستقبل الدولة الفلسطينية تقترب من وجهة النظر الاسرائيلية اكثر مما تقترب من وجهة نظر اغلبية السكان العرب في الضفة الغربية لان « الفدائيين واسرائيل معا يصرون على ان لا مكان « لدولة ثالثة » بين المتوسط والحدود العراقية » .

بعد وضع القارىء أمام هذا الطريق المسدود الذي رسمه لواقع الثورة الفلسطينية ومستقبلها ، يصل كمشي الى المرحلة الاخرى من مراحل الاعلام المضاد فيقول ان المخرج الوحيد هو حين «يقرر الفلسطينيون سياسة اخرى واقعية لا تقوم على ضرورة التدمير المسبق للدولة الاسرائيلية وحين يقرر الاسرائيليون ما اذا كانوا يحبذون قيام دولة او « وجود » فلسطيني في جزء من فلسطين » . هذا ما يريد ان يقوله كمشي ومن ينطق باسمهم ويدعو الى مخططاتهم : ان الثورة الفلسطينية قد فشلت عسكريا وسياسيا وان الحل يكمن في وجود دولة عميلة على جزء من فلسطين او بالواقع في اعتراف اسرائيل « بوجود » فلسطيني فقط هو بالطبع ، حسب التسلسل المنطقي للبدائل التي وضعها كمشي امام الاسرائيليين ، اقل حتى من دولة عميلة في جزء من فلسطين .

لنناقش الان الشواهد والحجج التي جعلت كمشي يصل الى هذه الفرضيات وجعلته يقول « ان كل الشواهد هي ضد قدرة الفدائيين على احراز نصر عسكري او على التأثير في الوصول الى تسوية سلمية انطلاقا من وضعهم العسكري » .

يتحدث كمشي اولا عن عدد الخسائر التي اوقعها الفدائيون بالاسرائيليين من ١٢ حزيران ١٩٦٧ حتى ١ آذار ١٩٧١ فيقول انها بلغت ٣٠٣ قتلى (١٨٣ عسكريا و١٢٠ مدنيا) و١٥٧٤ جرحى (٨٥٨ عسكريا و٧١٦ مدنيا) وقال انه استقصى هذه المعلومات من ملف اسرائيلي رسمي خاص اعدته سلطات الجيش والاحتلال لوزير الدفاع . ويحاول كمشي ان يخرج من هذه الارقام بنتيجة تثبت عدم فعالية العمل الفدائي عسكريا . لكن تقريرا آخر نشرته مجلة **معراخوت** في عددها رقم ٢٠٤ الصادر بتاريخ كانون الثاني ١٩٧٠ من اعداد الجنرال رافيف السكرتير العسكري لوزير الدفاع الاسرائيلي، يقول ان الخسائر الاسرائيلية نتيجة العمل الفدائي حتى اوائل عام ١٩٧٠ (اي اقل بخمسة عشر شهرا من الفترة التي اشار اليها كمشي) فقط بلغت ٣٠٢ قتلى (٢٨٨ عسكريا و١٤ مدنيا) و٨٦١ جرحى (٨٣٣ عسكريا و٢٨ مدنيا) . اذا كان كلام جون كمشي صحيحا فهذا يعني ان الاسرائيليين خسروا قتيلا واحدا فقط طيلة خمسة عشر شهرا (من اوائل عام ١٩٧٠ وحتى آذار ١٩٧١ .) ساكتفي بهذا القدر لاثبات سخف الارقام التي اعتمدها كمشي مع التأكيد على ان ارقام رافيف بدورها غير صحيحة ولا تقارب الحقيقة ابدا . لكن ما قصدت اليه هو اظهار التناقض بين مرجعين يقولان انهما استقيا معلوماتهما من المصدر ذاته اي مكتب وزير الدفاع الاسرائيلي . هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فان ارقام الخسائر ، على اهميتها ، ليست كل شيء وليست المقياس الوحيد للفعالية القتالية للثورة الفلسطينية فهناك الاثر المعنوي والاثر الاقتصادي والاثر السياسي للعمل المسلح . بالاضافة الى ذلك ، فان الثورة الفلسطينية لم تضع في تصورها انها ستقضي على الجيش الاسرائيلي خلال فترة قصيرة من الزمن لانها تؤمن بأن هدفها هو تحطيم قوة هذا الجيش وتقويض المؤسسات السياسية والاقتصادية التي تسنده وتدعمه عبر كفاح شعبي مسلح طويل الامد .

اما الدليل الثاني الذي يطرحه كمشي لاثبات فشل الثورة الفلسطينية ، فهو ان الثورة فشلت في جعل السكان العرب في المناطق المحتلة يؤيدونها ويعملون معها وان هناك « عدم رغبة متزايدة بين الفلسطينيين لمساعدة الفدائيين بملء ارادتهم » بل واكثر من ذلك « ان هناك نقمة عميقة في اوساط المثقفين الشباب بسبب رفض قيادة حركة المقاومة اقامة دولة فلسطينية عربية في الضفة » وان هناك بالتالي « شعورا عاما بفقدان الامل يعبر عن نفسه بصراحة بأن سياسة الفدائيين لن تؤدي ابدا الى هزيمة اسرائيل . » افضل رد على المغالطة الاولى المتعلقة بموقف السكان العرب من المقاومة هو موقف جماهير غزة من الثورة ومن

الاحتلال الاسرائيلي . لقد كانت اجراءات اسرائيل الارهابية في القطاع والتي توجت بعمليات التفريغ افضل دليل على التفاف الجماهير العربية الفلسطينية من حول الثورة ودليل على جماهيرية الثورة واصالتها . فقد فشلت كل الاجراءات الاسرائيلية القمعية وكذلك كل محاولات الترغيب في عزل المقاومة عن الجماهير فلم تجد سلطات الاحتلال من سبيل غير تشتيت الجماهير نفسها علها بذلك تستطيع فك اللحمة الثورية فيما بينها واضعاف مقاومتها وتجريدها من سلاحها . ان هذا الوضع وفي قطاع غزة بالذات ، والذي قال عنه بعض العرب ممن اعتبروا انفسهم مفكرين استراتيجيين انه ساقط استراتيجيا ، ان هذا الوضع الثوري في قطاع محاط بالصحراء والبحر والمستعمرات الاسرائيلية ومحصور في شريط ساحلي ضيق ، ان استمرار هذا الوضع رغم النكسات التي اصابت الثورة في الاردن في ايلول وما بعد ايلول ، لاكبر دليل على ان الثورة لم تنهزم وان جذوتها لم تنطفىء ، وان قدرتها على الحاق الاذى وانهاك العدو الاسرائيلي لم تضعف بل انها تزداد . ومن ناحية ثانية ، فان تزايد العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة منذ العام ١٩٤٨ ، تزايدها بعد ايلول بالذات لدليل آخر على قوة الثورة واستمراريتها . لا نريد بذلك القول بأن الثورة هي في احلى ايامها بل نقول ان الثورة، رغم ما اصابها من ضربات قاتلة في كثير من الاحيان، لم تفشل..ولم تتوقف . المغالطة الثانية في كلام كمشي والتي تقول بأن الشباب المثقف يؤيد قيام الدولة الفلسطينية العميلة ، تدحضها الوقائع . لم يورد كمشي اي اثبات ليدلل على صحة هذا الكلام ولم يقل كيف وصل الى هذا الاستنتاج . ان من تحرك ولا يزال يتحرك في الضفة الغربية من اجل قيام هذه الدويلة العميلة ، كان الطاقم السياسي التقليدي الذي ارتبط تاريخيا بسلطات الانتداب البريطاني ثم بالنظام الاردني ، ثم تعاون مع سلطات الاحتلال الاسرائيلي . وقد ثبت بأن هذا الطاقم لم يستطع ان يستقطب الجماهير الفلسطينية وان كل تحركاته تتم تحت حراب سلطات الاحتلال وفي حمايتها وبتنسيق كامل معها. ومن ناحية اخرى فقد ثبت من خلال آلاف المعتقلين من ابناء الشعب الفلسطيني ومن خلال مئات بل آلاف الشهداء ، ان الشباب الفلسطيني المثقف داخل الارض المحتلة وخارجها يقف مع الثورة ويلتف حولها وحول اهدافها وبرامجها . اما القول بأن هناك شعورا عاما بأن المقاومة لن تؤدي ابدا الى هزيمة اسرائيل اذا استمرت ، اي المقاومة ، في سياستها الحالية ، فنقول لا نعرف كذلك كيف وصل اليه جون كمشي الكاتب الشهير . ان هذا القول ينطلق من المعزوفة الاسرائيلية التي ما برحت تتردد منذ حزيران ١٩٦٧ وتقول بأن اسرائيل لا تقهر . والجواب على ذلك هو ان الشعوب التي تناضل من اجل قضاياها العادلة هي التي لا تقهر وهي التي ستتغلب على القوى المعادية لامانيها وحقها في تقرير مصيرها طال الزمن او قصر ومثال فيتنام ماثل امامنا .

ويصل جون كمشي في نهاية دراسته الى ما يريد في الاصل قوله والتبشير به الا وهو الدعوة الى « وجود فلسطيني » ما بموافقة اسرائيل ومساعدتها وبالتالي بحمايتها ولهذا نراه يقول بأن الحل الوحيد الدائم للنزاع بين اسرائيل والثورة الفلسطينية يجب ان ينطلق من «الادراك بأن النجاح العسكري الذي حققه الاسرائيليون حتى الان يعطيهم فرصة نادرة للتقدم باتجاه هذا الهدف» الذي يقوم على التعايش المستقل لكن المقبول من الطرفين والذي يأمل كمشي ان يأخذ شكل « دولة فلسطينية مرتبطة فدراليا مع اسرائيل وليس مع الاردن » . وهكذا يتضح القصد الحقيقي من وراء كل الحجج التي اوردها كمشي : انها حجج طرحت للوصول بالقارىء الى القبول بفكرة « فلسطينستان » في الضفة الغربية . وهي فكرة رفضتها الثورة الفلسطينية ولا تزال ولا علاقة حاسمة بين رفض الفكرة ومستوى قوة او فاعلية الثورة اي ان الثورة حتى لو وصلت الى ادنى درجات الضعف ، فان ذلك لا يعني بأنها ستقبل بدولة عميلة وتتنازل عن تحرير الارض الفلسطينية بكاملها . كان كمشي وغيره من الكتاب الصهيونيين يرفضون في البدء الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني ولما بدا الشعب الفلسطيني ثورته المسلحة ، بدأ كمشي وبعض الكتاب الصهيونيين الذين يحاولون الظهور بمظهر موضوعي يعترفون بهذا الشعب وبحقه في « الوجود » ولكنهم ارادوا في الواقع من وراء هذا الاعتراف اجهاض ثورته والسيطرة عليه عن طريق اقامة كيان ذليل تابع لاسرائيل .

ابراهيم العابد

Nasser Aruri, **The Palestinian Resistance to Israeli Occupation** (Wilmette, Ill: The Medina University Press International, 1970).

ان كتاب الاستاذ عروري كتاب متماسك حسن البناء وهو عبارة عن مجموعة مقالات تغطي مواضيع متعددة كلها تتناول بالبحث احدى أصعب المشاكل السياسية في العالم اليوم — مشكلة فلسطين . والمقالات من وضع علماء عرب ليبراليين تشربوا علوم السياسة الاميركية واعتنقوا نظمها وتمثلوا افكارها . وقد تضمن هذا الكتاب كذلك مقالات لاصدقاء القضية الفلسطينية (غير العرب) مثل آنيا فرانكوس الصحفية الفرنسية الثورية اليهودية المولد .

:ن الدكتور عروري نفسه هو احد الراديكاليين العرب المتأمركين وهو رئيس جمعية خريجي الجامعات الاميركية العرب . ويتحدث الاستاذ عروري في مقدمة كتابه عن العلاقة بين الصهيونية والاستعمار والرجعية العربية . ويوضح بشكل جلي سيطرة الامبريالية على الوضع في الشرق الاوسط ولكنه يتجنب استعمال كلمة الامبريالية بشكل صريح . وهو يوضح كذلك دور اسرائيل كمركز توزيع للبضائع الراسمالية في العالم الثالث ويؤيد الثورة الفلسطينية . ولكن الدكتور عروري يعاني من مصيبة التعجرف الاكاديمي عندما يصر على ان « تحالف كل القوى الوطنية » يجب ان « يقاد من قبل الحرفيين والمتعلمين الذين ليس لهم مصالح مكتسبة من الوضع الراهن » . ويجدر القول بأن هؤلاء «الحرفيين والمتعلمين» هم ابناء الارستقراطيين الفلسطينيين ، اي موظفي حكومة الانتداب الفلسطينيين « المتأنكلزين » ، وسلالة المبشرين — وهؤلاء جميعا طبقة خانت الجماهير الفلسطينية ولكنها الان — عندما ثار المضطهدون — تحاول الاستيلاء على قيادة حركة المقاومة لكي تستخدمها كأداة لاسترجاع امتيازاتها المفقودة . ويخشى بعض الكتاب ان هؤلاء « الحرفيين والمتعلمين » قد استحكموا في حركة المقاومة بشكل يصعب معه ازاحتهم منها ، ان البرهان على ذلك غير قطعي ولكنني أورد هنا مشهدين : الاول انني لم أجد ضمن المقاتلين الذين قابلتهم في جبال عجلون في كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٧٠ أحدا من نسل هذه الطبقة ، والثاني انني رأيت أولئك الطفيليين في مكاتب المنظمات يتزاحمون في كل مكان كذكور النحل ويتباهون بسيارات المرسيدس وأجواء حياتها .

ولعل ما يلفت النظر في مقدمة كتاب عروري أنه يتجاهل فيها اشارة فرانكوس الى « التحالف التكتيكي» الذي تشكل في المؤتمر الوطني الفلسطيني (ايلول ١٩٦٩) « بين اليمينيين في المقاومة وبعض المستقلين الذين يمثلون البرجوازية الوطنية » (ص ٤٧) . أي ان عروري وشركاه يقبلون ضمنيا خرافة « الوحدة الوطنية » ولا يناهضون اسسها باعتبار وجود صراع طبقي من جهة والحاجة لتنظيم حزب طليعي من جهة اخرى .

ومن نفس نقطة الانطلاق السابقة (اي الوحدة الوطنية) ، فان الاستاذ الطيباوي يثبت « التآمر الانكليزي — الصهيوني » ضد الفلسطينيين . ويظهر للعيان المخطط الذي قدمه هربرت صموئيل في عام ١٩١٥ الى الوزارة البريطانية والذي أوصى فيه تحويل فلسطين الى محمية بريطانية تستوعب الاستيطان اليهودي، وكذلك ان المبعوث البريطاني، السير اريك دروموند قد استخدم للاتصال مع برانديس قاضي المحكمة العليا الاميركية الصهيوني بغية اقناع الرئيس الاميركي ويلسون على الموافقة على المخطط البريطاني — الصهيوني لاعتراض تدويل فلسطين في فترة ما بعد الحرب . ويبين الطيباوي كذلك كيف خدع وايزمان الوجهاء العرب — وكان حينذاك رئيس البعثة الصهيونية — بانكار اي رغبة بأن « يسيطر الصهاينة على المراكز العليا السياسية والتنظيمية » (ص ١٤٠) وكيف سمحت الحكومة البريطانية للصهاينة بانتداب ممثلين لهم في مؤتمر السلام ومنعت نفس الامتياز عن الفلسطينيين الذين شكلوا ٩٠٪ من السكان . وفي نفس السياق التاريخي يري الاستاذ وينز من جامعة ماكيل كيف نفرت الجماهير العربية من طبقة « الافندية » الحكام ، أولئك الحكام الذين « انكمشوا رعبا خوف العنف من الجماهير » وطالبوا بانهاء الاضراب العام عام ١٩٣٦ «خشية» جرفهم في تيار العنف الكاسح الى ما لا تعرف عقباه (ص ٣١) .

وفي القسم التالي من المقالات ، تبين بربارة الاسود في نظرية « الفلاحين المتوسطين » ان هؤلاء هم المادة الثورية في البلدان المتخلفة وتقرر ان هذه النظرية تطبق على سكان المخيمات وعلى العرب الاسرائيليين ، اذ ان لهم « جذورا في الارض » وتماسا مع المراكز السكنية وقطع أرض صغيرة وحياة بسيطة للغاية. اما بالنسبة لسكان المخيمات « اللاجئين » فانها تقول ان من أتى منهم من مناطق ريفية كان متحررا من تحكم طبقة « الذوات الدخيلين » وان « نمطهم المعيشي » زودهم بقابلية الحركة اللازمة وكذلك الثقافة وقيادتهم الخاصة بهم .

وتقتفي فرانكوس خطى بربارة وتؤكد حقيقة اسرائيل الاستعمارية وتقارن الطبقة الحاكمة في اسرائيل مع حكام افريقيا الجنوبية ولكن بدون قاعدة اوروبية او اميركية (أي الاستعمار الاسرائيلي والافريقي) ولكن بسيطرة وطنية مفرطة على الاسرائيليين وباعتقادهم بخرافة « المستوطنين الابطال » الذين لهم تعال عرقي وانهم يحاولون اعادة تجميع السكان الاصليين في جيوب معزولة (ص ٣٤) . وبسبب هذه السياسة القمعية والمنفرة وكذلك ظهور حركة العالم الثالث وآمالها من جهة والتوسع الصهيوني من جهة أخرى ، فان لثورة « الفلاحين المتوسطين » فعلا راديكاليا على الشرق الاوسط وتعبئة جماهيره . اضف الى ذلك ان الثورة ، تبعا لعنبتاوي هي منتوج جانبي «للازاحة الجماعية» ولانكار حقوق الفلسطينيين في « كيان سياسي منظم » له أماني سياسية . فان نجحت الثورة فعليها — حسب رأي الاستاذ اسماعيل — ان تطور من استراتيجيتها الثورية وان تتضمن مخططا عسكريا وقاعدة آمنة وان تهيىء الشعب لنضال طويل وما ينتج عنه من تحمل مسؤولية السلطة . ولكن تحليل اسماعيل يعيبه موقفه الفكري حين يصرح بأن « ايجاد استراتيجية موضوعية هو اهم من ايجاد كادر من الافراد المدربين لترجمة هذه الاستراتيجية الى عمل قابل للتنفيذ على المستوى التكتيكي والفردي » . وهو كذلك يؤكد أهمية « الرأي العام العالمي » من وجهة نظر المقاومة ان « تقدمت المقاومة هدفها للعالم بطريقة مقبولة » (ص ٨٧). ان الاختلاف الوحيد الظاهري بين كاتبي المقالات هو عندما يحاجج عنبتاوي ان سلسلة التصريحات من قبل البريطانيين وعصبة الامم وهيئة الامم تنكر على الفلسطينيين كيانهم . بينما يرى ماليسون ان « بنود الوقاية » في وعد بلفور وفي النقطة الثانية عشرة للرئيس ويلسون وكذلك في الفقرة الثانية والعشرين من اتفاقية عصبة الامم والفقرة الثانية من مرسوم الانتداب والفقرة ٨٠ من لائحة الامم المتحدة وفي تصريح منح الاستقلال للشعوب والبلدان المستعمرة، كلها تعترف بوضوح بحق الفلسطينيين بتقرير المصير . وبكلمات أخرى فان الصهيونية وممارسيها وحدهم ، حسب رأي ماليسون ، مسؤولون عن عدم الاعتراف بالفلسطينيين كشعب ذو وطن .

لذا فان حقهم بالثورة يجب ان يعتبر مشروعا . ويؤكد ماليسون انه يجب اعتبار الفدائيين «الغوريلاز» كمحاربين شرعيين تحميهم اتفاقية أسرى الحرب واتفاقية المدنيين . اذ ان لهم كحركة مقاومة قادة معروفين وعلامات مميزة ويحملون السلاح علنا ويتبعون « قواعد وعادات الحرب » (ص ٦٩) .

وهنالك ثلاثة مقالات أخرى كتبها الشوفاني وجبارة والملاخ . فالشوفاني يركز على اهمية نفور المتعلمين العرب وكيف كفوا عن الاعتقاد بامكانيه التعايش بين العرب واليهود (ص ٧٧) . أما جبارة فقد تتبع باعتناء تبدل وجه المنظمات الصهيونية البارزة في امريكا وكيف يتجنبون بمناورات قانونية بارعة دفع الضرائب على البلايين من الدولارات التي يجمعونها ويرسلونها الى اسرائيل . ويقدر الملاخ تكاليف حرب حزيران (يونية) ونتائجها ويؤكد ان امريكا تمارس « خداع النفس » بخصوص مصالحها القومية « عندما تدعم الموقف الاسرائيلي » (ص ١٦١) .

ان اكثر المقالات انعاشا واثارة هي مقالة بلاطة التي تبحث في الفن العربي الثوري ومقالة نخلة التي تدرس الشعر السياسي الذي كتبه العرب في اسرائيل . ويوضح كل من بلاطة ونخلة ان الفن والشعر قد ركزا على التفرقة ضد الاقلية العربية في اسرائيل . ويرد نخلة ازدهار شعر المقاومة الى ثلاثة اسباب : غياب المتعلمين التقليديين ؛ والحكم العسكري الاسرائيلي للمناطق العربية ، وتدمير العديد من القرى العربية من قبل الجيش الاسرائيلي وارغام سكانها على الهجرة الى قرى اخرى ضمن اسرائيل .

الدكتور جورج حجار

Larry Collins and Dominique Lapierre, *O Jérusalem* (Paris: Robert Laffont, 1971).

« ان نسيتك يا اورشليم تنس يميني » بهذه العبارة من المزمور ١٣٧: (نشيد ابناء اسرائيل المسبيين) يفتتح المؤلفان كتابهما الاخير الذي يدور موضوعه حول « صراع عام ١٩٤٨ من اجل مدينة القدس » . والمؤلفان : صحفيان فرنسي وامريكي سبق ان حازا على شهرة واسعة بعد ظهور كتابهما « هل تحترق باريس ؟ » حول تحرير باريس عام ١٩٤٤ ، الذي حمل الى الشاشة السينمائية، مما يجعل نفس المصير محتملا بالنسبة للكتاب الجديد . والكتاب : هو عبارة من ٦٠٠ صفحة هي خلاصة — على حد تعبير المؤلفين « ٢٥٠،٠٠٠ كيلومتر من المسافات المقطوعة في الشرق الاوسط ، واوروبا وامريكا + ٢٠٠٠ مقابلة + ٦٠٠٠ صفحة من الوثائق + جهود ٢٠ بحاثة + ٥٠٠ كيلوغرام من الوثائق السرية » . وهذا الحجم لم يمنع الكتاب من ان يحتل رأس قائمة الكتب الاكثر مبيعا في فرنسا خلال اكثر من ١٥ أسبوعا ، وما زال كذلك حتى كتابة هذه الاسطر . والاسلوب: قصصي لا يأخذ بعين الاعتبار قطعا الدقة التاريخية ، بقدر تركيزه على بعض الجوانب (الهامة منها والثانوية) التي تشوق القارىء الاوروبي العادي وتثير عواطفه .

الموضوع كما يلخصه المؤلفان هو « قصة مدينة اصبحت رمز صراع بين اخوة . هي قصة القائد العربي عبدالقادر (الحسيني) ، قدوة فدائيي الحاضر ، الذي نزل من الجبال لمحاصرة المدينة المقدسة . هي قصة ١٠٠ الف يهودي محاصرين في المدينة ومهددين بالموت جوعا وعطشا تحت وابل القنابل العربية ... هي قصة مئات الهاربين من معسكرات النازية الذين ضحوا بحياتهم من اجل الحصول على حق الدخول الى ارض الميعاد . هي قصة البدو النبلاء في الجيش العربي آتين لانقاذ المسجد الاقصى ... هي قصة الجنود البريطانيين الذين أتوا لاحلال السلام فتبنوا عواطف الطرفين وانضموا لاحدهما او للاخر ... هي قصة جولدا مئير متخفية بلباس امرأة عربية لتقابل سرا الملك عبدالله في محاولة اخيرة لانقاذ السلام الخ.. » (الغلاف) .

الكلمات نفسها في هذه التقدمة كافية للايحاء بمخطط الكتاب : محاولة ذكية من المؤلفين لتفادي الطرح الاحادي الجانب ، وذلك برواية الاحداث في معسكر كل طرف ، والايحاء بالتالي « بموضوعية» العرض . وفي الوقت نفسه ، لم يتمكنا من اخفاء عطفهما على الجانب الصهيوني وتفهمهما لمنطلقاته واعماله ، رغم تفادي التعرض مباشرة للجانب العربي ، أللهم الا من خلال طريقة العرض والتركيز على جانب معين (كوحشية بعض العمليات مثلا) .

الكتاب اذا ليس من نوع الكتب الصهيونية التقليدية التي تتغافل وجهة النظر الفلسطينية ، وتصور الغزو الصهيوني في اجمل الاثواب . (هناك مثلا وصف مطول لمجزرة دير ياسين [ص ٢٨٥ — ٢٩٦] وادانة واضحة لها من خلال حديث ممثل الصليب الاحمر جاك دو رينييه) . وهو ليس بالطبع تسجيلا مجردا للاحداث (فموقف ومشاعر المؤلفين تجاه « التجربة الصهيونية » واضحة في كل سطر منه) . وانما هو مجهود منهما للتعرض لجوانب مختلفة من الحقبة التي تلت قرار التقسيم ، مجهود تتحكم فيه بالطبع الحدود الايديولوجية التي يدوران فيها ، والتي لا تسمح لهما بتقييم تلك الاحداث بشكل موضوعي علمي . ولكنه مجهود يحتاج الى اهتمام اكثر من ادانة عابرة ، والقول بأنهما صهيونيان وكفى الله المؤمنين شر التحليل .

الصورة العامة التي تفرضها قراءة الكتاب على القارىء العادي بالامكان تلخيصها كالتالي : في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ صوتت اغلبية الجمعية العمومية للامم المتحدة الى جانب قرار التقسيم ، وذلك بفعل الضغوط الامريكية على دول العالم الثالث (ص ٢٦) . ورغم ذلك ، فالقرار اكثر المشاريع حكمة (ص ١٠٤) واقربها الى حل التناقض القائم على ارض فلسطين بين شعبين ، اليهود* والعرب، لكل منهما الحق في العيش عليها

---

* مفهوم الكاتبين اليميني يجعلهما يستعملان لفظ اليهود حيث يتحتم علميا استعمال لفظ الصهيونيين في معظم الاحوال . سنحافظ على تعابيرهما في التلخيص ، وعلى القارىء ان يقدر متى تصح اللفظة ومتى يجب استبدالها .

(ص ٩) . فاليهود عاشوا منذ القدم في فلسطين ولم تنقطع صلتهم بها او وجودهم فيها علـى مر القرون رغم تناوب الشعوب الاخرى في احتلالها من الاشوريين الى الفرس والرومان والعرب والاتراك واليوم البريطانيين (ص ٩) . رفض العرب قرار التقسيم لتعصب قادتهم من امين الحسيني الى عبدالقادر وفوزي القطب الذين كانت لهم صلات وثيقة ورحلات عدة الى المانيا النازية (ص ٥٩ + ١٠٧ + ٣٤٧) بالاضافة الى لاسامية الحكـام العرب وعدم فهمهم لاهداف وقيم الحركة الصهيونية (ص ٣٠٨) . وعلى ضوء هذا الرفض قـام الفلسطينيون بمقاومتهم وقتالهم ضد اليهود بمحاصرة احياء القدس اليهودية وقطع طرق التموين عليها وبعمليات هجوم وسطو على القوافل والمستعمرات. كانت شجاعتهم فائقة وبالذات كان عبدالقادر مثال المناضل الشجاع والذكي (ص ٢٧٤) الذي توفرت لديه امكانيات القيادة والتنسيق في جو كانت تتحكم فيه الفوضى واللامركزية وعدم التخطيط وانعدام العلم العسكري (ص ١٤٧ والكثير غيرها) . دافع اليهود من انفسهم بذكاء وتخطيط ، ورغم تضحياتهم وصعوبة الحيـاة في القدس آنذاك ، نجحوا في ذلك ، وتوجت عملياتهم الدفاعية بمقتل عبدالقادر في معركة القسطل في مطلع نيسان ١٩٤٨، الذي ادى الى انحلال المعسكر الفلسطيني وفقدان القيادة المركزية وانتهاء مرحلة المقاومة الداخلية عمليا (ص ٢٧٦) .

كل ذلك ادى الـى التدخـل العـربي الرسمي الذي تبلور بعد مغادرة البريطانيين لفلسطـين باعلان الحرب . كانت التناقضات تنخر المعسكر العربي والمواقف العلنية الحماسية تناقض المواقف الحقيقية المساومة والمثل على ذلك موقف الملك عبدالله ورياض الصلح (٣٠٩ وما يليها) . كان الجيش الاردني هو القوة الرئيسية التي تواجه اليهود ، الا ان جون جلوب كان قد حدد له دورا في اطار مشروع التقسيم ، وذلك بتحديد رقعة عمله في القسم العربي من خارطة التقسيم وعدم تعدي القسم اليهودي اطلاقا (ص ٣٢٩) وذلك بهدف ضم هذا القسم الى المملكة الاردنية ومنع ظهور دولة يسيطر عليها المفتـي (١٠٠ + ٢٠٧ + ٣٦٠ + ٤٥٤) . ورغم ذلك فقد اضطرت بعض قطاعات الجيش الاردني التدخل في القدس ومنع سقوط المدينة القديمة في أيدي الهاغانا (نهاية الكتاب) .

ويروي الكتاب بالتفصيل العمليات العسكرية والمذابح والنهب التي رافقتها مـن قبل كل من الطرفين . فوحشية الارغون في دير ياسين (٢٨٨ وما يليها) يقابلها « وحشية العرب » في عملية الشيخ جراح ضد قافلة هداسا (٢٩٧ — ٣٠٦) والهجوم على قوافل التموين في باب الواد (٢٣٤) والنبي دانيال (٢٤٢ — ٢٥٠) وغيرها . ونهب القطمون بعد احتلالها من قبل الصهاينة (٣٢٦) يقابله « السطو المستمر للقرويين العرب » على المستعمرات كاحتلال كفار عتسيون (٣٨٤) . الوحشية كانت اذا ، بنظر المؤلفين ، من الجانبين رغم ان هنـاك تحديدا في الوحشية الصهيونية بالارغون والشتيرن اكثر من الهاغانا, والبالماخ (١١٨) ، وتعميما في الوحشية العربية وخاصة لغياب القيادة التي بامكانها الحد من ردود الفعل.

خلال كل هذه الفتـرة كان البريطانيون يقفون سياسيا الى جانب العرب (١٥٤ + ٢١٠) وضد التقسيم ، الا ان قادتهم المحليين كانوا منقسمين بين محايدين ومناصرين لمعسكر او لاخر ، وجنودهم في الغالب كان الامر لا يعنيهم فهم يبيعون السلاح للطرفين ويخونون كلا منهما ، ولا يسعون الا الى تفادي التضحية بأرواحهم في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل . ولكن الوقائع تظهر ان العديد من المواقع الاستراتيجية سلمت للصهاينة تسليما مـن قبل البريطانيين حين مغادرتهم لها (٧٨ + ٢١٦) . وينتهي الكتاب بفصل عنوانه « جدار في المدينة » هذا الجدار الذي فصل نصفيها خلال عشرين عاما حتى دخول القوات الاسرائيلية الى المدينة القديمة عام ١٩٦٧ (ص ٥٨٩) ، الذي واجهـه عرب القدس « بعداء مغلق » وظهر على اثـر ذلك « الفدائيون على حدود فلسطين المحتلة ، وعادت القنابل الارهابية كما في عام ١٩٤٨ لتشوه شوارع المدينة وتريق الدماء في ساحة سوق وفي مقهى جامعة وفي دكان عامـر بالزبائن ليلة السبت » (٥٨٩) .

وينهي المؤلفان كتابهما بهذه الكلمات : « لقد زالت الجدران والاسلاك الشائكة التي جزأت المدينة ، ولكن الحدود ما زالت قائمة في قلوب السكان . ولئلا تصبح صلاة الشعب اليهودي : (ان نسيتك

يا اورشليم ..) صرخة يرددها شعب سامي آخر، على العرب ، واليهود ان يزيلوا قبل كل شيء هذه الحدود ... »

هذه هي الصورة التي يقدمها كتاب لابيير وكولينز عن معارك ١٩٤٨ في اطار قصصي مشوق . ليس هناك شك بأنها كثيرة الشبه بالصورة الصهيونية، وبالذات الصورة التي يقدمها ما يسمى باليسار الصهيوني (المابام) حول حق شعبين على ارض واحدة، وضرورة التآخي وازالة الحقد والكراهية(!) الخ. والكاتبان يسترسلان مرارا في وصف زوجين او عائلة صهيونية قبل تقلهم بفعل انفجار او عملية عسكرية عربية بشكل يثير عاطفة القارىء الغربي. ورغم انهما حاولا احيانا ان يفعلا نفس الشيء بالنسبة للعرب الا ان مجهودهما بدا غير طبيعي وذلك لعدم تفهمهما لعادات واجواء الحياة العربية، بينما يظهر الصهاينة في عاداتهم غربيين وبالتالي قريبين منهما ومن القراء . وقد ورد في سياق الرواية مرة تشبيه بين الصهاينة والامريكيين من جهة والعرب والهنود الحمر من جهة اخرى ، وهذه الصورة تفرض نفسها فرضا في اكثر من مناسبة . الجديد في كتاب كهذا هو ان الهنود الحمر المحليين لا يكتفون هذه المرة بالصراخ واداء رقصات الانتقام، وانما لهم حياتهم وتقاليدهم ومطالبهم. الكتاب يأتي اذا على نمط افلام الكاوبوي الجديدة التي تصور حياة الهنود بشكل اكثر اتزانا من الافلام الاولى، في الوقت التي توحي ضمنيا بأن التاريخ لن يرجع الى الوراء .

يبقى ان الصفحات المخصصة للجانب العربي (وخاصة صفحات المقاومة الفلسطينية بقيادة عبد القادر الحسيني ، وصفحات وصف مجزرة دير ياسين) ستترك بعض الاثر على القراء الذين لم يسمعوا قط من قبل عن هذه الجوانب .

داود تلحمي

Menahem Mayer, **Les entreprises en Israël. Combattre, survivre et croître.** (Paris: Fayard - Mame, 1971).

يندرج هذا الكتاب الذي يريد ان يعطي القارىء العادي انطباعا عاما بالموضوعية والوصف المجرد الدقيق للواقع الاقتصادي الاسرائيلي ، تحت خط الكتب الاسرائيلية المألوفة التي تهدف الى ابراز صورة « المعجزة » الاسرائيلية واحاطتها بهالة من التقديس والتضخيم رغم عدم تعرض المؤلف الى القضايا السياسية بشكل مباشر . ان هذا الاسلوب المبطن الذي يعتمد ظاهريا على « الوقائع » و« الحقائق » و« الارقام » دون ان يقع في فخ الجدل ودون ان يجر نفسه الى مواقف سياسية واضحة هو أسلوب دعائي اكثر فعالية من غيره من الاساليب وذلك بالضبط لانه مبطن ومتستر . ان هذا الكتاب لا يريد ، كما يقول مؤلفه مناحيم ماير ، سوى تصوير الواقع الاقتصادي دون البحث عن أصول وجذور وابعاد هذا الواقع . او بالاصح انه يريد أن يبحث في ما يسمى ، باللغة الاقتصادية الشائعة هذه الايام ، في ما معناه تنظيم وادارة وتسيير المؤسسات الاقتصادية . والسؤال الذي يطرحه المؤلف على القارىء موهما اياه بأنه سيجيب عليه هو التالي : لماذا يعمل هذا التنظيم للشؤون والاعمال الاقتصادية في اسرائيل بهذا الشكل وليس بشكل آخر ؟ اي بكلمة أخرى : لماذا يسير اقتصاد اسرائيل كما يسير عليه الان ؟ وقد ينتظر القارىء من خلال هذا الطرح للمشكلة محاولة تفسيرية وتحليلية للاقتصاد الاسرائيلي بكل ابعاده واعماقه ومضاعفاته . الا اننا لا نجد شيئا من هذا القبيل فالكتاب لا يعدو كونه كتابا مدرسيا مبسطا الى ابعد حدود التبسيط . ولعل نظرة سريعة وشاملة الى محتويات هذا الكتاب كافية لتعطينا فكرة واضحة عن مراميه الدعائية الاكيدة.

يبدأ هذا الكتاب بعرض واف لوضع اسرائيل الجغرافي والتاريخي والسياسي والقانوني والاجتماعي وذلك كما تحب الاوساط الصهيونية ان تصوره اي بدون تناقضات او صراعات . فالمجتمع الاسرائيلي هو مجتمع « متعدد الاصول »، يمتاز « بغياب نسبي للطبقات الاجتماعية بمفهومها التقليدي » (ص ٣٣) وبسهولة الانتقال من طبقة الى أخرى . ومقياس الانتساب الى طبقة ما هو تدم المواطن الاسرائيلي . الا انه يبدو ان هناك حقيقة اساسية قد نسيها او تناساها المؤلف وهي وجود طبقات اكيدة في اسرائيل من الصعب على المنتمي اليها ان ينتقل « بسهولة » الى غيرها . ذلك انه من الصعب جدا على اليهودي الشرقي القادم من اليمن او من المغرب ان ينتقل الى طبقة اليهود الغربيين . كما ان المؤلف يصر على القول ان التناقض بين هذه الطبقات لا وجود له وان الاضرابات « نادرة الوجود » . كل شيء يراد له ان يظهر على ما يرام : فالامور في اسرائيل على احسن ما يمكن ان تكون : هدوء اجتماعي ورخاء وازدهار الخ ...

ثم يتكلم الكاتب في سياق حديثه من موقع اسرائيل الجغرافي عن نقطتين : مساحة البلد الصغيرة ونمو السكان السريع (بفعل تشجيع الهجرة) اولا . وندرة المياه ثانيا . وعن هذه النقطة الثانية يقول مناحيم ماير : « يخشى في المستقبل النقص في الموارد المائية اذا لم تتخذ اجراءات في الوقت المناسب » (ص ٢٣٠) ولا يوضح ما هي طبيعة هذه الاجراءات : أهي تحلية مياه البحر ام استغلال مياه الليطاني التي قال عنها الاسرائيليون مرارا عديدة بأنها تذهب هدرا !!

بعد هذا العرض السريع لوضع اسرائيل يدخل الكاتب في صلب الموضوع فيتحدث عن الخطوط العريضة التي توجه الاقتصاد الاسرائيلي كالهجرة والاستقرار واستثمار الموارد الطبيعية والبشرية الى اقصى حد والنمو الاقتصادي وعن ميزان المدفوعات . والجدير بالملاحظة ان الهجرة تعتبر من المقدسات التي لا يمكن المساس بها مهما كان الوضع الاقتصادي سيئا ومهما كانت البطالة متفشية . فالهجرة مبدأ اساسي من مبادىء السياسة الاسرائيلية لا يمكن ان تحيد عنه قيد شعرة . وهذا كله لا يمكن تفسيره ، كما يقول الكاتب بأنه « فعل ايمان » بل فعل توسع تخطط له اسرائيل على المدى الطويل .

ثم يتعرض المؤلف لدراسة بنية الاقتصاد الاسرائيلي وكيف تقوم على ثلاث ركائز اساسية وهي : القطاع العام ، القطاع التعاوني ، والقطاع الموجه من الدولة . ونحن نعتقد انه من غير المفيد التوقف عند هذه الامور خاصة وان المؤلف قد تعرض لها بشكل سطحي وعرضي نستطيع ان نجده في اية منشورات سياحية اعلامية او حتى مدرسية . وكذلك هو الامر عندما يتحدث عن مختلف قطاعات الاقتصاد كالزراعة والصناعة والبناء والتجارة والمصارف . ولعل ما يلفت الانتباه في كل هذا هو « هذه المثالية » التي يريد الكاتب ان يقنعنا بأنها هي التي تحرك الجهود الاقتصادية بمقدار ما يحركها الربح والمردودية . ونستطيع ان نتساءل هنا : اي مثالية يعني ؟ اهي عملية بناء اسرائيل ام عملية تشريد الشعب الفلسطيني وافقار واستنزاف المنطقة العربية باكملها عن طريق بناء اسرائيل الذي هو مشروع استعماري بالدرجة الاولى ؟ ولعلنا لا نغالي اذا قلنا أن الخط الذي يسير عليه مؤلف هذا الكتاب يتشابه تشابها مدهشا مع الخط الدعائي الذي كان ينتهجه المستعمرون الاوائل حين كانوا يتكلمون عن «مثالية» الرواد الاولين الذين كانوا يحملون التمدن الى الشعوب « المتوحشة » و« البدائية » كما انه بتشديده على « الفعالية » و« التقدم » فانما يتبنى كلية المفاهيم الاقتصادية السائدة في البلدان الاستعمارية .

بعد هذا ينتقل المؤلف الى الكلام عن كيفية التصنيع واختيار المنتوجات ومصادر التموين بالمواد الخام ونسبة الانتاجية وتحسين النوعية كما أنه يتكلم عن السوق الداخلية والخارجية مع اشارته ، طبعا ، الى المقاطعة العربية وضرر هذا الاجراء على كلا الجانبين ، وتحويل معظم الانتاج الصناعي والزراعي الى السوق الاميركية والاوروبية وهذا بشكل اضطراري اذ ان جل ما تطمع اليه اسرائيل هو الاسواق العربية المجاورة التي « هي بأمس الحاجة الى مثل هذه المصنوعات » وهنا يعترف المؤلف ، ولو مرغما ، بفعالية المقاطعة العربية اذ ان البضائع الاسرائيلية بتحولها الى الاسواق البعيدة عنها تزيد كلفتها بسبب أجور النقل فتصبح

عاجزة عن منافسة البضائع الاخرى من حيث الاسعار . وكل هذا لكي يشير الى ضرورة الانفتاح والصلح مع العالم العربي واهمية هذا بالنسبة الى نموها الاقتصادي .

ولا تغيب السياسة المالية الاسرائيلية عن باله فيفرد فصلا كاملا يتحدث فيه عن التمويل وتوظيف الاموال واستثمارها وعن المراقبة والمحاسبة وسياسة الارباح والضرائب بالنسبة للشركات وللافراد مشيرا الى ان اسرائيل تعتمد اعتمادا متزايدا على المساعدات الخارجية لتامين استمرارها وانها بين استقلالها الاقتصادي وبين تقدمها اختارت الثاني اذ « ليس هناك خوف من الشركات الكبيرة التي توظف أموالها في البلاد او من الدول الاجنبية التي تمد اسرائيل بالمساعدة » . وهذا يفسر لنا الشيء الكثير ويوضح العلاقة العضوية بين اسرائيل والرأسمالية العالمية .

وقبل أن يصل مناحيم ماير الى استنتاجاته ، يخصص فصلا لليد العاملة في اسرائيل وعن أوضاعها وظروف عملها وأجورها والضمانات المؤمنة لها وعن حقها في الاضراب وعن حلول العقول الالكترونية محلها في بعض المجالات ، وما الى ذلك من مسائل وأمور مغرقة في العمومية تتحول في معظم الاحيان الى بيان شديد التفاؤل يعدد فيه الكاتب « المنجزات » و« النجاحات » الخ ... أكثر مما هو تحليل دقيق وموضوعي للواقع الاقتصادي الاسرائيلي . الا ان كل هذا ، في رأينا ، ليس سوى ذريعة يتوسلها مناحيم ماير للوصول الى استنتاجات سياسية واضحة ومكشوفة . ان هذه الكمية الهائلة من «المعلومات» التي يسوقها الينا تجد لها مصبا في الايديولوجية الرسمية للدولة الصهيونية ، هذه الايديولوجية التي تؤمن غطاء اعلاميا ودعائيا لهذه الدولة في سياستها من اجل « الصراع ، والبقاء ، والنمو ». ما هي استنتاجات الكاتب ؟ لعل تساؤلنا هذا في غير محله فالاستنتاجات ليست في الحقيقة سوى تبريرات طالما سمعناها من أبواق الدعاية الاسرائيلية . فهو يؤكد ان مصير اسرائيل مرتبط بالدرجة الاولى بنتيجة الحرب وان اي انكسار عسكري يعرض وجود دولة اسرائيل ذاتها للفناء. ويستطرد قائلا ان هذا الاحتمال ليس واردا على الاطلاق . ثم يسوق لنا احتمالين :

الاحتمال الاول : استمرار حرب الاستنزاف (تجدر الاشارة هنا الى ان هذا الكتاب قد كتب قبل وقف اطلاق النار) وما ينتج عنها من تعاظم في ميزانية الدفاع ، ومن « دمج متزايد لاقتصاد الاراضي المحتلة » في اقتصاد اسرائيل . ويعلق الكاتب على هذا الاحتمال بقوله إن هذا الدمج يفيد العرب كما يفيد اسرائيل . و«يدعم» مزاعمه بالتاكيد على ان هناك جهودا كبيرة لتنمية الاراضي المحتلة تجلت حسب زعمه في تدني نسبة البطالة وزيادة الدخل الوطني الصافي وزيادة الانتاج الزراعي . ولا يكتفي مناحيم ماير بسوق هذه الاكاذيب بل يذهب الى حد القول بكل وقاحة « ان احتمال استثمار الاراضي المحتلة من جانب اسرائيل ليس واردا على الاطلاق » !... اما **الاحتمال الثاني** الذي يتمثل بحل سياسي للصراع يقود الى اقامة علاقات طبيعية مع الدول المجاورة ، فهو « مغر » اكثر من الاول . اذ انه سيؤدي الى تخفيض ميزانية الدفاع واقامة مصالح مشتركة بين العرب واسرائيل كما انه سيؤدي الى زيادة تنمية الدول العربية . وفي هذا المجال « يمكن لاسرائيل ان تلعب دورا مهما » . ولا نعتقد ان مضمون هذا الكلام يحتاج الى تعليق فهو يكاد يكون تكرارا مملا لما تعلنه اسرائيل ، عبر وسائلها الاعلامية في كل يوم وفي كل مناسبة .

واخيرا فان هذا الكتاب لا يعدو كونه ، كما سبق وقلنا ، منشورا دعائيا موجها الى جمهور واسع من الراي العام اللامبالي واللامتطلب والذي تغريه الاثارة اكثر مما تجذبه الموضوعية . واكثر من هذا فالكتاب موجه الى « مبتدئين » هذا ان لم نقل الى تلامذة مدارس . يكفي للدلالة على هذا ان نعرف أن الكاتب قد الحق بكتابه جزءا صغيرا يتضمن عدة اسئلة بشكل الغاز أو كلمات متقاطعة الغرض منها « امتحان » القارىء والتأكد من انه قد « استوعب » المعلومات التي قدمت اليه جيدا . اننا اذا اعتبرنا الكتاب موجها الى مثل هذا الجمهور فلا شك انه كتاب ناجح . وما عدا هذا فهو منشور آني يفقد قيمته بمرور المناسبة التي نشر فيها . والاحداث التي نعيشها الان والتي تمر بها اسرائيل تعطي تكذيبا واضحا لمعظم ادعاءاته ومقولاته .

الياس انيس نجم

ابراهيم العابد ، مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية (مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧١) .

يظهر من عنوان الكتاب ومن تمهيد الدكتور انيس صايغ مدير مركز الابحاث الذي أصدر الكتاب ، ان المؤلف اراد من دراسته ان تكون مدخلا لبحث الموضوع ، وتشجيعا لمعالجته بدراسات أخرى . وهذا بدوره يشجع على تقديم بعض الملحوظات ، ويشعر ان المؤلف سيتقبلها برحابة صدر .

يبدأ المؤلف في اعطاء تعريف سريع للاستراتيجية : « لان الاستراتيجية هي فن استخدام مجموعة الوسائل السياسية والعسكرية لخدمة الاهداف الرئيسية لبلد معين في مرحلة زمنية محددة ، وفي ظل حوار الارادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها » . ويضع في الهامش المصدر الذي استقى منه هذا التعريف وهو الجنرال اندريه بوفر : « مدخل الى الاستراتيجية العسكرية » ، ولا ادري ان كان المقصود كتاب بوفر « مدخل الى الاستراتيجية » — نشر فابر وفابر ١٩٦٥ . فاذا كان المصدر هذا الكتاب ، فان التعريف المذكور لم يرد في صفحة ٢٨ ، كما انه لا يلتقي بدقة مع مختلف التعريفات التي اعطاها بوفر للاستراتيجية في ذلك الكتاب . حقا ان هذه النقطة ليست بذات أهمية جوهرية — أهميتها شكلية — للوقوف عندها طويلا . ولكن الاهم هو مراجعة التعريف نفسه الذي هو قطعا ليس بجامع مانع ، فضلا عن اغفاله لمجموعة من الملحوظات حول الاستراتيجية كان بوفر قد شدد عليها .

واذا كان هذا النقد لا يتسع لمناقشة التعريف مناقشة مستفيضة ، فيكفي الاشارة الى انه قيد الاستراتيجية باستخدام مجموعة الوسائل السياسية والعسكرية متخطيا الجوانب الاقتصادية والتنظيمية ، كما اغفل ملاحظة ان تعريف الاستراتيجية يتطلب تحديد المجال الذي تتناوله الاستراتيجية المحددة ، فهنالك الاستراتيجية السياسية ، وهنالك الاستراتيجية العسكرية ، وهنالك الاستراتيجية الاقتصادية ، وهنالك الاستراتيجية الكلية ، كما انه لم يشر الى علاقة الاستراتيجية بالهدف السياسي . ومن هنا ادى ذلك التعريف المطاطي الهلامي الى هلامية مفككة رافقت بحث الاخ ابراهيم العابد مما جعله يفتقر الى التسلسل المتماسك في شرح موضوع الاستراتيجية الاسرائيلية ، وحوله الى حشد من التصريحات تختلط في فصوله الاهداف بالاستراتيجية، وتمحي الحدود بين الاستراتيجية الكلية وبين الاستراتيجية العسكرية وبين الاستراتيجيه الدبلوماسية ، وبين الاستراتيجية السياسية .

لكي أكون اكثر تحديدا ، ولكي أكون اكثر اقناعا بالنسبة للاستاذ ابراهيم العابد ، فسوف استند الى بوفر ما دام هو منطلق التعريف — رغم انني اعتبر مفاهيم بوفر في كتابه « مدخل الى الاستراتيجية » تعكس فكر الاستعمار الجديد ، وبعيدة عن التحديد العلمي الدقيق ، ولكنها تحمل في ثناياها بعضا من المنهاجية في البحث ، خاصة ، من ناحية رؤية بعض سمات الاستراتيجية وتقسيم الهرم الاستراتيجي . ولهذا لا باس من الاستشهاد ببوفر مؤقتا في هذه الملحوظات .

يعرف بوفر الاستراتيجية بانها « فن ديالكتيك ارادتين متعارضتين تستخدمان القوة لحل نزاعهما » ص ٣٤ . ولكن بوفر يدرك ان التعريف العام غير كاف ، ولهذا فهو يقول أن هنالك هرما للاشكال الاستراتيجية المتنوعة وان كانت مترابطة لا بد من تحديدها بدقة اذا اريد لها ان تعمل بتناغم من اجل تحقيق الهدف الكلي نفسه : « تقف على رأس الهرم الاستراتيجية الكلية Total Strategy، وهي تحت الاشراف المباشر للحكومة — أي السلطة السياسية. وان مهمة الاستراتيجية الكلية تحديد كيف تقاد الحرب الكلية . ان مهمتها وضع هدف كل فرع خاص في هرم الاستراتيجية ، مع تحديد الاسلوب الذي تدغم وتنسق فيه كل الفروع — السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية » ص ٣٠ . ويقول « وسيكون لكل مجال رئيسي من مجال النشاطية استراتيجيته الخاصة المميزة »، ص ٣١.

واذا ترجمنا هذه الموضوعات الى كلمات ابسط ، فسنجد فكرة بوفر تقول ان هنالك استراتيجية كلية تشمل كل المجالات ، وهنالك استراتيجية لكل مجال رئيسي — استراتيجية دبلوماسية ، وأخرى سياسية ، وأخرى عسكرية ، وأخرى اقتصادية الخ.. وتقع كلها ضمن الهرم الكبير للاستراتيجية

الذي تقف على رأسه الاستراتيجية الكلية . ليس هذا فحسب ، وانما هنالك ايضا ، استراتيجية كلية لكل مجال وتحتها استراتيجيات ادنى لمختلف فروعه الرئيسية ، فمثلا هنالك استراتيجية عسكرية كلية ، وهنالك استراتيجية للعمليات ، واخرى للتسلح واللوجستيقا الخ ..

الان ، اذا كانت الاستراتيجية تتناول النشاطات ككل، واذا كانت لكلنشاطية رئيسية استراتيجيتها، فكيف عالج الاخ ابراهيم العابد موضوع الاستراتيجية الاسرائيلية؟ انه لم يحدد الاستراتيجية التي سيعالجها هل هي الاستراتيجية الكلية ، ام الاستراتيجية العسكرية ، ام السياسية ؟ ام سيعالجها جميعا بلا خطوط فاصلة بينها — اي على شكل حديث عن الاستراتيجية فحسب ؟ ولكن يبدو انه اراد التركيز على الاستراتيجية العسكرية ، وهذا موضوع ولا شك قائم بذاته ، الا انه هنا ايضا لم يتناول الاستراتيجية العسكرية تناولا منهاجيا ، فلم تميز فصول دراسته بين الاستراتيجية العسكرية الكلية وبين استراتيجية العمليات ، وبين الخطط الاستراتيجية ، وبين المفاهيم او المرتكزات الاستراتيجية الخ بل قدمتها جميعا دفعة واحدة مختلطة بعضها ببعض ، وقد ركزت تلك الدراسة ، بصورة خاصة ، على المرتكزات في الاستراتيجية الاسرائيلية ، واذا تذكرنا تعريفه للاستراتيجية فسنجد انه خلو من التلميح الى شيء اسمه المرتكزات ، — رغم ان تعريف الاستراتيجية يجب ان يشمل وجود مفاهيم ومرتكزات — وانه يشدد على « فن استخدام مجموعة الوسائل السياسية والعسكرية » في حين لم تتطرق الدراسة الى تلك المجموعة من الوسائل. وحصرت نفسها في عرض منطلقات الاستراتيجية الاسرائيلية ومفاهيمها ، وهذا يعني ان الدراسة تناولت احدى الجوانب فقط وليس ما اعلنت عن بحثه وتقديم مدخل اليه .

لم تفتقر تلك الدراسة الى عدم الدقة من ناحية تناول الموضوع فحسب ، وانما افتقرت ايضا الى عدم الدقة ، في كثير من الاحيان ، من ناحية المحتوى .

يؤكد المؤلف عن « ان اية مقاربة لموضوع الاستراتيجية الاسرائيلية لا بد وان تبدأ بتحديد الاهداف التي تعتبرها اسرائيل حيوية واساسية لبقائها وتطورها » (ص ٩) . حقا ان الحديث عن أية استراتيجية يتطلب ان يبدأ بتحديد الهدف الذي توضع تلك الاستراتيجية من اجل تحقيقه . فما هو الهدف العام للاستراتيجية الاسرائيلية ؟ انه « الحصول على قبول عربي ملزم وشامل بالوجود الاسرائيلي على الارض العربية ... » (ص ٩). هنا يمكن مناقشة هذا الطرح من زاويتين : **اولا** : هل الهدف العام للاستراتيجية الاسرائيلية الحصول على قبول عربي بوجودها ؟ ام هدفها العام او الكلي هو المحافظة على وجودها واستمراره وتوسيعه وضمان اخضاعه للشعوب العربية ولعب دور استعماري في المنطقة كلها . وهذه مسألة يجب ان تفرض سواء قبل العرب او لم يقبلوا وما القبول العربي بوجود اسرائيل الا **احدى الوسائل** لتحقيق الهدف السياسي — اي ان ما سماه الاستاذ العابد بالهدف العام ان هو الا جزء من الاستراتيجية وليس الهدف العام للاستراتيجية ؟ **ثانيا** : ان استخدام كلمة هدف هنا لم تحدد المقصود بكلمة هدف هل هدف بمعنى غاية Aim ام هدف بمعنى Target ؟ لان المعنى الاول يحدد الغاية التي يراد من الاستراتيجية تحقيقها بينما يهدف المعنى الثاني الى تحديد الاهداف Targets التي يؤدي تحقيقها الى تحقيق الهدف بمعنى Target. اي هنالك الهدف الكلي ثم هنالك أهداف استراتيجية وهذه تختلف عن الهدف الكلي الذي توضع الاستراتيجية لتحقيقه

ولنتابع الموضوع ، « وفي سبيل تحقيق هذا الهدف العام تضع اسرائيل ستة أهداف امامها ، كلها في مستوى واحد من الاهمية والاولوية » (ص ٩) ، وهذه الاهداف ، باختصار ، هي : (١) زيادة عدد السكان ، (٢) تحقيق تقدم اقتصادي ، (٣) تقليص الفوارق الاجتماعية ، (٤) تشجيع الاستيطان في القرى والمدن القليلة السكان ، (٥) التمسك بخطوط وقف اطلاق النار الحالية وتعزيز التحصينات عليها، (٦) تقوية الجيش الاسرائيلي .

يلاحظ ، بلا عناء ، ان ما سمي بالهدف العام لا يختلف عن هذه « الاهداف » الستة ويمكن اضافته لها بدل اعتبارها اهدافا لتحقيقه ، ثم اعتبار تلك الاهداف السبعة — بعد اضافة القبول العربي — اهداف الاستراتيجية الكلية التي تقوم لتحقيق الهدف

الكلي الذي هو المحافظة على وجود اسرائيل واستمراره وتوسيعه وضمان اخضاعه للشعوب العربية ولعب دور استعماري في المنطقة كلها . ومن هنا يمكن اعتبار تلك الاهداف السبعة بمعنى Targets او فلنقل بعبارات اخرى **الوسائل الرئيسية** التي تشكل الخطوط العريضة لعمل الاستراتيجية الاسرائيلية اي انها اجزاء الاستراتيجية الكلية وليست أهدافا بحد ذاتها ، فمثلا تقوية الجيش ليس هدفا بحد ذاته وانما هو هدف استراتيجي يؤدي تحقيقه الى المساهمة في تحقيق الهدف الكلي . ولكنه يتحول الى الهدف الذي وضعته الاستراتيجية الكلية ـ القيادة السياسية ـ للقوات المسلحة من اجل وضع استراتيجية عسكرية لتحقيقه فهو احدى وسائل الاستراتيجية الكلية وهو الهدف الذي تضعه الاستراتيجية العسكرية نصب عينيها وتسلمه لفروع التعبئة والتسليح والتدريب تحت اشراف قيادة الجيش ووزارة الدفاع .

من هنا نلحظ الخلط والتسيب اللذين اصيب بهما البحث حين اختلطت الاهداف بالاستراتيجية واختلطت الاستراتيجية الكلية بالاستراتيجية الاخرى . ولم يميز بين الهدف السياسي وبين الاهداف بمعنى Targets . كما يلحظ من تلك الملحوظات ان دراسة الاستراتيجية بروح هذا النقد تعني ضرورة تناول الاستراتيجية تناولا منهاجيا دقيقا جدا ، وضرورة نقل الباحث او الباحثين الى ارض شاسعة تتطلب تصنيفا ودراسة اكثر تعمقا وتفصيلا .

عندما ينتقل الاستاذ العابد الى الفصل الثاني « مرتكزات الاستراتيجية الاسرائيلية » ، يعاني من النواقص السابقة نفسها ، الا انه يقدم مسألتي الامن الاسرائيلي والحدود الامنة ، بروح نقدية نفاذة ، وبمناقشة ايجابية تكشفان ديناميكية المفهوم الاسرائيلي لهاتين المسألتين اللتين اسماهما الركيزتين الاساسيتين في التفكير الاستراتيجي الاسرائيلي . ولكن هذه الروح النقدية والمناقشة الايجابية تعودان لتغرقا في استعراض سلبي عند مناقشة ما يسمى بالمحرمات بالنسبة للاستراتيجية الاسرائيلية .

ثمة ملحوظة اخرى حول مسالة المرتكزات في التفكير الاستراتيجي الاسرائيلي ، وهي هل مسألتا الامن والحدود الامنة هما المرتكزان الاساسيان الوحيدان ام هنالك مرتكزات اخرى مثلا ضمان التفوق العسكري والتقني ؟ ومن هنا فان المؤلف لم يحاول ان يحصر تحت هذا الفصل المرتكزات الاساسية للتفكير الاستراتيجي الاسرائيلي . ويبدو لي هنا انه لم يوفق في اقامة الانسجام بين ضخامة عناوين فصول بحثه وبين المادة المقدمة تحت كل عنوان .

اما الفصل الثالث الذي يتناول « الردع والهجوم المسبق في الاستراتيجية الاسرائيلية » فينطلق من استشهاد سحب من كتاب « المقاومة الفلسطينية في وجه اميركة واسرائيل » للاستاذ هشام الشرابي الذي يقول ان استراتيجية اسرائيل تقوم « على مبدأ الاستعداد التام ، على اساس نظرية القوة الكاملة ، وهذه السياسة قائمة على الاعتقاد بأن المطمح الاول والاخير لعدوها هو العمل على تحطيمها ، وان ما يحول بين العدو وبين تحقيق هذا المطمح هو ادراكه مناعتها التي لا تقهر من جهة ، وادراكه ضعفه وتعرضه لخطرها من جهة ثانية » .

ان هذا المنطلق في تحديد الاستراتيجية الاسرائيلية، يقلب الحقيقة راسا على عقب . ويقع في فخ التسويغ الاسرائيلي والامبريالي للاستراتيجية الاسرائيلية . ان سياسة اسرائيل « قائمة على الاعتقاد بأن المطمح الاول والاخير لعدوها هو العمل لتحطيمها » بدلا من القول انها قائمة على مطمح اول واخير وهو تحطيم عدوها واخضاعه كليا . اظن ان هنالك فرقا بين الاستعداد واستخدام القوة « دفاعا » ضد عدو يريد تحطيمك ، وبين « الاستعداد واستخدام القوة لتحقيق اهدافك العدوانية وتحطيم عدوك . فمثلا هل نستطيع القول ان الاستراتيجية الامريكية في فيانتام « قائمة على الاعتقاد بان المطمح الاول والاخير لعدوها هو العمل على تحطيمها » ـ من الذي يطرح القضية على هذه الصورة ؟ في الواقع لا اريد الوقوف كثيرا عند هذه النقطة لانها محرجة فعلا بالنسبة للاستاذين هشام شرابي وابراهيم العابد .

ثم يسمي الاستاذ ابراهيم العابد استراتيجية اسرائيل باستراتيجية الردع والدفاع الذي يتضمن القيام بهجوم مضاد مسبق . هنا ، ايضا ، تولد خطأ آخر نتيجة منطلق هشام شرابي فهو من ناحية صبغ على الاستراتيجية صفة الدفاعية التي تهاجم

ردا على هجوم محتمل قبل وقوعه . وهو من ناحية ثانية استخدم تعبير استراتيجية الردع والدفاع الهجومي الذي اعلنت الولايات المتحدة الامريكية عن تبنيه منذ الستينات مقابل استراتيجية التصعيد التي تبناها دالأس ، والخطأ هنا ان المقارنة غير واردة لان استراتيجية « الردع » لها تحديد خاص ضمن التوازن الاستراتيجي النووي ، ولا تنطبق على الوضع القائم بين العرب واسرائيل . لان اسرائيل تتبنى استراتيجية التصعيد والحرب الكلية ، او قل استراتيجية « الدفع حتى الحد الاقصى » — كلاوسيفتس ، وليس استراتيجية الردع من خلال تأكيد البقاء بعد الضربة — النووية — الاولى ، والتي تدخل ضمنها استراتيجية « الرد المرن » — ماكسويل تيلور . او بكلمات اخرى ان استراتيجية اسرائيل العسكرية تدخل ضمن عائلة الاستراتيجية المباشرة في حين تدخل استراتيجية « الردع » ضمن عائلة الاستراتيجية غير المباشرة . (راجع بوفر — «مدخل الى الاستراتيجية» ص ٧٤). ولكن قد يرد مافا تقول بتصريحات القادة الاسرائيليين مثلا اسحق رابين « ان ما نحاول تحقيقه هو احراز القوة العسكرية الضرورية لردع محاولات تجديد الاشتباكات على نطاق محدود او واسع » — (ص ٤٤) ؟ يستطيع القادة الاسرائيليون ان يخلعوا ما شاءوا من الاسماء على استراتيجيتهم، ويستطيعون ان يطلوها بما شاءوا من الاصباغ . ولكن الباحث الحصيف عليه ان يحدد الاستراتيجية من خلال الوقائع الملموسة ، وينزع عنها اصباغ التمويه . ان نقطة الانطلاق ليست ما يعلن من تصريحات الا بقدر ما تتفق مع الحقيقة الملموسة التي هي نقطة الانطلاق ومعيار الحكم .

تبقى حول هذه النقطة مسالة عمليات الانتقام المحدودة وسياسة التهديد الخ وهذه يجب ان ينظر اليها كجزء من استراتيجية التصعيد حتى الحد الاقصى ، وهي تعمل ضمن الفترات الواقعة بين كل حرب كلية واخرى ، تحت استراتيجية « نقل الحرب الى ارض العدو وتحطيم اكبر قدر من حشوده العسكرية في اقصر وقت ممكن» (ص٤٨) وهنا لا بد من الاستشهاد برد الاستاذ العابد نفسه حين يناقش مسالة « حق » اسرائيل بالقيام بهجوم مضاد مسبق وذلك من اجل تفادي وقوع اسرائيل ضحية لهجوم عربي شامل ومفاجيء . فيقول « واضح ما يحمله هذا الكلام من خداع ، ذلك انه ، من خلال التجارب الماضية لا يبدو ان من الممكن للعرب ان يشنوا هجوما شاملا ومفاجئا ذلك ان طبيعة النظم العربية والعلاقات فيما بينها وسبل عملها مع بعضها بعضا ، اذا وضعنا جانبا الاعتبارات الاخرى يجعل من امكانية قيامهم بهجوم مفاجيء صفرا . وهذا يعني ان اسرائيل تقول ذلك كذريعة لتبرر هجومها المسبق » — ص ٤٨ . ويلاحظ من هذه الفقرة ان الاستاذ العابد عاد فعدل من تحليله السابق واقترب اكثر من الرؤية الواضحة لجوهر الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية . وهذا ما يجعل النقد صعبا عند دراسة كتاب يفتقر الى الفكر والتحليل المتماسكين لانه يبدأ من مقدمات تتناقض معها نتائجه او يبدأ من نتائج يتناقض معها تحليل المقدمات .

واخيرا ، لا بد من الاشادة بالجهد الذي بذله الاستاذ العابد في جمع تصريحات القادة الاسرائيليين حول الجيش الاسرائيلي ودور مختلف اسلحته ، مما يشكل مادة جيدة يمكن الافادة منها في اجراء دراسة عسكرية تتناول استراتيجية العمليات للجيش الاسرائيلي في اية حرب قادمة كما ان المادة التي قدمها حول « الاستراتيجية الاسرائيلية والسلاح النووي » والاستراتيجية الاسرائيلية لمواجهة الثورة الفلسطينية ، يمكن الافادة منها جدا اذا ما حللت تحليلا نقديا عسكريا وسياسيا ، وانصب التفكير على ايجاد المضادات المناسبة .

م. ش.

ELEMENTS: Revue trimestrielle du comité international de la gauche au Moyen-Orient.

ابان نهوض حركة المقاومة في ١٩٦٩ شكل اليسار الاسرائيلي والصهيوني العالمي « اللجنة العالمية لليسار العامل من اجل السلام في الشرق الاوسط» واصدر بباريس مجلة ناطقة باسم هذه اللجنة : « عناصر » وهدفها التصدي لتعاطف اليسار الاوربي والعالمي مع فكرة الكفاح الثوري المسلح كطريق اساسي لحل النزاع الصهيوني العربي ثوريا . — وقد هنأ جولدمان باسم الصهيونية العالمية اسرة المجلة على اصدارها . كما ان كلارا هالتر رئيسة تحرير المجلة صديقة شخصية للجنرال موشي دايان. منذ العدد الاول اعلنت المجلة ان مبرر وجودها هو ربط الحوار المباشر بين الاسرائيليين والفلسطينيين على صفحاتها اولا ثم على ارض فلسطين بعد ذلك لتحقيق السلام بين « القوميتين الاسرائيلية والفلسطينية » . كما اعلنت ان برنامجها ، الذي هو برنامج اللجنة الناطقة باسمها ، هو الحل السلمي ، لان الحل السلمي في الشرق الاوسط هو ، كما تقول مقالات المجلة ، الحل الثوري الممكن الوحيد لانه يفتح الطريق امام الصراع الاجتماعي ، اما الكفاح المسلح فهو حل رجعي ومضاد للثورة لانه يؤجج الصراعات القومية في الشرق الاوسط ويؤخر بالتالي موعد الثورة الاجتماعية . تلك كانت وما زالت استراتيجية المجلة التي تعبر عنها في كل عدد من اعدادها الثمانية . وقد حرصت على ان تنشر في كل عدد مشاركة طوعية من احد اعضاء المقاومة او ترجمة « منقحة » لهذا او ذاك من قادتها . وقد نشرت في عددها الاخير تصريحا نسبته لابو اياد فحواه ان المقاومة لا تعارض الحل السلمي. وقد كذبت فتح ان يكون ابو اياد قد اعطى مثل هذا التصريح . لاطلاع القارىء العربي على مضمون وتكتيك ومنطق هذه المجلة راينا من المفيد استعراض اخر عدد منها .

تقول افتتاحية العدد السابع من المجلة : « برهنت احداث الشرق الاوسط الاخيرة صواب نظريتنا : التفاوض مع الاسرائيليين لتمكين الفلسطينيين من حقوقهم الوطنية » . وسنرى بعد قليل ماهية هذه « الحقوق الوطنية » ! وتجد المجلة الجراة لتكتب: « لقد ساندتنا القوى التقدمية في اسرائيل والعالم العربي » . بالطبع القوى « التقدمية » العربية التي ساندتها هي من نوع الجعبري وابو شلباية وغيرهم من المتعاونين مع الاحتلال في الارض المحتلة . اما القوى « التقدمية » الاسرائيلية فهي المابام . اما المتسببين فانها تدين بشدة خط هذه المجلة ، ولهذا اعتبرت المجلة المتسببين بانها « متطرفة ومعادية لاسرائيل » ويسار كاريكاتوري لانها تؤمن باستراتيجية النضال الثوري المسلح وتحرض ضد الحل السلمي الذي يراد منه المحافظة على الاوضاع الراهنة في المنطقة .

تقول الافتتاحية ان « لقاء القوى الثورية في الشرق الأوسط » اي العرب الذين هم « انصار الحوار مع اسرائيل وخصوم الكفاح المسلح » و « القوى الثورية في اسرائيل » اي المابام هو التمهيد الصحيح لانهاء النزاع العربي الاسرائيلي. وتؤكد بان « المجلة دعمت ولا تزال البحث عن تسوية سلمية للنزاع » . فما الذي تقترحه من اجل هذا السلام ؟ هذا ما يجيب عنه مقال مارك هالتر : « السلام في الشرق الاوسط : محاولات جديدة » . يقول هالتر : « لقد برهنا دائما على ان السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين من جهة وبين الاسرائيليين والعرب من جهة اخرى ممكن ». ويضيف : « مع الاسف اصبح السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين صعبا نظرا لرفض كل من الطرفين الاعتراف بالحقوق القومية للاخر . لكن الرفض اكثر تصلبا من جهة الطرف الفلسطيني » . وهكذا فالفلسطينيون هم الذين يتحملون القسط الاوفر من المسؤولية نظرا لتصلبهم ! ويزعم المقال « ان الخيار المطروح هو بين سلم تفوضه القوى الكبرى وسلم ديموقراطي حقيقي يكون نتيجة لارادة شعوب المنطقة » . اي لارادة دولها .

هناك فكرة ثابتة في جميع اعداد المجلة هي الالحاح على الفصل بين الفلسطينيين والعرب . وقد اعتبرت المجلة ، كما اعتبر ذلك بعض نقاد المقاومة العرب ، ان تسلل بعض العناصر العربية « المتطرفة » الى صفوف المقاومة هو المسؤول عن عدم نمو العناصر المعتدلة والواقعية فيها .والحل السلمي الذي تقترحه المجلة يكون على مرحلتين :

التفاهم الاسرائيلي الفلسطيني اولاً ثم التفاهم الاسرائيلي العربي ثانيا . واذا كان حل النزاع الفلسطيني الاسرائيلي قد اصبح صعبا بسبب « تصلب » الطرف الفلسطيني ، فما هي افاق حل تاريخي لهذا النزاع ؟ يجيب على ذلك نعوم شومسكي استاذ علم اللغة بمعهد التيكنولوجيا بكامبريدج ، وعضو اللجنة اياها ، في مقاله : «منظور راديكالي لحل النزاع العربي الاسرائيلي». وهو يبدأ بتكذيب عنوانه قائلا : « في الحقيقة ليس في مقالي شيء من الراديكالية . وانما ساحاول ان اكون واقعيا وانسانيا » . ويستعرض عناصر التفوق العسكري والتيكنولوجي الاسرائيلي بالقياس الى الجيوش العربية لكنه يضيف استنتاجا : « ورغم هذا التفوق فاسرائيل على حد قول الكاتب الاسرائيلي تالمون تستطيع ان تكون الظافرة وتستطيع ان تبقى الظافرة الى اخر رمق من حياتها . لكن هذا التهديم الذاتي ، هو الانتحار . فبعد كل انتصار نجد انفسنا محاصرين بمتاعب جديدة ... كما ان هوة الحقد المتبادل ستتعمق وتتسع . والرغبة في اخذ الثأر ستبلغ ذروتها » . ويضيف شومسكي بان « اسرائيل باستراتيجية تصعيد الحرب تتبع فعلا استراتيجية انتحارية . لانها نستطيع ان تكسب كل نزاع الا النزاع الاخير » . والذي يضحك هو الذي يضحك اخيرا كما يقول المثل الفرنسي . ولهذا ليس من مصلحة دولة اسرائيل ان تتصلب ولا تعتمد على تفوقها الراهن الذي قد لا يدوم طويلا. وانما من مصلحتها التاريخية ان تقبل بحل سلمي يحفظ حقها في الوجود المستقل . ويقول شومسكي بان احتفاظ اسرائيل بالاراضي العربية المحتلة يشكل خطرا عليها . لانه : « كيف تستطيع الديموقراطية الاسرائيلية ـ الضمانة الاولى والجوهرية لدعم الراي العام الغربي لاسرائيل ـ ان تبقى سليمة مع تواجد مليون عربي تحت الاحتلال ، لا يستطيعون الحصول على المواطنة الاسرائيلية الكاملة لان الحكومة مصرة على الاحتفاظ باليهود كاغلبية لسكان اسرائيل » . ويضيف : « توصف اسرائيل عادة بانها الساعد الايمن للامبريالية الغربية . هذا الوصف ليس صحيحا الان . لكنه اذا استمر الوضع الراهن فانه سيصبح صحيحا في المستقبل . وعندئذ تتعرض اسرائيل لخطر خسران تعاطف اليسار الغربي معها » . ولهذا فمنطق الاشياء يفرض على اسرائيل ان تقبل بالحل السلمي . نفس هذا المنطق لكن لاسباب مختلفة يفرض على الفلسطينيين والعرب قبول الحل السلمي ايضا . ويدعم شومسكي زعمه بالحجج التالية : « ان مصر هي الاخرى تتبع سياسة فاشلة . لان التفوق الاسرائيلي ـ الذي اعتبره في اول مقاله مؤقتا وأصبح الان ابديا ـ لن يترك لها فرصة توجيه ضربة ظافرة للجيش الاسرائيلي » . ويلتفت اخيرا للمقاومة لينصحها : « المشاريع الراهنة للمقاومة لا حظ لها من النجاح . لان اسرائيل ليست الجزائر ولا يمكن قتل جميع سكانها ولا ان يرحلوا من تلقاء انفسهم » . ان هذا العرض لاستراتيجية المقاومة مغرض . فالمقاومة لم تقل يوما ولم تفكر بانه يجب قتل كل سكان اسرائيل او اجبارهم على الرحيل ! اذن ، يقول شومسكي : « ان طرفي النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني العربي باصرارهما على النضال في سبيل الاستقلال القومي يخسران هذا الاستقلال بالذات بالوقوع تحت نفوذ الدول الكبرى » . والبديل الذي يقترحه بكل راحة ضمير هو وقوع الامة العربية تحت نفوذ اسرائيل المتفوقة عسكريا وتكنولوجيا واقتصاديا !

يأسف شومسكي الى ان مبلغ ٢٥ بليون دولار انفق من ١٩٤٧ على السلاح بدلا من انفاقه على مقاومة التخلف ، كما لو كانت القوى الامبريالية ودولة اسرائيل يهمها جديا ان توظف هذا المبلغ او حتى جزء منه لمقاومة التخلف . ولم يسأل شومسكي نفسه : لماذا لم توظف مبالغ مماثلة لمقاومة التخلف في امريكا اللاتينية مثلا التي تبلغ فيها نسبة الامية ٦٥٪ من السكان ، واكثر من نصف سكانها مصابون بامراض سوء التغذية ؟

لفتة اخرى للفلسطينيين ، يقول شومسكي : « صحيح ان الفلسطينيين ضحايا ظلم تاريخي . لكننا نعترف بكل نزاهة (كذا) بان هذا الظلم لا يمكن رفعه ابدا . لان كل اصلاح له يبدو مستحيلا في نظر الحقائق الراهنة » . يتناسى شومسكي ان الحقائق الراهنة ليست ابدية . وان ميزان القوى يتغير بارادة القوى الثورية في المستقبل . وينسى انه هو نفسه يعرف ذلك تماما عندما كتب : « ان اسرائيل تستطيع ان

تكسب كل نزاع الا النزاع الاخير » . الى ماذا يريد ان يصل شومسكي من وراء هذا التخويف بحقائق الاوضاع الراهنة ؟ الى دعوة الفلسطينيين الى التخلي عن فكرة وممارسة الكفاح المسلح — هذه الفكرة التي هي بيت القصيد في المقال وفي جميع مقالات المجلة وجميع اعدادها — يقول شومسكي : « على الفلسطينيين ان يحافظوا على وجودهم . لان مواصلة الكفاح المسلح ضد اسرائيل هي استراتيجية انتحارية بالنسبة اليهم. وكصديق (يا له من صديق !) لا انصحهم بالانتحار » . ويضيف بانه : « حتى اذا استطاعت المقاومة ان تجعل من الاردن « هانوي عربية » فليس من حق هذا الاردن الثوري ان يصدر الثورة الى الاراضي المحتلة . لانه ليس من حقه ان يفرض « السعادة » على الشعب الاسرائيلي الملتف وراء حكومته » . ٥٦٪ من سكان اسرائيل على حد زعم المجلة يعتبرون ان مصر ترفض السلام الحقيقي حتى لو اعيدت اليها الاراضي المحتلة ! يستنتج الكاتب اخيرا ان الكفاح المسلح يقود الى نتيجتين « حتميتين » : اما القضاء الكامل على الفلسطينيين كمجموعة بشرية واما التهديد الجدي لوجود اسرائيل «كدولة مستقلة». وهذا يعني امكانية اندلاع حرب نووية تجعل مصير الانسانية على كف عفريت !

فما هو المخرج الذي يقترحه هذا التحليل الانهزامي ؟ « الحل الوحيد — الواقعي والانساني والتاريخي — هو تكوين دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة . هذا الحل الذي فكرت فيه بعض العناصر الاسرائيلية وتبنته مؤخرا بعض العناصر في الحكومة الامريكية نفسها » . لكن امام هذا الحل الذي يقترح شومسكي ان تفرضه القوى الكبرى تقوم بعض العقبات التي يبدو انه لا يجهلها . ولهذا فانه رغم ايمانه العميق بجدوى هذا الحل الا انه — في حال استحالة تحقيقه — يقدم « منظورا راديكاليا اكثر جرأة : « دولة فدرالية اسرائيلية فلسطينية تحافظ فيها كل قومية على استقلالها الاجتماعي والثقافي والقومي ولكنها تصبح وحدة اقتصادية » . اي دولة تحافظ فيها اسرائيل على « نقاوة » يهودية الدولة الاسرائيلية وتجد فيها سوقا هاما لشراء اليد العاملة الفلسطينية الرخيصة وبيع المنتوجات الاسرائيلية!

وعلى نفس الطبل لكن باعواد أخرى يضرب البير ميمي الكاتب الصهيوني الفرنسي في مقاله : « من اجل اعتراف صريح بالواقع القومي » . يستنكر ميمي « الاشتراكي » موقف بعض الاشتراكيين الفرنسيين « الذين وقعوا في ندوة الكويت التصريح الجنوني الذي يطالب بازالة دولة اسرائيل » . ويتساءل في مرارة : « هل هذا الموقف وليد قناعة ؟ ام هو محض تكتيك ؟ » ويجيب : « انه على كل حال تكتيك احمق بل اجرامي » . وبعد تفلسف طويل وفارغ حول المسالة القومية « التي كان ماركس يحتقرها بشدة » على حد قوله ، وبعد البرهنة على ان الامم باقية الى دهر الداهرين وان الطبقات لن تزول كما « تنبأ » ماركس ، وان المسالة القومية **لا يمكن ان تحل اشتراكيا وامميا** ، بعد كل هذه الدوشة القومية يتفرغ ميمي لشجب دعم اليسار الفرنسي للمقاومة الفلسطينية على اعتبار انها حركة تحرر اجتماعي . يأسف ميمي لهذا الدعم ويدحض « اوهام » اليسار الفرنسي والعالمي الذي رأى في المقاومة الفلسطينية والثورة العربية الاشتراكية املا لحل النزاع التاريخي القائم في الشرق الاوسط . ينكر ميمي بشدة ان تكون المقاومة حركة تحرر اجتماعي ومن ثم يستنكر تأييد اليسار العالمي لها . المقاومة في نظر ميمي حركة قومية بحتة رغم ان فيها على حد اعترافه « بعض العناصر المتقدمة اجتماعيا» . لكن البير ميمي يقول لليسار العالمي الذي يرفض تأييد الصهيونية : « ان الصهيونية هي الاخرى — واكثر في نظره بما لا يقاس من المقاومة — حركة اشتراكية تهدف الى اعادة البناء الاجتماعي لثقافة شعب » . ويعطي بن اهارون زعيم الهستدروت دعما لهذه الموضوعة الكاذبة في نفس العدد بقوله : « ان اسرائيل يمكن ان يقال عنها بانها اشتراكية لان كل الثروات الطبيعية وجميع الاراضي مؤممة ، و ٦٠٪ من الصناعة ووسائل الانتاج مؤممة كذلك. والبورجوازية لا تمثل الا بين ١٠ و ١٥٪ من مجموع السكان » . كما لو كانت الاشتراكية هي مجرد تأميم وسائل الانتاج والتبادل. وليست ازالة الاستغلال وازالة المراتب وازالة البضاعةوبالتالي زوال استغلال طبقة لاخرى وقومية لاخرى . فالاشتراكية هي على حد قول ماركس « رد الانسان الى نفسه » .

يحبذ ميمي على المدى البعيد « البعيد جداً » شرقا اوسطيا اشتراكيا متعدد القوميات او حتى بدون قوميات . اما في الحاضر فانه يقترح وباي حرارة ! « لاجتناب اراقة الدماء .. والدمار » « حلا سلميا ، ولو مؤقتا ، هو حل مرغوب فيه بل لا بديل له » . وينتقد ميمي بشدة كل الذين — عربا كانوا او اجانب — يرفضون الحل السلمي كما يقترحه قرار مجلس الامن او حتى بما هو ادنى من قرار مجلس الامن . وينعت هؤلاء « المتطرفين » بانهم « لا يبحثون بدعوتهم لحل ثوري وسيلته الاساسية الكفاح المسلح الا على العوبة بعيدة ، على حل لعجزهم امام مشاكلهم الراهنة » . هكذا يستخلص البر ميمي الصهيوني بان اعداء الحل السلمي وانصار الكفاح المسلح هم طوباويون خطرون . اما « الثوريون » حقا فهم الذين يقبلون بقرار مجلس الامن وحتى بما هو ادنى في سبيل « تجنب اراقة الدماء وتدمير شعب اسرائيل الذي تألم على مر القرون » !

من هذه النتيجة ينطلق جويدو فوبيني في مقاله : « دور اليسار في نزاع الشرق الاوسط » ، مقدما الحل السلمي على انه الوسيلة الوحيدة لاسترداد الشعب الفلسطيني لحقوقه . يقول فوبيني : « ان قبول مصر واسرائيل لمشروع روجرز شكل انعطافة نوعية وتاريخية في تطور الوضع السياسي في الشرق العربي » . لان كل مشاكل هذا الشرق لا يمكن ان تجد حلها الا في مناخ سلمي بين جميع دول المنطقة . « اذا كان احتلال اسرائيل من طرف العرب سيكون قضاء مبرما على امل وامكانية ميلاد دولة ديموقراطية علمانية يتعايش فيها العرب واليهود .. فان اعادة وحدة فلسطين تحت الاحتلال الاسرائيلي هو الامكانية الوحيدة التي ستمكن الفلسطينيين من احتلال فلسطين من الداخل لا بالكفاح المسلح بل بالتعاون الوثيق مع الاسرائيليين للعيش معا بسلام » . وعلى هذا النحو يكون اليسار الصهيوني دياني اكثر من ديان نفسه الذي عرض بهذا الصدد على الفلسطينيين عروضا اقل صفاقة !

قلنا ان احد الاهتمامات الثابتة لهذه المجلة الصهيونية هي البحث الدائم على احدى الوسائل لشد اليسار العالمي لدعم الدولة الاسرائيلية . ويتجلى هذا الاهتمام في مقال هايدمان : « اليسار الالماني واسرائيل » . والكاتب هو عضو اللجنة اياها بمدينة فرانكفورت . يتألم هايدمان لضعف اهتمام اليسار الالماني باسرائيل . ويحاول ان يقدم اسبابا موضوعية لهذه « الظاهرة الخطيرة » ويحاول ان يقدم لها علاجا : « تاريخ الامس ، غرف الغاز لم تعد حاضرة في ذاكرة الشباب الالماني . ان هذا محزن . ولكنه امر واقع . ان العنصرية في افريقيا السوداء وقصف القرى الفيتنامية ومصير اللاجئين الفلسطينيين والاختناق الذاتي الذي يسببه نمط الحياة الراسمالية هي الاحزان الحاضرة في وعي الشباب الالماني .ولهذا فعلينا ان نقوم بعمل صبور لكي نجعل الشباب الالماني يهتم من جديد باسرائيل . يجب ان نقول للشباب اليساري الالماني ان قضية الانسانية التي ما زال اليسار الالماني يدافع عنها لا يمكن التفكير فيها بدون المضمون الرائع الذي اعطته لها اليهودية . ان الفصل بين اليهودية واليسار العالمي يمكن ان يجر عواقب رهيبة عليهما معا . يجب ان لا يتخلى اليسار لحظة واحدة عن حق اسرائيل في الوجود . لان استشهاد ملايين اليهود وعزم المجموعة اليهودية في فلسطين هما اللذان جعلا من دولة اسرائيل حقيقة واقعة » .

تحتاج هذه المجلة لتزكية مثل هذه الافكار المغرقة في الرجعية ، لاقلام واصوات عربية تشارك طائعة في هذا الحوار المشبوه . وهي في كل عدد تجد اكثر من قلم وصوت عربي من داخل وخارج الاراضي المحتلة واحيانا من بعض المسؤولين في حركة المقاومة ذاتها . اما في هذا العدد فنجد زيادة عن رسائل التشجيع « نداء لقادة المقاومة الفلسطينية » وجهه محمد ابو شلباية احد محرري مجلة « القدس » في الارض المحتلة . يطالبهم فيه « باسم الوطنية والشهداء بان يشتركوا في مفاوضات السلام القادمة حتى لا يتركوا لاخرين فرصة وحق تمثيل شعبنا الفلسطيني » . وقد كانت حجة بعض الذين اشتركوا كتابة وتصريحا من العرب في هذه المجلة انهم لا يقرأون الفرنسية ولم يطلعوا على مضمونها . فهل تبقى لهم بعد اليوم حجة !

العفيف الاخضر

فلسطين في خمسة مؤتمرات

مراسلو شؤون فلسطينية :
شحادة موسى سعيد حمود
حاتم الحسيني مي صايغ جبجي
زينة ابو شديد

حلقة الاحصاءات الثقافية في البلاد العربية (في الخرطوم)

قامت « المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » في الفترة الاخيرة بنشاط واضح في المجال الثقافي ، والعمل على توحيد مظاهر هامة في الثقافة العربية انطلاقا من ان الوحدة الثقافية والفكرية ركيزة أساسية في الوحدة القومية . فقد دعت المنظمة في الاشهر الاخيرة من عام ٧١ الى « حلقة دراسية للخدمات المكتبية والتوثيق والمخطوطات العربية » في دمشق ، والى « حلقة دراسية حول العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي» في القاهرة (وقد نشرت شؤون فلسطينية في العدد الماضي تغطية لهما) واخيرا ، وبالتعاون مع «اللجنة الوطنية لليونسكو السودانية» دعت المنظمة الى الحلقة موضوع الحديث، اي «حلقة الاحصاءات الثقافية في البلاد العربية » التي عقدت في الخرطوم بين ١٨ — ٢٧ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ .

ادرجت قضية الاحصاء الفلسطيني الى جدول اعمال الحلقة بعد أن اضيفت اليه ، في الجلسة الاولى ، مذكرة خاصة حول الاحصاء الفلسطيني أعدها مركز الابحاث وحملها مندوب عنه في وفد منظمة التحرير الفلسطينية الى الحلقة . ولقد ركزت المذكرة على ثلاث نقاط اساسية : ١ — اهمية وضرورة الاحصاء الفلسطيني الشامل على مختلف الاصعدة . ٢ — ملاحظات حول واقع الاحصاءات العربية وخلوها من المعلومات الكافية عن الفلسطينيين . ٣ — المؤشرات العامة التي نريد ابرازها في الاحصاءات العربية فيما يتعلق بالفلسطينيين في الدول العربية . وطالبت المذكرة ان تقوم الحكومات العربية والجامعة العربية بواجبها في هذا المجال . وشكلت هذه المذكرة وما طرحه وفد فلسطين محور النقاش الذي جرى حول الموضوع والذي تأكدت بنتيجته عدة امور : أ — يتحتم من الناحية الوطنية والقومية الحفاظ على الشخصية الفلسطينية ، وتوفير كل ما من شأنه ابراز الكيان الفلسطيني ، كرد على الادعاءات الاسرائيلية بأن ليس هناك شعب فلسطيني ، وكرد على المحاولات المشبوهة لطمس الشخصية الفلسطينية . ب — من الضروري على الصعيد الذاتي للثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني توفر الاحصاءات السكانية الفلسطينية لان اية خطة كلية او جزئية لا بد ان تستند الى معلومات رقمية عن عدد الفلسطينيين وتوزعاتهم المهنية والجغرافية ، والواجب القومي يدعو الدول العربية الى تجاوز بعض الاعتبارات السياسية والقيام باحصاء الفلسطينيين سواء من كان يحمل منهم بطاقة خاصة باللاجئين او من يحمل — لسبب او لآخر — جنسية اخرى . ج — منذ قيام منظمة التحرير اصبح للفلسطينيين كيان سياسي معترف به بالاضافة الى كيانهم الوطني ، كما أن لهم مؤسسات ثقافية قائمة من اذاعة وصحافة ومؤسسات للتأليف والنشر ، وفرق فنية ورياضية وغيرها . ولذا فلا بد في عملية الاحصاء الثقافي من معرفة هذه المؤسسات ومدى تلبيتها لحاجات الفلسطينيين ، ومعرفة مدى توفر الخدمات الثقافية العربية في مخيماتهم خاصة. وفي ضوء ذلك صدرت عن الحلقة التوصية التالية :

« ١ — تناشد الحلقة الدول العربية باجراء احصاء

للفلسطينيين المقيمين بها وفقا لتعريف المواطن الفلسطيني كما ورد في الميثاق الوطني الفلسطيني (المادة ٦: الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون اقامة عادية في فلسطين حتى عام ١٩٤٧ سواء من اخرج منها او بقي فيها ، وكل من ولد لاب فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين او خارجها هو فلسطيني) . اذ أن الاحصاء السكاني يعتبر ركيزة لاي احصاء او تخطيط ثقافي ، وان تتولى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عرض هذه التوصية على مجلس جامعة الدول العربية لاصدار قرار بها .

٢ — تتولى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مهمة القيام بجمع بيانات الاحصاءات التربوية والثقافية الخاصة بالفلسطينيين متعاونة في ذلك مع حكومات الدول العربية والامانة العامة لجامعة الدول العربية ومكاتب منظمة التحرير الفلسطينية ومراكز البحوث الاخرى والعمل على اصدارها ونشرها » .

ان التوصية جيدة بحد ذاتها ولكنها تظل توصية، ولذا ينبغي على الجهات المقتنعة فعلا بأهمية هذا الموضوع ، والخدمات الاساسية التي يوفرها لنضال الشعب الفلسطيني ، وارسائه على اسس علمية ، ان تبادر للقيام بسلسلة اتصالات واجراءات لوضعه موضع التنفيذ . ومن المؤكد ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية تتحمل العبء الاساسي في هذا الموضوع . كما ان مسئولية اساسية في هذا المجال تقع على عاتق مراكز الابحاث الفلسطينية وعلى عاتق مكاتبنا ومؤسساتنا ومختلف تنظيماتنا ، خاصة وهي معنية اكثر من غيرها بمعرفة القطاعات التي تتعامل معها ، ولديها الامكانيات البشرية التي باستطاعتها ان تسهم في العملية .

وناقشت الحلقة عددا من القضايا المتعلقة بأمور الثقافة والتخطيط والاحصاء الثقافي وغيرها . ولا شك ان هذه القضايا والتوصيات التي صدرت بصددها هي قضايا هامة ، ان على الصعيد القطري او القومي ، وان كانت العبرة في التنفيذ. فالاحصاء الثقافي موضوع جديد بالنسبة لمعظم الدول العربية ، وهو موضوع هام لان الاحصاء عموما هو الاسلوب العلمي الذي يترجم الواقع الى ارقام ملموسة ، ولان الاحصاء الثقافي هو الوسيلة الرقمية التي تقيس مدى توفر الخدمات الثقافية ومدى استفادة الجماهير منها ، والتي تدرس البرامج او المواد التي تقدم عبر المؤسسات الثقافية المختلفة ، ورأي الجماهير بها ، ومن ثم الوقوف على قيمة وفاعلية هذه الخدمات والبرامج وملاءمتها لحاجات الجماهير وتلبية لمطالبها ورغباتها . ولقد أبرز النقاش الذي دار في الحلقة عددا من النقاط الهامة مثل : ١ — الفصل بين الاحصاءات الثقافية والاحصاءات التربوية ، على الرغم من كون المدرسة مؤسسة ثقافية ، وحصر الاحصاءات الثقافية في البرامج او المواد الفكرية والفنية التي تنمي وعي المواطن وفهمه في تعامله مع بيئته المادية والاجتماعية ، هذه المواد التي تنقل عبر مؤسسات ثقافية كالمكتبات والاذاعة والصحافة والسينما وغيرها ، واعتبار المادة الثقافية (وليس المؤسسة او الوسيلة الثقافية) هي وحدة القياس في عملية الاحصاء ، اذ ليس يكفي ان نعرف عدد دور السينما بقدر ما يهم ان نقف على البرنامج او المادة التي يقدمها الكتاب او الفيلم . ٢ — ربط التخطيط الثقافي بالتخطيط في المجالات الاخرى في المجتمع ، لان التنمية الحقة هي التي تدفع المجتمع بكل جوانب الحياة فيه الى الامام ، والتي تنطلق وتهدف الى رفع مستوى الانسان بالدرجة الاولى . ٣ — التوازن بين الريف والمدينة عند وضع اية خطة ثقافية ، اذ من الواضح ان المجتمع العربي يشهد ظاهرة تركز سكاني يرافقها تركز للوسائل الثقافية في المدن مما يجعل الريف مهملا ومعطل الامكانيات الى حد بعيد.

٤ — توحيد التعاريف والتصنيفات ووضع الاستمارة الاحصائية الموحدة على المستوى العربي « بحيث يمكن عمل الاحصاءات الثقافية المقارنة ، التي تحدد مواقع المجتمعات العربية على خريطة التطور الثقافي ، وتكشف عن المناطق التي تحتاج الى مزيد من الجهد للوصول بها الى التطور المنشود».

الا ان هناك بعض الملاحظات حول حلقة الخرطوم. لا نريد هنا ان نتعرض لتنظيم الحلقة او الوقت الطويل الذي قضاه الاعضاء دون اي عمل ، فتلك امور ثانوية قياسا بجوهر اعمال الحلقة . غير ان هناك ملاحظتين لا بد من ذكرهما . تتعلق الملاحظة الاولى بدراسة،طرحت في جدول الاعمال، بعنوان « الاحصاءات الثقافية والتخطيط » ومعدة

بتكليف من المنظمة العربية . فقد قررت اللجنة التي ناقشت الدراسة استبعادها من اعمال الحلقة لبعدها عن موضوع الاحصاء الثقافي واحتوائها اراء غريبة من الناحيتين العلمية والقومية . فهي تتحدث عن الانفجار السكاني في الوطن العربي ، وتدعو للهجرة كحل للمشكلة ، وذلك ليس صحيحا بالطبع ، اذ ان مناطق عربية كثيرة تعاني من عكس ذلك ، والتبشير بالهجرة دعوة غريبة بدون شك في وقت تسعى الدول العربية لاعادة ابنائها الذين اضطرتهم ظروف المعيشة للاغتراب ، ناهيك عن ضرورة الوقوف بوجه المحاولات الساعية لتفريغ الوطن العربي من خيرة كفاءاته . الا ان الانتقاد لا يوجه الى كاتب الدراسة بقدر ما يوجه الى الجهة التي كلفته بها وربما لم تراجعها قبل عرضها على الحلقة . والملاحظة الثانية تتعلق بالمساهمة في الحلقة سواء من حيث عدد الدول المشتركة ، وهي أقلية — السودان ، مصر ، ليبيا ، العراق، الكويت ، الاردن ، فلسطين ، سوريا — او من حيث مستوى الوفود وفعاليتها ، باستثناء الوفد المصري الذي ضم عددا من الاخصائيين . ان ذلك يعكس اما عدم الاهتمام ، او قلة الكفاءات ، وكلاهما يستدعي التوقف والملاحظة ، خصوصا ومجتمعنا بحاجة الى رعاية وتنمية كل وجه من اوجه حياته ، والوجه الثقافي تحديدا ، لانه يتعلق بالانسان العربي ، اساس التنمية واساس النهضة

شحادة موسى

المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية (في القاهرة)

عقد في القاهرة بين العاشر والثالث عشر من كانون الثاني ١٩٧٢ المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الافرو — اسيوية . لعل بعض الملاحظات والانطباعات حول هذا المؤتمر تغني عن تقديم تقرير مفصل شامل يعدد الوفود ويستعرض الجلسات واللجان ويلخص القرارات والتوصيات، خاصة اذا كانت الملاحظات والانطباعات ذات طابع نقدي يهدف الى الخروج بالمقترحات التي تمكن العمل الفلسطيني من تحقيق الاستفادة الفعلية والكاملة من مثل هذه المؤتمرات .

١ — مثلت الوفود التي حضرت المؤتمر القوى المناهضة للامبريالية في بلادها ، وكانت حشدا كبيرا جدا (٨٧ وفدا ، ٥٦ منها عضوا عاملا و٣١ مراقبا ، حوالي ٣٧٧ عضوا) . وكونها قوى ، منظمات افريقية وأسيوية ومنظمات اقليمية ودولية ومن الدول الاشتراكية ، مناهضة للامبريالية وغالبها يخوض النضال الفعلي في هذا الاتجاه ، فانها ، بشكل طبيعي ، حملت معها قضاياها الى المؤتمر وعملت على أن تجد لها حيزا في قراراته وكواليسه . وفي حشد من هذا النوع تكثر القضايا والمعضلات ولا يعود ممكنا التركيز عليها وعلى تفاصيلها ، من هنا فانه لا مناص أمام الوفود التي تريد ان تلعب دورا فاعلا ومؤثرا يسهل لها اجتذاب بقية الوفود الى قضاياها ، من أن تكون على المام واسع بحقيقة المعضلات التي تجتاح العالم الثالث . بالنسبة لكل وفد فان قضيته تقف على رأس سلم الاولويات ، وهذا أمر طبيعي ، لذلك فان الشرط الاساسي للحصول على تأييد عميق ومستمر لقضية من القضايا ، هو أن يكون صاحب القضية على وعي حقيقي بمشكلات الاخرين . لا شك في أن هذا الشرط صعب ومعقد، ولكن لا مفر من تحقيقه .

٢ — لم يكن صعبا على الوفد الفلسطيني مثلا (وفد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير). أن يحصل في قرارات اللجان المختصة (خاصة لجنة الشرق الاوسط ، لجنة الاستعمار الجديد واللجنة الاقتصادية) وكذلك في البيان العام على قسط كبير من شجب العدوان الاسرائيلي وادانة التعاون الامبريالي — الصهيوني ، ومن تأييد لقضية التحرر والكفاح المسلح وحتى تقرير المصير ، ذلك لان كافة الوفود المشتركة مناهضة بطبيعتها

وتوجيهاتها للامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة ولكافة تعبيراتها وحلفائها . ولكن هذه القرارات ، على قيمتها في مثل هذه المؤتمرات ، تبقى دون أثر عملي مباشر في غياب التفاعل الديناميكي والمستمر مع القوى التي صوتت على قبولها .

٣ — كان يمكن للوفد الفلسطيني مثلا ان يبرز بقوة وفعالية لو أنه حدد موقفا واضحا وجريئا عند بحث قضية الاعتراف ببنغلاديش (حين طرحت بحدة من قبل وفد دكا ووفد الهند في اللجنة المختصة بشأن التطورات في شبه القارة الهندية) ، مع العلم ان الوفد الفلسطيني كان الوحيد بين الوفود العربية الذي يمثل ثورة غير مقيدة بمواقف الدول ورسمياتها ودبلوماسياتها ، ولكن الوفد الفلسطيني آثر ان يتقيد باطار الحرص على ارضاء كافة الاطراف وعدم اثارة الباكستان ، وقعد متفرجا في اللجنة المذكورة . وفي اجتماعات ثنائية مع وفد الاتحاد السوفييتي ابدى المندوب السوفييتي استغرابه لموقف الوفد الفلسطيني ، وان كان رئيس الوفد الهندي (كريشنا مينون) قد أشار ، في الاجتماعات الثنائية ايضا ، الى تفهمه للموقف الفلسطيني ، الا أنه من المؤكد كان سيظهر ارتياحا وتفهما أكثر لو أن الوفد الفلسطيني حدد موقفا صريحا وجريئا بتأييد بنغلاديش والاعتراف بها .

٤ — وكذلك ، ونتيجة للاطار الضعيف الذي وضع الوفد الفلسطيني نفسه في داخله ، لم يستطع الوفد ان يستبعد من القرار (٢) حول العدوان الاسرائيلي على الشعوب العربية (لجنة الشرق الاوسط) الفقرة التي نصت على التالي : « وان منظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية لتؤيد جهود الدول العربية الرامية الى ايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ بكافة بنوده . كما ترحب المنظمة بالمقترحات البناءة التي تقدمت بها جمهورية مصر العربية وعدد من الدول العربية الأخرى بهدف البحث عن وسائل سياسية لايجاد تسوية سياسية للصراع ، وهي المقترحات التي ايدتها غالبية دول العالم والمجتمع الدولي » .

٥ — هذا لا يعني ان الوفد الفلسطيني كان ضعيفا في تركيبه (على العكس كان الوفد مؤلفا من عناصر على مستوى جيد) ، ولكن المشكلة تركزت اساسا في الاطار الذي اسر الوفد نفسه في داخله، وفي غياب المواقف المدروسة والمعدة سلفا لمثل هذا المؤتمر . وتجدر الاشارة الى ان مركز الابحاث كان المدعو الوحيد (كمراقب) من مؤسسات ومنظمات العمل الفلسطيني .

٦ — لم يكن المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية مؤتمرا قويا بشكل عام . الا ان حضور مثل هذه المؤتمرات أمر على درجة كبيرة من الاهمية والضرورة وخاصة بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، اذ يمكنها في مثل هذه المجالات ، عبر المواقف السليمة والعلمية والتحركات الذكية الهادفة ، ان تخرق جدار الحصار على صوتها ومواقفها وان تفند الادعاءات والتشويهات التي تحاول القوى المعادية زرعها ضدها في كل مجال . على ان ذلك يصبح مجديا في ظل تحقيق الشروط التالية : أ — الاطلاع الواسع والمتخصص على معضلات ومشاكل القوى التي تحضر مثل تلك المؤتمرات . ب — التسلح بالجرأة الثورية في تحديد المواقف ، دون الخوف من الاعتبارات الدبلوماسية . ج — انتقاء الوفد على اساس طبيعة المؤتمرات او الندوات ، وليس على اي اساس آخر ، د — التمكن من متابعة القضايا والمواقف التي تطرح وتحدد على امتداد الفترة التي تفصل انعقاد مؤتمر عن آخر ، اذ ان عدم الاستمرار بالاتصال الملتزم والواعي يفقد القرارات قيمتها العملية وتظل شعارات دون فعل جدي .

الدكتور سعيد حمود

المؤتمر السنوي الرابع لجمعية الخريجين العرب (في بوسطن)

عقدت جمعية الخريجين العرب الامريكية مؤتمرها السنوي الرابع في مدينة بوسطن وذلك من ٢٩ الى ٣١ اكتوبر ١٩٧١. وكان موضوع المؤتمر « العرب: مراحل التطور الحديث وفرص الاختيار في المستقبل » . وقد بحث هذا الموضوع من جميع الاوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حلقات دراسية استمرت ثلاثة ايام وقدم خلالها مجموعة من رجال الفكر والثقافة العرب دراسات علمية تحاول معالجة الواقع العربي . وحضر المؤتمر ، بجانب عدد كبير من الاساتذة العرب المقيمين بأمريكا ، عدد من المفكرين المشهورين ومنهم المستشرق جاك بيرك احد اشهر اساتذة التاريخ الاسلامي في فرنسا ، والدكتور لويس عوض المحرر الادبي للاهرام، وصبري جريس الباحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، وفواز طرابلسي المحرر في مجلة الحرية ، وارك رولو المحرر في اللوموند الفرنسية ، والسيد عبدالله الطريقي الخبير بشؤون النفط ، والدكتوران صادق جلال العظم وحنا ميخائيل منباحثي مركز الابحاثفي منظمة التحرير الفلسطينية ومن أسرة تحرير مجلة شؤون فلسطينية .

وجمعية الخريجين العرب منظمة حديثة قامت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، كمحاولة من المثقفين والمفكرين العرب في المهجر او « المنفى » للمشاركة في الدفاع عن قضيتهم العربية والمساهمة في نضال شعبهم ضد الاحتلال الاسرائيلي والاستعمار الغربي . وبدأت الجمعية بمجموعة صغيرة من الاساتذة العرب واتسعت خلال ثلاث سنوات لتشمل ما يزيد عن اربعمئة عضو يمثلون قطاعات مختلفة منها الاساتذة والاطباء والمهندسون والعلماء العرب في المهجر .

وانتجت الجمعية خلال فترة قصيرة عددا من الكتب والنشرات العلمية التي تحاول الدفاع عن قضية فلسطين والقضايا العربية المعاصرة ، منها : كتاب **المواجهة العربية الاسرائيلية** ، للدكتور ابراهيم ابو لغد ، **والمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلي** ، للدكتور نصير عاروري ، **والعالم العربي : من القومية الى الثورة** ، لعابدين جباره ، **والحرب غير المقدسة : الصراع على فلسطين** لديفيد وين ، **والعرب الامريكان** لايلين هاكوبيان ، **والحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧** لالياس ساموع . كما أصدرت الجمعية عددا من النشرات الاعلامية منها **الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين** ، **واحتلال اسرائيلي للاراضي العربية عام ١٩٦٧** . كما قامت الجمعية بنشاط واسع لمواجهة الدعاية الصهيونية من خلال برامج المحاضرات والندوات التي اشترك فيها الاساتذة العرب ، ومن خلال المؤتمر السنوي .

وعالجت ندوات المؤتمر الرابع المواضيع التالية : « الحضارة العربية والنقد » ، « قوى التغير الاجتماعي » ، « العرب المعتقلون (في اسرائيل)» ، « اقتصاديات الاستعمار » ، « الخليج العربي » ، « البحث العلمي العربي » ، « الوحدة ، التفرقة، والانقسام في العالم العربي » . ودار النقاش في هذه الندوات في جو من النقد الحاد للواقع العربي والفشل العربي في مواجهة التحدي الاستعماري — الصهيوني . كما تميز جو الندوات والمؤتمر عامة بالجدية القاتمة الكئيبة التي تعكس واقع اندحار حركة المقاومة الفلسطينية وتراجعها السريع امام الهجمة الاستعمارية والتحرك العربي الرسمي للقبول بالحل السلمي وتصفية المقاومة الفلسطينية . وذلك بعكس المؤتمرات السابقة حيث كان الجو العام يعكس التأييد الـ‌لي والمبتهج بالمقاومة الفلسطينية وما حققته من انتصارات وتقدم في العالم العربي .

وفي مجال الندوات ذكر المستشرق جاك بيرك ان العالم العربي يواجه معارك عديدة ومتشابكة هي معارك الاستقلال ، البناء الاقتصادي ، العدالة الاجتماعية ، والنهضة الحضارية . وذكر ان العرب فشلوا في كثير من هذه المعارك وخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين . وفشل العرب في تحقيق التحرر الحقيقي ومعالجة مشكلة فلسطين ولم يتعلموا من هزائم الماضي . وذكر أن العرب فشلوا في خلق توازن بين « الهام الماضي » و« تطلعات المستقبل » . واكد ان هناك ثلاثة شروط للتقييم الموضوعي وفحص الاخطاء واكتشاف الطاقات الحقيقية وهي : ا) العلاقة بين أسلوب معين لواقع محلي واسلوب القضايا الدولية ،

٢) العلاقة بين المنجزات الجزئية في حقل معين والقوى الشاملة التي تتحكم في المجتمع كله ، ٣) العلاقة بين انطلاق قوى أساسية وعلمانية ونقدها وتقييمها . واكد انه لا بد للعرب من النهوض من واقعهم الحالي ومواجهة عالم الغد بالقيم العربية الدائمه .

وفي ندوة « النقد الثقافي » وضع الدكتور جارسلاف ستتكافك الفكر العربي تحت نقد صارم شديد . فذكر ان هناك تكرارا مملا في الفكر العربي الحديث وهو تكرار الايجابية والمعرفة السطحية فالمفكر العربي الدارس في الغرب حاول ادخال افكار واساليب ومعايير جديدة على الادب العربي. وبذلك وضع المثقفون اطارا من « الايجابية » و« البناء » وظنوا ان النتائج ستاتي تلقائيا . وهكذا تحول التمرد الى تفاؤل فارغ متعال وفقد الاحساس بالواقع والنضال . واما لويس عوض فذكر ان الاحوال الموضوعية صالحة للنقاش الثقافي الحقيقي في العالم العربي الان وان هذا الحوار الثقافي يجري الان خاصة بعد حرب ١٩٦٧ . واكد ان المثقفين في مصر ادركوا ان المواجهة مع اسرائيل ليست عسكرية فقط وانما حضارية . وبذلك يجب تقوية اسس الدولة الحديثة في مصر واقامة حوار ثقافي مع العالم ايضا . وذكر ان مصر تمر بمرحلة تقييم شامل لكل معتقداتها وطرق حياتها التقليدية واكد ان اضطراب المثقفين المصريين دليل على ذلك . وذكر انه سنرى اذا ما كان هذا الاضطراب سيتحول الى فكر وعمل موضوعي وايجابي . وان ذلك يتوقف ايضا على ايجاد حل عادل لقضيتنا الحالكة .

وفي ندوة الاقتصاد الاستعماري ذكر الدكتور نعيم شربيني انه رغم محاولات التصنيع فالعالم العربي لا يزال منطقة مواد خام معظمها للاستخراج والتصدير . وذكر ان « التخلف التكنولوجي » هو السبب في ذلك ، فاستعمار العالم العربي جاء نتيجة لتفوق بريطانيا التكنولوجي . وذكر ان الاستعمار لا تزال له جذور قوية في النظام العربي الاقتصادي وان لامريكا فائضا مستمرا من تجارتها مع العرب يساوي ربع فائضها التجاري كله .

وفي ندوة الخليج العربي ذكر فواز طرابلسي ان هناك مؤامرة صمت تحيط بكفاح شعب ظفار ، وان نضال شعب ظفار المسلح خلال سبعة أعوام قابلته بعض الحكومات العربية بالكراهية وبعضها بعدم الاكتراث . وذكر ان لبريطانيا قواعد عسكرية في الصالحية ومسيرة وان هناك ٨٠٠ ضابط بريطاني مع جيوش امارات الخليج . وذكر ان الكفاح المسلح قد تطور من نضال ضد سلطان مسقط الى ثورة شاملة تتطلع لتحرير الخليج العربي بأكمله . وان تغيرا جذريا قد حدث في النظام الاجتماعي والاقتصادي ومن مظاهره تحرير المراة والتعليم وزوال النظم والقيم القبلية . واكد ان قوتين استعماريتين تتصارعان للسيطرة على الخليج : بريطانيا من خلال اتحادات الامارات العربية وامريكا من خلال السعودية وايران . وكلاهما يطمع في اقامة انظمة تابعة لحماية مصالحه الاقتصادية والاستراتيجية . واكد ان ثورة ظفار هي المخرج الوحيد لشعب الخليج ليحقق الاستقلال من كل اوجه التحكم الاجنبي ، والوحدة الوطنية الحقيقية ، والسيطرة على موارده الاقتصادية (البترول) ، والتقدم الاجتماعي .

وفي الندوات الاخرى الهامة تحدث السيد صبري جريس عن سياسة الاحتلال الاسرائيلي واثرها على عرب فلسطين وشرح صمود العرب في اسرائيل ومقاومتهم لهذا الاحتلال . وتحدثت السيدة رنده الفتال في ندوة اخرى عن دور المراة العربية في معركة التحرر وذكرت ان المراة العربية لا تزال تعيش محرومة من حقوقها السياسية والاجتماعية. وان حركة التحرر لا بد ان تساهم في تحرير المراة العربية ايضا . كما اشترك بعض زعماء السود الامريكان وقادة اليسار الامريكي في ندوة « تضامن مع فلسطين » واكدوا تضامنهم مع نضال شعب فلسطين من اجل التحرر وان هذا النضال هو جزء من النضال العالمي ضد الاستعمار والعنصرية . ومن المشتركين كورتلاند كوكس من زعماء السود ، وبول بوتيل من الحزب الاشتراكي والانسة كاثي تاكني من لجنة التضامن مع فلسطين . واقيمت ندوة مفتوحة حول المقاومة الفلسطينية اشترك فيها الاخ ابو عمر والاخت جيهان ودار النقاش حول الازمة التي تمر بها المقاومة والطريقة للخروج منها وكيفية مواجهة التحدي الاستعماري خاصة في الاردن والمنطقة العربية عامة .

واما الكلمة الرئيسية في المؤتمر فالقاها الدكتور صادق جلال العظم في حفل العشاء . وكانت نقدا

لاذعا للمقاومة الفلسطينية قدمه العظم في جو غريب مليء بالتناقضات ، وامام جمهور معظمه من الامريكان والعرب الذين حضروا الحفل للترفيه والاستماع لمقطوعات على البيانو بعد الحفل . وتأثر بالنقد الحاد مجموعة صغيرة من العاملين لدعم المقاومة الفلسطينية ، بعضهم وجد النقد جزءا من عملية الهجوم والطعن في الثورة الفلسطينية ولذلك لم يتقبل أسلوب العظم في تقديم الافكار . جاء تحليل العظم قاسيا وعنيفا ، خاصة في فترة تواجه فيها المقاومة التصفية الجسدية العسكرية. فذكر ان المقاومة وقيادتها كانت تحمل كل أوجه التفكير والحياة العربية التي قادت الى هزيمة حزيران ١٩٦٧ . وان الهزيمة امام الهجمة في الاردن في سبتمبر ١٩٧٠ تؤكد هذا الواقع . وذكر ان المقاومة هزمت لان قيادتها كانت من نفس النوع الذي قاد العالم العربي خلال العشرين عاما الماضية — القيادة البورجوازية الصغيرة شبه العسكرية . وذكر ان المقاومة خلقت على المستوى الفلسطيني نفس أساليب النضال والفكر والعمل الذي وجد بين العرب قبل هزيمة عام ١٩٦٧ . وشبه المقاومة بالبعث والناصرية ، وذكر انها كانت للفلسطينيين كالناصرية للعرب . وعدد عيوب المقاومة وذكر منها التفكير العسكري الضيق والمقاييس العددية التي قاست بها المقاومة قوتها. وذكر ان المقاومة فشلت في خلق العلاقة الثورية الحقيقية بين الجماهير وبين الحركة الثورية ، ولم تقدم البرامج المحددة الواضحة لتغير المفاهيم المحافظة لدى الجماهير التي كانت في صالح الطبقات الحاكمة والقوى المضادة للثورة .

وقد يكون الكثير من تحليل العظم صحيحا ، ولكن النقد بهذا الاسلوب ومن خلال منابر الحفلات في وقت تواجه القاومة معركة البقاء يتحول الى اداة للقضاء على المقاومة لا حمايتها . فالنقد بهذا الشكل يساعد على خلق روح اليأس ويساهم في دفع المزيد من الجماهير بعيدا عن المقاومة ، كما انه يمد القوى المضادة للثورة بالذخيرة لتبرهن على ان المقاومة كانت منحرفة من الاساس . ان تحليل ونقد العظم مطلوب ولكن ضمن اطار الجلسات الموضوعية بين الملتزمين بالثورة والتي ينتج عنها فكر موحد وعمل ايجابي لحماية المقاومة والدفاع عنها . ولقد عبر عن هذا الراي أحد أصدقاء الثورة الفلسطينية ، اقبال احمد ، بعد استماعه لخطاب العظم . كما ظهر شعور قوي بين عدد من الحاضرين بأن العظم ، وبعض مسؤولي الجمعية ، قد غالى في اظهار الاخطاء لدرجة تشويه حقيقة الدور التاريخي للمقاومة الفلسطينية . فذكر البعض ان المقاومة منذ عام ١٩٦٥ طرحت استراتيجية جديدة تخالف تماما استراتيجية الانظمة العربية ، وهي استراتيجية حرب التحرير الشعبية التي تعتمد اساسا على الجماهير المسلحة والمنظمة . وبذلك يغالي العظم عندما يضع « الفتحاوية » (كما يسميها) مع « الناصرية » و« البعثية » ، لان الحقيقة التاريخية ان الطليعة الفلسطينية نفذت استراتيجية حرب التحرير الشعبية وبالتالي اصطدمت عام ١٩٧٠ ، وقبلها ، بالانظمة العربية في معارك دموية . ومن الواضح تاريخيا ان المقاومة الفلسطينية تختلف عن الناصرية من حيث انها طرحت مفهوم تعبئة الجماهير وتنظيمها وتسليحها فعليا عن طريق مواجهه العدو الصهيوني . كما ان العظم يغالي حينما يحمل المقاومة الفلسطينية ، فوق ما تحمله ، مسؤولية تقديم البرامج للجماهير العربية وربطها بالثورة . فهذه ايضا مسؤولية الحركات العربية الثورية ومسؤولية المثقفين والملتزمين بالثورة . فالتقصير في هذا المجال ليس من جانب المقاومة فقط وانما من جانب الحركات والمنظمات العربية والمثقفين الثوريين أمثال العظم ايضا .

من الواضح ان المقاومة الفلسطينية ، كبؤرة ثورية ، لا تزال موجودة في الساحة العربية ولم تنته والصراع بينها وبين القوى المضادة للثورة يدور يوميا بأشكال مختلفة . وهذا يعني ان دور المثقفين ليس تأبين الثورة او نعيها ، وانما العمل على كشف وفضح القوى المضادة للثورة ومهاجمتها بكل الوسائل العلمية وذلك لمساعدة المقاومة في معركتها من اجل البقاء . فعلى الاقلام الملتزمة بالثورة ان تساهم في عملية حماية المقاومة في هذه المرحلة امام هجمة العدو الخارجي ، بجانب المساهمة في عملية التصحيح والبناء الثوري السليم داخل المقاومة .

اما قرارات الجمعية فكانت عامة حول موضوع الواقع العربي . فاكدت القرارات أنه لا بد من تغيير الاطر الاجتماعية والاقتصادية في الواقع

العربي وذلك من طريق تعبئة الشعب العربي للعمل الثوري الجذري . وناشدت القرارات الشعب العربي باستلام زمام مصيره بنفسه وتعبئة قواه من اجل « المحافظة على بقائه الوطني » وتحقيق اهدافه من اجل « الحرية والكرامة الانسانية » . ولم تتطرق القرارات الى موضوع المقاومة الفلسطينية ودورها في العملية . وهذا يعكس تأثر المثقفين العرب بالاحداث الاخيرة واعتقادهم ان التغيير الجذري في العالم العربي هو الطريق لتحرير فلسطين وهذه عودة الى نظرة الاحزاب العربية التقدمية بعد هزيمة عام ١٩٤٨ . مما لا شك فيه أن تغيير الاطر العربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو الطريق لمواجهة الهجمة الاستعمارية الصهيونية . ولكن السؤال المطروح هو كيف تُغير هذه الاطر ؟ وكيف تعبأ قوى الشعب ؟ المقاومة طرحت شعار حرب التحرير الوطنية وذلك بتلاحم كل القوى الوطنية من اجل تعبئة الجماهير وتسليحها ومن خلال الكفاح المسلح خلق الانسان العربي الجديد والاطر والانظمة العربية الجديدة .

كما انتخبت الجمعية العامة لجنة تنفيذية جديدة . وبقي أن تستطيع الجمعية ان تساهم بشكل فعلي وعملي في « تعبئة كل قواها وقوى العرب في امريكا من اجل دعم نضال الشعب العربي في تحقيق أهدافه من اجل الحرية والكرامة الانسانية » كما اعلنت قرارات المؤتمر . فهذا هو التحدي الذي يواجه ، ليس فقط جمعية الخريجين العرب ، وانما معظم المنظمات والاحزاب العربية التي تعلن عن قرارات هامة — كيفية نقل القرارات من حبر على ورق الى عمل ثوري منتج يستطيع خلق قوى سياسية جديدة لتحمي الثورة الفلسطينية وتدعمها.

الدكتور حاتم الحسيني

المؤتمر الثامن للادباء العرب (في دمشق)

يرى الشاعر والكاتب المسرحي الالماني برخت انه بدون خلق انماط ادبية جديدة وادخال تجديدات شكلية على الانماط الموجودة بالفعل لا يمكن للادب ان يقدم موضوعات جديدة او وجهات نظر جديدة، الى الفئات الجديدة من الجمهور .

ولا يمكن والحالة هذه الحديث عن أدب محايد ، فالاديب جزء من هذه الجماهير يعيش أحزانها وأفراحها فيكشف لها واقعها ويجسد امانيها ويستشرف مستقبل تطلعاتها . وحين تدفقت من على منبر جامعة دمشق عشرات القصائد في مهرجان الشعر العاشر ، استطاعت اسماء جديدة أن تلمع ، بل ظهرت بكل ثقة ، لانها اكثر اتصالا بالواقع وبقضايا الناس والحياة ، في حين ان بعض الاسماء الكبيرة قد سجلت خفوتا واضحا . وقد علق البعض ان الجمهور كان جمهورا سياسيا . وأقول لقد كان اهتمام الجمهور منصبا على مضمون ما كان يستمع اليه ، والى ماذا يريد كل شاعر ان يقول ، ولم يعد ثمة مجال لفصل الذات عن المضمون، ولا العام عن الخاص. ان الجمهور يريد من الشعر رؤية حقيقية تشق امامه الطريق في معركة الوجود والمصير المفروض عليه .

لقد كان شعار المؤتمر الثامن للادباء العرب « دور الاديب العربي في معركة المصير » . أما المواضيع التي بحثها المؤتمر فقد شملت: الحرية والالتزام ، التراث والمعاصرة ، الاداء والتعبير ، مشكلات التنظيم ، مطالب الاديب المهنية ، التشريعات وواقع الاديب ، العلاقات بين الاتحادات ، ثم الدفاع عن ادباء الارض المحتلة . وسنقتصر في عرضنا على موضوعين : الاول ، الدفاع عن ادباء الارض المحتلة . اما الثاني ، فهو الاداء والتعبير الفني في معركة المصير وسنخص بعرضنا بحث الاستاذ محمد دكروب من وفد لبنان لشموله ووضوحه ، اذ لا تسمح لنا هذه العجالة بالحديث عن كافة الابحاث .

ولكن قبل بدء الحديث عن التقرير المقدم من

وقد اتحاد كتاب فلسطين « الدفاع عن ادباء الارض المحتلة » ، اود الحديث عن ملاحظات ابداها الادباء حول هذا الموضوع (في ملحق الموقف الادبي) ، منها ملاحظة أبداها الاستاذ سليم بركات « ما يدهش فعلا هو موضوع الدفاع عن ادباء الارض المحتلة .. اذ كيف يجوز الفصل بين شعب وبين ادبائه ، وماذا يعني الدفاع عن ادباء الارض المحتلة بينما تتأتى الحقيقة من الدفاع عن شعب كامل ، اخشى ان يتحول المؤتمر الى منشورات سرية على جدران اسرائيل على طريقة نزار قباني او ان يتحول الى خطب حماسية من جديد تردد وتستنكر » . ويقول الاستاذ زهير غانم « اعتقد ان على المؤتمر الثامن للادباء العرب ان يناقش فكرة الدفاع على اي أديب مضطهد في العالم لا عن ادباء الارض المحتلة فعلا » . وأرد على هاتين الملحوظتين بملاحظة ثالثة للاستاذ اسكندر لوقا : « ليس الدفاع عن أدباء الارض المحتلة بمسألة محلية بحتة وأرى ان يلجأ المؤتمر الى تدعيم صلاته باتحادات الدول الاجنبية الصديقة .. ذلك ان المسألة بالنسبة الينا تنبع من احساسنا بكون هؤلاء الادباء جزء منا لا يتجزأ ومع يقيني بأهمية نقل تصورنا عن واقع هؤلاء الادباء في السجن الكبير المسمى اسرائيل الى الراي العام العالمي الا أنه ينبغي لنا نقل هذا الراي العام من نقطة التأثر الى نقطة البدء بالتحرك ليس دفاعا عنهم كادباء فحسب وانما كمواطنين عرب يعيشون في ظل تسلط استعماري هدفه تذويب الشخصية العربية في الارض المحتلة » .

وقد تضمن تقرير « الدفاع عن ادباء الارض المحتلة» عدة نقاط هامة اولا : ان الدفاع عن هؤلاء الادباء لا يعني اشخاصهم وانما يعني ادبهم قبل كل شيء .. وليس أدبهم سوى رافد صغير من روافد النهر الكبير للادب العربي المعاصر ، وهو الى ذلك رافد جد صغير ايضا من روافد الادب العالمي المندرج تحت لواء الواقعية الاشتراكية .. وفي تقييم الدور الفعال الذي يتمتع به ادب الارض المحتلة يؤكد البحث ان نماذج هذا الادب قد تميزت بالوضوح والصراحة والشجاعة واحترام الكلمة ، الامر الذي حدا بالنقاد أن يجمعوا على أنه أدب صادق . ولكن هذا الصدق لم يكن ليصدر عن أدب غير ملتزم . أن ادباء الارض المحتلة هم من المثقفين الثوريين . ولكن ذلك هو الذي جعلهم هدف الاضطهاد الاول في الارض المحتلة . وان انقطاع الصلة بينهم وبين اخوانهم من ادباء الاقطار العربية الاخرى لأقسى على نفوسهم من التعذيب والاضطهاد. ويتساءل البحث « ما الذي يمكن ان نفعله في معرض الدفاع عن أدباء الارض المحتلة ؟ » ويجيب بكل وضوح « لا نستطيع مع الاسف عمل الكثير عن طريق الحملات العالمية ، وقد لا يكون من العملي تقديم أية معونات شخصية لهم كأفراد ». ثم ينتهي بعد ذلك الى القول ليس سوى أن نعينهم أولا على حمل الراية التي يحملونها داخل الارض المحتلة ثم أن نعمل هنا ثانيا على حمل نفس الراية في الوطن العربي خارج الارض المحتلة .. وان الامرين كليهما ليتمان معا عن طريق التعريف على النسيج الحقيقي الذي صنعت منه تلك الراية . وهو فهم روح العصر والتفاعل معها تفاعلا تاما .

اما البحث الثاني فهو الاداء والتعبير الفني في معركة المصير . ويؤكد البحث على ضرورة نظرتنا

١ — الى الاشكال والانواع والاساليب وما اصطلح على تسميته الاداء والتعبير الفني من خلال الدور الذي تؤديه أو يمكن لها أن تؤديه في معركة المصير العربي .

٢ — مسألة التفاعل والتواصل بين الادب والثورة، ذلك التفاعل المتبادل بين النتاج الادبي والقوى الاساسية البشرية للثورة . وهذا التفاعل بدوره بحاجة الى رفع المستوى الثقافي للجماهير من جهة ثم ضرورة ان يمتلك النتاج الادبي امكانية الوصول في مرحلتنا هذه الى الذين يقرأون ويطالعون الادب. ان دخول الادب الى وعي الجماهير هو بالضبط ما نفهمه من اسهام الادب في حركة التاريخ . ليس تاريخ الادب فقط بل تاريخ حركة تقدم الشعب نحو الحرية .

٣ — ان دراستنا لاشكال الاداء والتعبير الفني في الادب العربي ومدى قدرتها على الاسهام في معركة المصير ، يجب أن تتم من دراسة النتاج الادبي نفسه وبالتحديد من خلال نتاج الادب العربي في السنوات العشر الاخيرة ، لان هذا الادب قد أحدث ثورة في مختلف الاساليب الفنية والاشكال والمضامين وذلك كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتغييرات والاحداث العنيفة التي هزت المنطقة .

٤ — الشكل او التعبير الفني الذي ينهض حاجزا بين العمل الادبي وبين وعي الجمهور له بسبب

من الغموض او التعقيد او الاغراق في الرمز محكوم عليه في مرحلتنا هذه ان لا يتمكن من اداء دوره في معركة المصير .

٥ — الادب الاصيل هو اكتشاف ما لم يعرفه الجمهور من قبل وما هو أصيل اذا لم يتح الان له الوصول الى الجمهور بسبب غرابته وغموضه وتعقيده فانه يبقى فنا أصيلا له دوره في عملية تطور الحركة الادبية ، وسيصل حتما الى الجمهور عندما تتاح له القدرة الثقافية على استيعاب هذا الجديد . ان هذه الحقيقة لا تعني ولا يمكن لها ان تعني ان هناك تعارضا او تنافيا مطلقا بين المعاصرة والحداثة والغرابة في الاداء والتعبير الفني وبين امكانية الوصول الى جمهور القراء العريض في مرحلتنا الحالية . ثم يخلص الى نتيجة وهي ان الفنان الاصيل يستطيع ان يوازن بين المعاصرة وبين ضرورة الوصول الى الجماهير خصوصا اذا انطلق اصلا من موقف الايمان بضرورة هذا الايصال وضرورة ان يؤدي العمل الفني دوره في المعركة الشرسة التي تجابهنا الان جميعا على مختلف الاصعدة الوطنية والفكرية معا .

٦ — دور الناقد هو تحديد الخصائص والميزات الادائية والتعبيرية والبنائية لهذا الادب واستخلاص القوانين الداخلية لحركة تطوره وتكون هذه القيم التشكيلية والتركيبية ثم ايصاله الى القراء وتعويدهم على رؤية المفاتيح الجديدة للعمل الفني الجديد .

٧ — لا شك أن الموجة التجديدية التي تقيم العالم والتي تختلط فيها الفوضى بالخزعبلات تمارس تأثيرا كبيرا في أذهان معظم الكتاب والفنانين عندنا . وهذا أحد وجوه الغموض والتعقيد والإغراق في الرمز واليأس والانسحاق والاجواء الكابوسية المأساوية .. اما الاساس في ذلك فنابع من ضرورات واحداث موضوعية تجد تفسيرها في أوضاعنا العربية المأساوية على مدى الستينات .

٨ — الادب يوحي ولا يخطط ، ولكننا لا نسكت عن ايحاء موجة الادب الاجتماعي الغاضب بأن الطريق مسدود .

٩ — ان الوعي بجوهر معركة المصير ، والوعي الضروري كذلك بحركة المجتمع وعلاقاته صارت من البديهيات التي يجابه الكاتب أي كاتب في عصرنا، وظهرت تلك الاعمال التي تتميز « بفكر فني » . ويخلص الكاتب الى أن الادب لا يبقى عند حد معين .

فادب الخمسينات قد عبر عن مرحلة الصمود والانتصارات رغم أنه اهمل التخلف الروحي والثقافي والاجتماعي للجماهير . وأدب الستينات تحدث عن الكبوات والتخلف الروحي والثقافي وظاهرات القمع والارهاب . ولذلك فانه يتطلع الى تباشير مرحلة جديدة نابعة من ضرورات الحياة وحركة الادب وضرورات معركة المصير بالدرجة الاولى . ادب مقاوم حقيقي يملك امكانية الوصول الى الجماهير والتأثير الفاعل داخل وعيها .. يكون هو التجلي الفني لصوتها ولقدراتها الخارقة الفاعلة والفائقة الغنى .

هذا وفي حديثنا عن المؤتمر لا بد من الاشارة الى مشروع القانون الذي احيل الى مجلس الشعب السوري والذي يقوم اتحاد الادباء بموجبه بدوره في اجازة نشر المؤلفات الادبية ، ويصبح من حقه تفريغ بعض الكتاب لصالحه لمدة سنة قابلة للتمديد مقابل انتاج فكري يقوم به الكاتب على ان يظل له الحق في تقاضي مرتبه كاملا وعلى أن يتقاضى مكافأة مالية مقابل الانتاج الفكري الذي يقدمه . وخصص للاتحاد اعانة سنوية في ميزانية وزارة الثقافة وخصصت له قطعة أرض مناسبة لاقامة بناء للاتحاد كما خصص مبلغ مائة الف ليرة سورية نواة لرأسمال جمعية سكنية لاعضاء الأتحاد .

مي صايغ جبجي

المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني (في بيروت)

شكل المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي اللبناني الذي انعقد من ٧ الى ٩ كانون الثاني في بيروت ، تجمعا ضخما للاحزاب الشيوعية والتقدمية في اوروبا وآسيا والعالم العربي ، فقد التقى فيه الاتحاد الاشتراكي والبعث السوري والعراقي الى جانب الاحزاب الشيوعية العربية وفصائل المقاومة الفلسطينية ، وذلك بدعوة من تنظيم سياسي عربي ليس في الحكم .

على صعيد البرنامج شدد الحزب الشيوعي اللبناني على ضرورة العمل في الريف اللبناني حيث لا يزال انتشاره ضعيفا . فقدم دراسة عن وضع المزارعين وعلاقات الانتاج في الريف . وشدد على ضرورة العمل في أوساط المزارعين المتوسطين والفقراء والعمال الزراعيين . ان معظم عناصر الحزب من المستخدمين والطلاب والمثقفين ، ولا تزال نسبة التعبئة بين العمال والفلاحين أقل نسبيا . فقد طالبت منظمات بوضع خطة زمنية متكاملة في هذه الميادين ، تجنباً للقفزات والنشاط الظرفي . ولعل ابرز نقطة تغير في مسيرة الحزب تحوله الى حزب جماهيري والدخول في اللعبة البرلمانية ، بما يتطلب ذلك من خوض معارك الانتخابات النيابية ، وايصال ممثلين شيوعيين الى المجلس النيابي . وهو يعتبر ان وجود ممثلين له في المجلس يشكل وسيلة ضغط على النظام لتحقيق المزيد من التراجعات لصالح الحركة الشعبية ، وسيمهد للثورة الديمقراطية الوطنية. ان احدى مخاطر هذا التحول هو ان ينصب مجهود معظم اعضاء الحزب الى العمل الانتخابي السطحي ، ويتفوق على العمل الثوري الطويل المدى والشاق مع القواعد الشعبية .

علقت الوفود العربية أهمية كبرى على كون مؤتمر الحزب الشيوعي اللبناني مناسبة التقى فيها معظم القوى الشيوعية والتقدمية العربية . فدعت الوفود العربية في مداخلاتها الى توحيد القوى التقدمية والشيوعية العربية في هذه المرحلة التي تشهد تراجعا في حركة التحرر العربية أمام الهجمة الامبريالية الصهيونية .

قدم الحزب الشيوعي اللبناني في تقرير اللجنة المركزية تحليلا للوضع السياسي العربي ولنشاط الحزب في هذا الميدان خلال السنوات الثلاث الماضية . وقد حدد التناقض الرئيسي في المنطقة على انه « بين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة وبين حركة التحرر العربية من جهة أخرى » وطالب القوى التقدمية العربية باتخاذ « موقف واضح وصريح ضد المستعمرين ولا سيما المستعمرين الاميركيين ، اسياد اسرائيل وشركائها في العدوان على البلدان العربية » ، ثم دعا الى « تدعيم التحالف مع البلدان الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي » . ودعا الى « وحدة القوى الوطنية والتقدمية المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية في كل بلد عربي ، وعلى الصعيد العربي العام » . ثم توقف الحزب مطولا عند الانظمة التقدمية العربية ، والقضايا المرتبطة بالوحدة العربية ، فقيم ايجابيا « خطها العام المعادي للامبريالية » وشدد على انها « لا تزال هدفا رئيسيا للعدوان الاستعماري الاسرائيلي » ثم انتقل البرنامج السياسي للحزب الى نواقص هذه الانظمة ، واهمها : « انفراد ممثلي البرجوازية الصغيرة في السلطة وطبيعتها المزدوجة » ، « فالهجمة الامبريالية الشرسة واستمرار الاحتلال الاسرائيلي اوجدت الامكانيات لانتعاش الاجنحة اليمينية داخل البرجوازية الصغيرة ، وانتهاز سياسة مساومة مع المستعمرين وتقديم التنازلات لهم » . ودعا اخيرا التقرير الى « عزل الاتجاهات اليمينية في الانظمة التقدمية والنضال من أجل اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير الكادحة . » وبعد ان اتخذ موقفا مبدئيا مؤيدا للوحدة العربية لانها « تعبر عن تطلعات جميع الفئات الشعبية الطامحة للتقدم الاجتماعي والاقتصادي » ، رحب الحزب الشيوعي بقيام الاتحاد الثلاثي . لكنه ابدى تحفظات حول المواقف المعادية للديمقراطية التي اتخذتها الاجنحة اليمينية في الاتحاد ، ودعا الاتحاد « ليكون قاعدة لتجمع كافة القوى الوطنيه العربية في المعركة ضد الاستعمار والعدوان » .

قبل أن نأتي الى موقف الحزب من حركة المقاومة لدينا ملاحظتين حول موقف الحزب وتحليله للوضع العربي والانظمة التقدمية . اولا حدد الحزب التناقض الرئيسي على انه بين حركة التحرر العربية من جهة والامبريالية والرجعية والصهيونية من جهة اخرى . واذا استثنينا الشجب الشديد

للامبريالية الاميركية والرجعية والصهيونية ، لم يرد لا في المؤتمر ولا في البرنامج اي تحليل لطبيعة السيطرة الامبريالية على المنطقة العربية عامة وفي لبنان خاصة ، ولعلاقتها مع الرجعية ، وهذا بالرغم من تأكيد الحزب الشيوعي على انهما يشكلان مع الصهيونية العدو الاساسي ، وهم في تناقض رئيسي مع حركة التحرر العربية . فكيف يمكن محاربة عدو لا يعرف بشكل عام ؟

ثانيا حول طبيعة الانظمة التقدمية . يعترض بعض المحللين التقدميين على وصف هذه الانظمة بانها تمثل سلطة البرجوازية الصغيرة وبالاخص في مصر . اذ لا يشكل وجود بعض الافراد ذوي المنشأ البرجوازي الصغير في الاجهزة التنفيذية للدولة تمثيلا فعليا لطبقة واسعة وغير متجانسة (من صغار الرأسماليين الى الحرفيين وصغار التجار والفلاحين) ، ويتخذ قطاع واسع منها موقفا رادكاليا تجاه النظام القائم . ويقول هؤلاء المحللون ان الانظمة التقدمية تمثل بشكل عام تحالفا بين البرجوازية البيرقراطية (غالبا من منشأ عسكري) والبرجوازية الريفية الجديدة الصاعدة، ورأسماليي القطاع الخاص . وان الطرف البيرقراطي في التحالف لا يزال مهيمنا ويحاول الاستناد في صراعه مع الاجنحة الاخرى على القاعدة الواسعة للبرجوازية الصغيرة والفئات العليا من الطبقة العاملة .

اما بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، رأى الحزب الشيوعي اللبناني فيها « جزءا من حركة التحرر العربية » . واكد الحزب على ان موقفه من المقاومة « ظل ثابتا منذ قيامها ، ولم يتأثر بحركة المد والجزر حول المقاومة » ، لكنه « اكد بجراة على المسؤولية التي يتحملها الشيوعيون في عدم تأديتهم منذ البداية دورا اكثر ايجابية في هذه الحركة » . انطلاقا من هذا الموقف نظر الحزب الى اخطاء المقاومة « سواء تلك الاخطاء البنيوية الناشئة من تركيبها البرجوازي الصغير ، او تفشي ظاهرة العداء للشيوعية بين بعض فصائلها ، او وقوعها في الاغراءات المادية للرجعية العربية ، ام تلك الممارسات الخاطئة الستراتيجية والتكتيكية ». ثم عارض الحزب المواقف الانتهازية اليمينة و« اليسارية » في هذه الحركة والتي تلتقي على الفصل بينها وبين حركة التحرر العربية « سواء بتفريغها من المحتوى التقدمي والمعادي للاستعمار ام بمحاولة تحميلها اكثر من طاقتها واظهارها كطليعة لحركة التحرر العربية واحيانا كبديل عن هذه الحركة ، وليس كجزء منها . » وانتقد الحزب الشيوعي « التقديرات الخاطئة لقادة المقاومة في لبنان وموقفها بالانجرار وراء شلل « اليسار » المغامر والاتكال عليه واتخاذه بديلا عن الحركة التقدمية الحقيقية ذات الوجود الفعلي » . لكن رغم هذه النواقص ، شدد الحزب على الجوهر التقدمي والمعادي للاستعمار الذي تمثله حركة المقاومة ودعا الى وحدة فصائلها . وربما يعبر التصفيق الحار للمقاومة ، الذي كان يتكرر بشدة كلما جاء الكلام حول تأييد المقاومة ، عن تضامن الشيوعيين العميق مع المقاومة في هذه المرحلة .

لدينا بعض الملاحظات حول موقف الحزب الشيوعي من المقاومة : يرى الحزب ان اخطاء المقاومة ناشئة من تركيبها الطبقي البرجوازي الصغير . نلاحظ في هذه المرحلة ان معظم الانتقادات التي تطلقها فصائل حركة التحرر العربية على بعضها بعضا ، وخاصة الفصائل الاكثر يسارية يقتصر على اتهامها بالبرجوازية الصغيرة ، دون البت بالتفاصيل . ان هذا الاتهام بالبرجوازية الصغيرة، وان كان صحيحا ، يصبح شبيها بالاتهامات الاخلاقية ، عندما يفتقر الى مضمون تحليلي .

أدان الحزب الشيوعي بعض الممارسات الخاطئة التكتيكية والستراتيجية لحركة المقاومة دون ان يحدد مضمونها . نجد هنا ايضا تقصيرا في التحليل. ثم تطرق الحزب الى « القضية الرئيسية التي تواجه حركة التحرر العربية في الظروف الراهنة ، قضية النضال لتصفية آثار عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ » الذي كان « هدفه الاساسي ضرب حركة التحرر الوطني العربية وتصفية المكتسبات التي حققتها الانظمة التقدمية ، وضرب الصداقة العربية السوفياتية » . ورفض الحزب موضوعة بعض قوى حركة التحرر العربية « التي ارادت ان تشق الحركة على اساس الموقف من قرار مجلس الامن او الحل السياسي ، معه او ضده » . واكدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي « ان تصفية آثار العدوان كمهمة اساسية في المرحلة الراهنة لا يتناقض كشعار مع النضال من اجل استرجاع حقوق الشعب العربي الفلسطيني

القومية » . وهذه المهمة اي « تصفية آثار العدوان » ، تتطلب قبل كل شيء « تعزيز القدرة القتالية للدول العربية التقدمية ، والتنسيق فيما بينها ، وتجنيد الجماهير وتنظيمها وحشدها في المعركة ، ودعم المقاومة الفلسطينية والتنسيق معها . » وشدد الحزب على ضرورة « انتهاج سياسة حازمة معادية للاستعمار والاستعمار الاميركي خاصة ، وضرب مواقعه الاقتصادية والسياسية في المنطقة » .

اما بالنسبة لمشروع روجرز الذي اعقبته مجازر أيلول ووفاة الرئيس عبدالناصر ، فقد «بادر الحزب الى فضح أهداف المشروع الاستعماري والنوايا الخبيثة للاستعمار الاميركي من وراء طرحه » . لكن الحزب حذر في نفس الوقت من خطورة تحويل المعركة ضد مشروع روجرز الى معركة بين فصائل حركة التحرر العربية « وبالتالي المساعدة على تنفيذ أهداف المشروع الاستعماري الاساسية » . ورأى الحزب ان نتيجة الانقسام الذي وقع داخل حركة التحرر العربية نجحت الهجمة الامبريالية في توجيه ضربات الى حركة التحرر العربية ، كانت أولها مجازر أيلول في الاردن ، ثم مجازر السودان. ودعا الحزب الى النضال بجميع الوسائل لوقف هذه الضربات . وأدرك ان المرحلة القادمة في حركة التحرر العربية ستكون خطرة ، لذا دعا كل الفصائل في هذه الحركة مهما كان بينها من تناقضات ثانوية الى ان تركز نشاطها ضد عدو واحد هو الاستعمار والصهيونية والرجعية .

وفضح الحزب اتجاهين هما « المساومة مع اميركا ورفع شعار قومية المعركة بمحتوى رجعي » ، كما فضح « الاتجاه اليساري المغامر الذي يدعو الى اصطناع المعركة داخل حركة التحرر العربية بين قوى طبقية لها مصلحة في التحالف اي بين البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة » .

واخيرا دعت اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي اللبناني « كافة القوى التقدمية العربية المتمثلة في المؤتمر الى ندوة مفتوحة لبحث قضايا التعاون وايجاد برنامج عمل مشترك لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية ، من اجل استعادة الاراضي العربية المحتلة ، ومن اجل نصرة نضال الشعب العربي الفلسطيني » ، وذلك تمهيدا لوحدة حركة التحرر العربية على اساس برنامج عمل موحد . وقد لبى هذه الدعوة جميع الوفود العربية المشاركة في المؤتمر : الاحزاب الشيوعية العربية، البعثان العراقي والسوري ، الاتحاد الاشتراكي في مصر وسوريا ، الحزب الديمقراطي الكردستاني، جميع فصائل حركة المقاومة ، الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان واتحاد نقابات عمال فلسطين ، والجبهة القومية في اليمن .

زينة ابو شديد

صدر حديثا عن مركز الابحاث

تهويد فلسطين

تحرير : **الدكتور ابراهيم ابو لغد**

ترجمة : **الدكتور اسعد رزوق**

٤١٣ صفحة من الحجم الكبير ٨ ل.ل.

ست رسائل اعلامية من الخارج

الرسالة الاولى : من طالب يونس

الراي العام العالمي والمجابهة العربية الصهيونية منذ ١٩٦٧

سنحاول في هذا التقرير ملاحظة التحولات الاساسية في الراي العام العالمي فيما يتعلق بالمجابهة العربية الاسرائيلية منذ عدوان حزيران وسنعطي اهتماما خاصا للتحولات في كل من المملكة المتحدة وفرنسة والولايات المتحدة . ومن المهم قبل تناول ذلك ان نحاول ابراز الصورة العامة لدى الفرد الغربي العادي عن العرب والاسرائيليين : ان الغالبية العظمى من الاميركيين مثلا عديمة الاكتراث الى درجة مدهشة بالعرب وتراثهم . ان غالبية الاميركيين لا يعرفون سوى القليل عن الشرق الاوسط ، والذين يبدون اهتماما بذلك منحازون عاطفيا الى اسرائيل . يقول سفير اميركي سابق في عاصمة عربية كبيرة « ليس بامكاننا ان نفعل شيئا حيال هذا التحيز . انه الاحراج الكبير للسياسة الرسمية في الشرق الاوسط »[١]. اما اذا كانت الحكومة الاميركية محرجة فعلا نتيجة لهذا التحيز ، فان ذلك أمر اخر ، ما يهمنا هنا هو الشكل المادي الذي يعبر به هذا التحيز عن ذاته . ان الاميركي العادي لا يكتفي باعلان مشاعره الودية نحو اسرائيل ولكنه « يستجيب سلبيا للصورة التي في ذهنه من العرب كسكان صحراء متخلفين ، وبرابرة قساة »[٢]. ولقد قوي هذا التصور من خلال الصورة الرومانسية التي دأبت شركات الافلام الغربية على اظهار العربي بها « كشيخ بدوي فاتن يرتدي ثيابا فضفاضة وكوفية مزركشة وهو يجوب الصحراء الامنة »[٣]. وحسبي ما يقول احد الكتاب الغربيين فان هذه الصورة المبهمة عن العرب تنغرس في شعور الفرد الاوروبي اثناء سنوات الدراسة . « كنا نميل الى الخلط بين الاتراك والعرب ، وبين العرب والمسلمين . لقد نظرنا الى الحروب الصليبية على انها ببساطة هجمات ضد العالم العربي . وفيما بعد اصبحت الامبراطورية العثمانية بالنسبة لنا جزءا من العالم العربي ذاته. وبالنسبة للاوروبي العادي ان العثمانيين والسلاجقة جميعهم عرب »[٤]. ان الصورة البادية هنا بعيدة عن اية مواربة . ولقد تجاوز احد الكتاب الاوروبيين الحدود الى درجة كبيرة ليبرهن ان العربي (او الفلسطيني العربي) هو ذلك الرجل الذي يحتفظ بعدة زوجات والذي « يعتقد بأن المراة مجرد جسد ويأكل القطط والفئران »[٥].

ان محاولة تعديل مثل هذه الصور تصطدم بحقيقة ناجمة عن ان لدى العرب خلفية ثقافية ولغوية

---

١ — Don Cordtz, ***But what Do We Do About the Arabs ?*** M. P. Khadduri (editor), The Arab-Israeli Impasse. R. B. Luce, INC. Washington 1968. p. 125.

٢ — المصدر السابق .

٣ — راجع ميشال سليمان : **العرب والغرب . فجوة في التفاهم** . منشورة في «مقالات في الراي العام الاميركي والمسألة الفلسطينية » صادرة عن مركز الابحاث ، بيروت ، شباط ١٩٦٩ . ص ١٥ — ١٦ .

٤ — الاب جان كوربون : **الراي العام الغربي والازمة الفلسطينية** . جمعية الخامس من حزيران ، بيروت ، شباط ١٩٦٩ . ص ١٠—١١

٥ — راجع خالد تشطيني : **الحكم غيابيا** . مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٤٥ .

ليست مألوفة ابدا لدى الاوروبي والاميركي . وهذا من شأنه ان يشكل عائقا مانعا في وجه محاولة رأب الصدع العادي في التفاهم بين العرب والغرب. هناك تهمة شائعة ان اللغة العربية ، بالرغم من جمالها الفريد ، تساهم في « غموض فكري عام »، وتؤكد اكثر من اللازم على الاهمية السيكولوجية للرموز اللغوية وذلك « على حساب المعنى، وللمبالغة »[٦]. وصفة المبالغة اللغوية العربية هذه غريبة تماما عن العقل الغربي[٧].

وتستغل المحافل المؤيدة لاسرائيل التصريحات الرسمية للزعماء العرب عن الجهاد ضد اسرائيل بصورة اوتوماتيكية وتقدم للقارىء الاوروبي العادي على انها تهديدات شريرة من جانب العرب لابادة اليهود . وبهذا الشكل يوضع الحاجز اللغوي في خدمة رجال العلاقات العامة الاسرائيليين وتنغرس في ذهن المواطن الغربي العادي عقبة جدية في وجه تفهم القضية العربية . وفي البداية كان للقضية الاسرائيلية ميزة اخرى حقيقية ولها اثرها وان كان من الصعب البرهنة عليها . وتمكن رؤية ذلك في الشعور اللاواعي للاوروبي العادي والذي يجعله يحس بالولاء لاسرائيل وبهذا المعنى فان اسرائيل تمثل الصورة الذاتية غير اليهودية التي يحملها الاوروبي عن نفسه . انه يرى في اسرائيل و« انجازاتها » تأكيدا لذاته وطاقاته ، يرى فيها شيئا أوربيا يعتز به . اما العامل الاهم والذي يقرر الى حد كبير نتيجة حرب العلاقات العامة في الغرب بين القضية العربية والاسرائيلية فهو وجود منظمات يهودية قوية تنشط بالنيابة عن اسرائيل ، وغياب اية منظمات فعالة تدعو للقضية العربية وتؤثر جديا في الرأي العام الغربي. وتخدم المنظمات الصهيونية في الغرب اسرائيل كذلك باللعب على عدم قدرة الغربي العادي على التمييز بين ما هو يهودي وما هو صهيوني او اسرائيلي . فالمنظمة الصهيونية العالمية ، على سبيل المثال ، تعتبر نفسها كيانا يمثل « يهود المنفى » الذين يتمثل عملهم الرئيسي في تشجيع وتقديم كل مساعدة ممكنة للمهاجرين كي « يعودوا الى صهيون »[٩]. ومثل هذا الارتباك يقدم ميزة قوية للصهيونيين ولاسرائيل. وحيث ان « الدولة الصهيونية » تعرض دائما على انها « الدولة اليهودية » الاسطورية فان مطلب اسرائيل بالدعوة الى يهودية عالمية يكتسب سلاحا جديدا . بكلام آخر ، ان انتقاد سياسة اسرائيل هو انتقاد للسياسة اليهودية ، واي انتقاد كهذا يمكن ان يعزى دوما الى الكراهية الموجهة ضد اليهود او الى اللاسامية . وكما يقول الاستاذ ماكس بلوف فان اي شيء يبدأ كانتقاد ضد اسرائيل « لا يمكن الا ان ينتهي على انه حملة ضد التأثير اليهودي في الحياة العامة . والمسافة من هنا الى قصة اللاسامية المعتادة ليست سوى خطوة صغيرة ومع ذلك فان بعضهم لن يفعل ذلك حفاظا على مكانتهم»[١٠]. وفي تقريره عما يعتبره موقفا رسميا قويا مؤيدا للعرب في فرنسة ، ذكر مراسل الجويش كرونيكل في باريس « ان اليهود الفرنسيين قلقون من الوضع وهناك خوف من ان تتحول المعارضة للصهيونية الى عداء للسامية . وهناك علامات تشير الى ان هذا قد بدأ فعلا »[١١]. وعندما وجه وزير داخلية بولندي سابق هو ميشيسلو موزار ، انتقادا قويا ضد قبول اسرائيل لتعويضات المانية الغربية ، اوردت الجويش كورنيكل الخبر تحت عنوان « خطاب لاسامي حاد » يتضمن « تعابير قاسية ولاسامية ضد اسرائيل »[١٢].

وفي الوقت الذي تكون المنظمات الصهيونية جاهزة لاظهار اي انتقاد لسياسات اسرائيل على انه

---

٦ — انظر ميشال سليمان ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

٧ — المصدر السابق .

٨ — المصدر السابق .

٩ — من الجهة الاخرى فان المجلس الاميركي لليهودية منظمة لا صهيونية تحارب لحماية القيم اليهودية من الصهيونية .

١٠ — Max Beloff *Jewish Chronicle,* November 21, 1969, p. 7.

١١ — راجع الجويش كرونيكل ٥ كانون الاول ١٩٦٩ ، ص ٧ .

١٢ — جاء في خطاب موزار « انه لوضع لا يصدق ان يقوم هتلر يوم الامس بدفع كمية من الدولارات عن الجرائم التي ارتكبت في الحرب العالمية الثانية ضد اليهود في عدد من الدول الاوروبية ، وخاصة في بولندة حيث أبيد ثلاثة ملايين يهودي » . الجويش كرونيكل ، ٦ حزيران ١٩٦٩ .

تعبير عن لاسامية غير اليهود ، فان غياب محافل عربية فعالة في الغرب يشكل فرصة ثمينة للكتاب المؤيدين لاسرائيل او للمعلقين الصهيونيين لكي يطعنوا القضية العربية الى اقصى مدى . ففي اعلان تلفزيوني تجاري لتقديم دعاية لنوع من البسكويت قام الممثل بتمثيل دوره بلكنة يهودية . « ولكن سرعان ما ارتؤي انه لتجنب اية اساءة الى اليهود يجب ان يتكلم الممثل بلكنة اسكتلندية او عامية او بأي لكنة اخرى ما عدا اللكنة اليهودية »(١٣). وفي المقابل قام بري همفريز في برنامجه التلفزيوني الكوميدي بالهزء من العرب ووصفهم « بالكلاب المجنونة » ، كما اضحك ديفيد فروست مستمعيه بنكتة تقول « قامت القوات الجوية المصرية اليوم بالطيران ولم تلاق اية مقاومة ، تبين فيما بعد ان نصف القاهرة كان دمارا »(١٤). وفي الايفننج ستاندرد بتاريخ ١٨ شباط ١٩٧٠ حث اللورد اران الاسرائيليين كي يقذفوا « بأولاد الزنا المصريين » ويلقوهم في منخفض قطاره .

ان النظرة العامة ، العقلية والعاطفية ، لدى الفرد الغربي العادي اصبحت متكيفة بحيث اصبحت النكات السخيفة والتعليقات اللاذعة على حساب العرب تمر دون ان تثير ذرة من السخط . ولم تساعد حرب حزيران وما تلاها على احداث اي تغيير جدي في هذه النظرة الاساسية للامور . فالعاطفة القوية نحو بقاء اسرائيل بقيت على ما هي عليه من قوة . بل ان حرب حزيران قدمت في الواقع مثالا جيدا على تحيز الانسان الغربي لصالح اسرائيل . ففي بريطانيه مثلا عندما قدمت الصحافة والتلفزيون البريطانية عرضا لحرب حزيران « كما تراها اسرائيل » فان الصوت الوحيد الذي احتج على ذلك كان صوت العرب العاملين في البرنامج العربي في الاذاعة البريطانية ، الذين اثاروا المسألة في وجه المدراء وهددوا بالاضراب(١٥). وعندما قدم بريان ماجي برنامجا تلفزيونيا محاولا تقييم رد فعل العرب على الهزيمة والطريقة التي رأوا من خلالها مستقبلهم المباشر فان رد الفعل كان يختلف تماما. اذ حتى قبل انتهاء البرنامج كانت تلفونات محطة التلفزيون قد شغلت بالمخابرات تحتج على التلفزيون لعرضه وجهة النظر العربية . ووصلت اكوام من الرسائل فيما بعد ، واستلم مدراء الشركة شكاوى شخصية ، وكان هناك عودة الى البرنامج في مجلس العموم . هذا ، مع انه في الاسبوع السابق كانت هناك « عشرات البرامج الادبية التي تتضمن وجهة النظر الاسرائيلية، ولكن بدون اكياس من رسائل الاحتجاج وبدون انتقاد في البرلمان » . ان الحادث ، كما يقول بريان ماجي ، يوضح بشكل قوي « الاعراض الايجابي حتى عن الاستماع الى القضية العربية »، و« يبدو ان الكثير من الناس لا يعرف مجرد ان للعرب قضية ، ناهيك عن ماهيتها »(١٦).

واذا نظرنا الى حرب حزيران من خلال نتائجها نرى انها كانت بشكل ما ، اداة مساعدة ليس في تغيير المواقف الغربية الاساسية المذكورة سابقا ولكن في اثارة جو جديد من الراي العام ، تقوده أقليات شجاعة ومطلعة ، يتحدى الخرافات الصهيونية الاساسية . وقد ظهر ابرز هذه الاقليات ، قياسا بفاعليتها ، في المملكة المتحدة . ومن المهم ان نلاحظ هنا ان المحفل المؤيد للعرب في بريطانية يشتمل على اكثر من جماعة او منظمة . واهم هذه الجماعات مجلس تنمية التفاهم العربي البريطاني المعروف باسم « كابو » والذي يضم حوالي ألف عضو بما فيهم اعضاء في البرلمان وبعض المفكرين. ولدى المجلس مركز استعلامات يؤمن الاتصال بخبراء في مسألة المجابهة العربية — الاسرائيلية . ومع ان المجلس يعمل بميزانية محدودة ، الا انه لا يقبل المساعدات من الحكومات العربية . ولذا فان نشاط المجلس محكوم بوضعه المالي المتأرجح ومن ثم عجزه عن اصدار نشرات منتظمة عن الشرق الاوسط من نوع الجويش كرونيكل واسرائيل اليوم او النيوميدل ايست .

وهناك منظمة اخرى هي مجلس الشرق الاوسط في حزب العمال . ورغم ان هذه المنظمة بقيت في مرحلة جنينية مدة طويلة « فهي تحوز على تأييد حوالي خمسين عضوا في البرلمان ، ليس بينهم

---

١٣ — F. R. Mackenzie: The Listener, 19 March, 1970.

١٤ — المصدر السابق .

١٥ — راجع خالد قشطيني ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

١٦ — Brian Magee: The Listner, 19 March, 1970.

واحد ذو مركز عال »(١٧). ويعود تشكيل المجلس بالدرجة الاولى الى الجهود البارزة التي بذلهـا كريستوفر مايهيو الذي كان عليه ان يتحمل الحملات السياسية الظالمة في اكثر من مناسبة على حساب مواقفه الموضوعية فيما يختص بالمجابهة في الشرق الاوسط . وبالاضافة الى مايهيو يضم المجلس عددا من اعضاء البرلمان امثال : دنجل فوت وديكنز ورايان وجود وولز وجريفتز وهوجز وجاكسون(١٨). وفي حين لا يوجد في هذه المجموعة سوى عضو واحد في مجلس البلاط هو السير دنجل فوت فان الاصدقاء العماليين لاسرائيل لديهم في المقابل على الاقل سبعة من اعضاء مجلس البلاط . والواقع ان حزب العمال يعتبر مؤيدا قويا لاسرائيل وذلك بسبب العلاقات التقليدية بين حركة العمال البريطانية وحزب العمل الاسرائيلي والهستدروت. ولقد تدعم هذا الاتجاه بقوة بفعل وجود الاعضاء اليهود في البرلمان والمؤيدين كلهم لاسرائيل . ومن شأن هذه الصورة الاجمالية ان تؤمن تأييدا عماليا شاملا بنسبة « خمسة الى واحد » لصالح اسرائيل(١٩).

كذلك فان لتأييد اعضاء حزب الاحرار لاسرائيل تاريخا قديما . فقد كان لويد جورج الذي لعب دورا حيويا في التحضير لوعد بلفور قد تحول الى الصهيونية على يد حاييم وايزمن . وقدم اللورد صموئيل ، من حزب الاحرار ، تأييدا حماسيا لانشاء دولة اسرائيل . وتأييد قادة الحزب امثال جو جريموند وجيرمي ثورب لاسرائيل احد عوامل الشعبية الواسعة التي يلقاها حزب الاحرار في اوساط اليهود(٢٠). ولكن بينما تستمر مؤسسة حزب الاحرار على خطها في تأييدها لاسرائيل نشأت حركة جديدة هي « الاحرار الشبان » بين اعضاء الحزب العاديين ، وبدأت ، من خلال مسألة الشرق الاوسط تتحدى الاتجاه التقليدي السائد في الحزب. واظهر « الاحرار الشبان » في مؤتمرهم السنوي ،

١٧ — F. R. Mackenzie, Op. cit.

١٨ — Paul Rose, *Labor Party Arab Lobby*, The Jewish Chronicle, 21 January, 1969.

١٩ — Paul Rose: The So-Called Jewish Lobby in Parliement. The Jewish Chronicle, 29 May, 1970.

٢٠ — راجع الجويش كرونيكل ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٠ .

الذي عقد في نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ، قبولهم بمطلب الشعب الفلسطيني في اقامة دولة علمانية. كما ان قوتهم قد تعرضت للاختبار في الجمعية الوطنية السنوية للحزب التي عقدت في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ حين طرح على الجمعية وجهة نظر من اجل ايجاد دولة ثنائية القومية في فلسطين، ومنيت بفشل ذريع(٢١). وينعكس ميزان القوة بين الاحرار المؤيدين للعرب والمؤيدين لاسرائيل من خلال قوة اصدقاء كل من الطرفين في الحزب . ففي حين نجد بين اصدقاء اسرائيل امثال جيرمي ثورب وعدد من قادة الحزب فان اصدقاء العرب لم يستطيعوا الحصول الا على تأييد عدد محدود من الاحرار الشبان وعدد قليل من المرشحين الى البرلمان(٢٢). اما في حزب المحافظين فالصورة متشابهة ايضا . فمع انه قيل الكثير حول الدور الهام الذي تلعبه المصالح التجارية ضمن حزب المحافظين لم تقم مجموعة تجارية قوية واحدة في الحزب تنادي من اجل تعاون افضل مع العرب او الى موقف اكثر صراحة فيما يتعلق مثلا بسياسة اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة . ان هناك اعتبارين وثيقي الصلة بهذا الموقف العام ، يحدد الاول منهما وبشكل لاشعوري على الارجح موقف المحافظين من المجابهة العربية — الاسرائيلية : **الاعتبار الاول هو العدوان** الانجليزي — الفرنسي — الاسرائيلي على مصر في عام ١٩٥٦ واثره الكبير على تكتل اعضاء حزب المحافظين اجمالا والاعضاء المحافظين في البرلمان بشكل خاص وراء محاولة حكومة المحافظين تصوير نظام الرئيس عبدالناصر على انه ديكتاتوري فاشي لا يهدد المصالح البريطانية في الشرق الاوسط فحسب وانما يهدد كذلك السلام في العالم بأسره(٢٣). اما اليوم وعلى ضوء ما تكشف ، فيبدو ان حزب المحافظين لم يحاول فعلا التخلص

٢١ — راجع الجويش كرونيكل ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٠ .

٢٢ — المصدر السابق .

٢٣ — للوقوف على وصف ممتع لحادثة السويس وتشعباتها راجع :
Anthony Nutting's, *No End of a Lesson. The Story of Suez.* Constable 1967. See also Erskine Childers *The Road to Suez.* Mac Gibbon & Kee.
راجع ايضا : ارسكين تشايلدرز : الطريق الى السويس .

من الاثار السيئة لصدمة السويس والقيام باعادة تقييم جدية لمواقفه بصدد السياسات العربية الداخلية ولا بصدد الصراع العربي — الاسرائيلي. اما **الاعتبار الثاني** فهو تلك الخرافة التي تقول ان حزب المحافظين بسبب التزامه تجاه المصالح البريطانية (استثماراتها النفطية وغير النفطية في العالم العربي) هو بالضرورة اكثر عطفا من حزب العمال على القضية العربية . ويرتكز هذا الافتراض الى وجود او امكان وجود محفل للنفط ضمن حزب المحافظين . ان هذا افتراض خاطىء لان وجود محفل للنفط مؤيد للعرب في مجلس العموم سيكون محكوما الى درجة كبيرة بالمقاييس التالية : أ — ان جميع الدول العربية المنتجة وغير المنتجة للنفط يمكن ان تشكل جبهة موحدة في وجه شركات النفط . ب — ان باستطاعة الدول العربية المنتجة للنفط استغلال ثرواتها الخاصة مع الحفاظ على قدرة اسعارها على المنافسة . جـ — ان باستطاعة الدول العربية المنتجة للنفط فك قبضة الشركات عن السوق العالمية(٢٤). وبما ان هذه الشروط ليست متوافرة في هذه المرحلة فمن الاسلم ان نستنتج انه لن يكون بمقدور محفل مؤيد للعرب في حزب المحافظين وشركات النفط القيام بدعاية سياسية ملتزمة(٢٥). وعلى العموم فان البناء التنظيمي التقليدي للحزب ميال لدعم النظم العربية المعادية للناصرية بينما تميل حكومات المحافظين لدعم السلطات الاردنية ضد الفلسطينيين في مساعيهم لتقرير مصيرهم . اما الافراد في حزب المحافظين مثل انتوني نتنج وايان جيلمور او دنيس والترز الذين قرروا اتخاذ موقف عاطف على العرب وموقف اكثر استقامة تجاه المجابهة العربية — الاسرائيلية فقد وجدوا انفسهم عبارة عن اقلية صغيرة في وجه جدار متحجر من عدم مبالاة حزب المحافظين . ولقد نظر الى دعوتهم من اجل دراسة اكثر موضوعية للصراع العربي — الاسرائيلي من خلال كونهم مصنفين كاصدقاء العرب في حزب المحافظين وهذا الامر ينسجم مع صيغة بريان ماجي القائلة : « يمكن اعتبارك شخصا محايدا فقط اذا أيدت الخط الاسرائيلي تأييدا مطلقا. اما اذا نظرت الى طرفي القضية فانت مؤيد للعرب »(٢٦).

٢٤ — راجع ماكينزي ، المصدر السابق .
٢٥ — المصدر السابق .
٢٦ — بريان ماجي ، المصدر السابق .

اما الموقف الرسمي للحكومة البريطانية فقد ظل مؤيدا لقرار الامم المتحدة الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧، والذي جاء نتيجة لمبادرة بريطانية . وباستثناء تأييدها للقرار كانت المملكة المتحدة اقل الدول الاربع الكبرى فاعلية . كذلك اضافت التصريحات الرسمية للوزراء البريطانيين علامات استفهام كبيرة حول الموقف الحقيقي للمملكة المتحدة تجاه النزاع . وبالرغم من استخفاف اسرائيل بقرار الامم المتحدة واستمرارها في احتلال الاراضي العربية فان بيتر شور كان مستعدا ان يعلن على الملأ ان « حكومة العمال لن تفعل شيئا يهدد وضع اسرائيل او يضعف من قدرتها على مقاومة العدوان »(٢٧). وحول موقف المملكة المتحدة من خطة اسرائيل لتغيير وضع القدس قال ريج فريسون ، وهو سكرتير في البرلمان ووزير الاسكان والحكومة المحلية ، ان الحكومة البريطانية لا تريد العودة الى قدس مجزاة . ولا تعترف بسيادة الاردن على اي جزء منها »(٢٨). ورغم ان هذه المواقف من شانها ان تثير المخاوف المشروعة لدى العرب ، فانها لا تعدو كونها تعبيرا عن التناقضات البريطانية — الاميركية .

وفيما يتعلق بالموقف الفرنسي الرسمي حول الشرق الاوسط فان ذلك كان موضوعا تناوله عدد من المقالات . ان السياسة الخارجية الفرنسية في المنطقة لم تتغير حتى بعد ذهاب الرئيس ديغول (نتيجة لهزيمته في الاستفتاء الوطني الذي اجري في ٢٧ نيسان ١٩٦٩) . ولقد سارعت الادارة الفرنسية الجديدة للتأكيد على عنصر الاستمرار هذا في سياسة فرنسة في الشرق الاوسط . وفي ٦ أيار ١٩٦٩ سلم السفير الفرنسي في القاهرة ، فرانسوا بوكس ، رسالة بهذا المعنى من وزير الخارجية الفرنسي ميشال دوبريه الى وزير الخارجية المصري محمود رياض . كما اعطيت

٢٧ — الجويش كرونيكل ، ٢٠ شباط ١٩٧٠ .
٢٨ — الجويش كرونيكل ، ٩ كانون الثاني ١٩٧٠ . يمكن الوقوف على موقف حزب العمال فيما يختص باحتلال اسرائيل للاراضي العربية من خلال قراره الذي صيغ بلهجة معتدلة (الصادر عن مؤتمر الحزب في أيلول ١٩٧٠) والذي جاء فيه « عدم استحسان ضم الاراضي عن طريق الحرب . » التايمز ٢٨ أيلول ١٩٧٠.

تأكيدات مماثلة لكل من لبنان والاردن(٢٩). ومن الصعب تحديد الدافع الحقيقي الذي يكمن وراء السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط . فالبعض يعتقد ان الموقف الفرنسي هذا ناتج عن اعتبارات تجارية متعلقة بمطامح فرنسه في ان تؤمن لنفسها حصة كبيرة في سوق البترول العربي المربح(٣٠). والبعض الاخر يؤكد ان فرنسه ترى نفسها القوة الرئيسية في حوض المتوسط ومن ثم فمن الطبيعي بالنسبة لها ان تعمل بجهد من اجل مصالحها خاصة وهي ترى دورها يهتز تماما بفعل التدخلات الاميركية والروسية(٣١). ومن المهم في هذا المجال ان نتذكر تأثير الرئيس ديغول على رسم هذه السياسة الذي يمكن ان نجد بداياته في عام ١٩٦٢ عندما قرر ديغول منح الجزائر استقلالها ، في وجه كل المعارضة . وقد اكتسب ديغول بهذا القرار رغم خطورته وبعد اثره « احترام الجزائريين وباقي العالم العربي »(٣٢). وبدا ان ذلك ايذان ببدء تحول سياسة فرنسه تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي في السنوات اللاحقة . وقد أدى قرار اسرائيل بالهجوم في ٥ حزيران ١٩٦٧ خلافا لنصيحة الحكومة الفرنسية(٣٣) الى اتخاذ فرنسه لقرار بايقاف تسليم طائرات الميراج التي يقال ان اسرائيل دفعت ثمنها . بينما ادى هجوم اسرائيل على مطار بيروت (في ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨) الى حظر فرنسي فوري على شحن الاسلحة وقطع الغيار الى اسرائيل(٣٤).

ويتساوى في الاهمية في هذا المجال ايضا ، المدى الذي استطاعت الحكومة الفرنسية ان تصله في اقناع الجمهور الفرنسي ذي العقلية الفردية بالحكمة من سياستها في الشرق الاوسط . وبرغم جهودها فهناك دلائل تشير الى ان مجموعات منظمة واقليات صاخبة في فرنسه كانت على استعداد لاعلان انتقادها العنيف للسياسة الرسمية في الشرق الاوسط . ولقد كان هذا الانتقاد قويا لدرجة جعلت وزير الاعلام الفرنسي ، جويل لوتول ، يعترف في الفترة التي أعقبت قرار الحكومة الفرنسية بحظر شحن الاسلحة وقطع الغيار الى اسرائيل ، وبالتحديد في ٨ كانون الثاني (يناير) « بأن تأثير اسرائيل يحس في دوائر مقربة من وسائل الاعلام»(٣٥). واحدثت هذه العبارة ردود فعل قوية فكتبت الفيجارو في ٩ كانون الثاني تقول « ان هذه التلميحات غير مقبولة وليس من حقنا فقط بل من واجبنا ان نسأل عما يقصد بها » . وقرر الصحافيون الفرنسيون ، اظهارا لاحتجاجهم ، مقاطعة المؤتمر الصحفي الذي كان مقررا ان يعقد بعد اجتماع الوزارة في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٦٩(٣٦). وردت صحيفة الانترناشونال هيرالد تريبيون في ١٣ كانون الثاني ٦٩ ان الحكومة الفرنسية كانت تواجه معارضة قوية داخل الجمعية الوطنية الفرنسية . واشارت الصحيفة الى ان الجمهوريين المستقلين الحلفاء الرئيسيين للديغوليين في البرلمان قد اتهموا الرئيس ديغول باللجوء الى كثير من الحيل السياسية « على حساب دولة تقاتل من اجل حياتها » . واتهم الرئيس فوق ذلك باستغلال الاكثرية الحكومية والراي العام للوصول الى قرار خاص يتجاهل الضرورات التي يتطلبها عالم بارد وقاس وذلك لصبغ الواقع السياسي بقيم انسانية(٣٧). وتدعم هذا الهجوم بالقرار الذي اتخذته لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الفرنسي في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٦٩ والذي يدعو الحكومة الى رفع الحظر الذي فرضته في الاونة الاخيرة .

والصوت الوحيد الذي ارتفع في هذه المناسبة والذي يؤيد سياسة الحكومة في الشرق الاوسط بطريقة غير مباشرة كان صوت الحركة الفرنسية المناوئة للعنصرية المعادية للعرب ، والتي نشرت بيانا في صحيفة لوموند في السابع عشر من كانون الثاني ١٩٦٩ يحتج على العنصرية المعادية للعرب والتي اوجدها ونماها اعضاء يعملون في وسائل الاعلام .

---

٢٩ — راجع التقرير والسجل العربي ١ — ٥ أيار (مايو) ١٩٦٩ . ص ١٩٤ .

٣٠ — راجع مثلا MEED ٢١ كانون الاول ١٩٦٧ .

٣١ — راجع مثلا الجارديان ٨ تشرين الاول ١٩٧٠ .

٣٢ — راجع MEED المصدر السابق .

٣٣ — Eric Rouleau : "French Policy in the Middle East" The World Today, May 1968.

٣٤ — راجع التقرير والسجل العربي ١ — ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ ص ٢٠ .

٣٥ — المصدر السابق .

٣٦ — المصدر السابق .

٣٧ — المصدر السابق .

واشار البيان الى « المعلومات المبتسرة والخاطئة والمتحيزة فيما يتعلق باحداث الشرق الاوسط ، والتفسير الخاطىء لنضال الفلسطينيين واهدافهم، والخلط المتعمد بين ما هو يهودي وما هو صهيوني، وما هو عربي وما هو مسلم ، وبين اليهود الاسرائيليين ويهود العالم وبين الفلسطينيين العرب والعرب ككل »(٣٨).

وتستحق لوموند ذاتها ملاحظة خاصة بسبب موقفها الشجاع وغير المتحيز حول الصراع . فهذه الصحيفة التي وصفها ايبان بانها « اكثر النشرات اثارة »(٣٩) ظلت ، الى حد كبير ، النشرة الفرنسية البارزة الوحيدة التي تبنت موقفا موضوعيا في تقاريرها وتحليلاتها للاحداث المتعلقة بالمجابهة العربية الاسرائيلية . ويشكل « عمود الاراء الحرة » في اللوموند اهمية خاصة في القاء الضوء على المسألة الفلسطينية وحركة المقاومة حيث ظهرت في هذا العمود مقالات كثيرة حول فلسطين والفلسطينيين. ففي السابع من شباط ١٩٦٩ قال فيليب دي سانت روبرت في مقالة بعنوان « ارهاب او مقاومة » بأن محاولة اسرائيل اثارة العالم ضد الارهاب العربي كانت « محاولة غريبة تقوم بها دولة قامت على اسس ثيوقراطية جعلتها غير مقبولة من جانب المسيحيين والمسلمين في فلسطين ، ولم تنجح الا من خلال الارهاب الذي تستنكره الان والذي ارتكبته عصابة الارجون وشتيرن » . واضاف الكاتب : « لن يكون هناك سلام ما لم يحدث تغيير في داخل اسرائيل »(٤٠).

ومن بين الجماعات المنظمة التي تعطف بشكل كبير على القضية العربية في فرنسه الحزب الشيوعي الفرنسي (يأتي في المرتبة الثانية من حيث القوة ، بعد الحزب الشيوعي الايطالي ، بين الاحزاب الشيوعية في اوروبة الغربية)(٤١) الذي يدين اسرائيل بالعدوان والاحتلال والتنكر للحقوق الانسانية ، ويميل الى تأييد سياسة الحزب الديجولي في الشرق الاوسط. اما الحزب الاشتراكي المتحد ، الجديد ، بزعامة الان روكارد الذي ترشح في انتخابات رئاسة الجمهورية (في اول حزيران ١٩٦٩) وحاز على ٣،٦٥ بالمئة من الاصوات ، فانه اكثر صراحة من الحزب الشيوعي في موقفه تجاه الشرق الاوسط . وهناك مجموعة الان كريفين ، العصبة الشيوعية ، التي حصلت على واحد بالمئة من الاصوات . وكرنيف هذا المعادي للصهيونية وابن طبيب اسنان يهودي ، يقف على يسار الشيوعيين في تأييده لحق الفلسطينيين بتقرير مصيرهم . وبين هؤلاء العصبة الشيوعية «ب. س. ي » التي « تنطق باسم حوالي خمسة بالمئة من الناخبين الفرنسيين » اي ما يزيد على مليون صوت بينهم عدد كبير من المفكرين او الذين يعتبرون كذلك وبعضهم من اصل يهودي(٤٢). وبالمقابل فان الاصوات الانتخابية لليهود لا تشكل اكثر من واحد بالمئة من مجموع الاصوات الانتخابية(٤٣).

ان الصورة التي ظهر عليها الرأي العام الفرنسي (في حزيران ١٩٦٧) تشير الى ان الرأي العام على الصعيد الرسمي وفي قسم معين من الاوساط الشعبية والذي يعطف على القضية العربية ومستعد لانتقاد اسرائيل وتأييد الاجراءات التي بحق اعمالها ، هو في الوقت ذاته ملتزم بصورة اساسية تجاه « حق اسرائيل صهيونية في الوجود كدولة »(٤٤).

وفي الولايات المتحدة حيث يمكن للقرارات المتعلقة

---

٣٨ — راجع التقرير والسجل العربي ١٦ — ٣١ كانون الثاني ١٩٦٩ ، ص ٤٧ .

٣٩ — الجويش كرونيكل ١٤ حزيران ١٩٦٨ .

٤٠ — See Free Palestine, Vol. 1, No. 9. February 1969. p. 5.

٤١ — في الانتخابات الوطنية الاخيرة حصل الحزب الشيوعي الايطالي على ١٦٧ مقعدا من اصل ٦٣٠ مقعدا في مجلس النواب وعلى ٧٦ مقعدا من اصل ٣١٥ مقعدا في مجلس الشيوخ . واذا ترجمنا ذلك الى اصوات انتخابية نجد انه يمثل ٢٦،٩٥ بالمئة من مجموع الاصوات . وفي فرنسه يحتل الحزب الشيوعي ٣٤ مقعدا (من اصل ٤٨٧) و١٨ مقعدا (من اصل ٢٨٣) في الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ على التوالي . ويعادل هذا ٢١،٥ بالمئة من المجموع . راجع مجلة التايم ٨ شباط ١٩٧١ .

٤٢ — راجع الجويش كرونيكل ٦ حزيران ١٩٦٩ .

٤٣ — المصدر السابق .

٤٤ — يمكن استكشاف الموقف الغامض الذي تبناه عدد كبير من الماركسيين الفرنسيين من خلال مطالعة مقابلة سارتر مع ارتورو شوارتز . اعيد نشر المقابلة في طبعة والتر لاكير : *The Israel - Arab Reader*, Penguin 1970, p. 546.

بالنزاع العربي — الاسرائيلي ان تشكل ضررا للاحزاب المعنية فان القضية العربية رغم مرور الزمن لم يتسن لها ان تجتذب ضميرا حزبيا كبيرا حيا واحدا . وسنتعرض الان للقوة والتأثير اللذين تتمتع بهما الجالية اليهودية الاميركية(٤٥). ان الاعتبارات الرئيسية التي تكمن وراء تأييد الولايات المتحدة الرسمي لاسرائيل ، انما هي مرتبطة باعتبارات استراتيجية واضحة . إن ما تعتبره الدول العربية امرا غير مشجع هو التأييد الاميركي الثابت لاسرائيل حتى عندما ترتكب الاخيرة خطأ واضحا للعيان . ففي ٣١ كانون الاول ١٩٦٨ ادان مجلس الامن الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت وكانت الولايات المتحدة من بين الموافقين على الادانة ولكن قبل ان تمضي اربع وعشرين ساعة على ذلك كانت حكومة الولايات المتحدة قد قررت ان تهب لنجدة اسرائيل ، اذ وقف ممثل الولايات المتحدة في الامم المتحدة ، ج. ر. ويجنز ليدافع عن اسرائيل ضد « اطلاق التعميمات الكاسحة والتشهيرات القاسية والتهجمات الطائشة » التي يشنها عليها اعضاء آخرون في الامم المتحدة . واختتم ويجنز خطابه بتلاوة جملة قالها ابراهام لنكولن وهو يذكر مجلسا حائرا بأن بلاده تلتصق بأصدقائها عندما يكونون على حق ولكنها تبتعد عنهم عندما يخطئون(٤٦). وفي السادس من كانون الثاني ١٩٦٩ ذهب ستة عشر شيخا اميركيا الى أبعد مما ذهبت اليه السياسة الرسمية الاميركية حين اعلنوا عن ادانتهم لقرار مجلس الامن (الذي أعلنه في ٣١ كانون الاول ١٩٦٨ حول الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت) . وقد عجز القرار ، حسب راي هؤلاء الشيوخ ، عن ذكر اي شيء عن « التهديد المباشر التي تشكله الغارات العربية المتواصلة على كيان اسرائيل » . وفي التاسع من كانون الثاني علم ان ٦٦ عضوا في الكونجرس الاميركي قد وقعوا وثيقة مماثلة(٤٧). وحاول مجلس الامن بعد الغارة التي قامت بها اسرائيل على منطقة السلط (في ٢٦ آذار ١٩٦٩) ان يتخذ قرارا اجماعيا بلوم اسرائيل ولكنه فشل في الحصول على موافقة الولايات المتحدة . اما القرار الذي يستنكر الخسارة في ارواح المدنيين واتلاف الممتلكات ، الذي عرضته زامبيه والسنجال وباكستان ، فقد استطاع فقط ان يحصل على امتناع الولايات المتحدة عن التصويت(٤٨).

ان الحزبين السياسيين الرئيسيين في الولايات المتحدة ملتزمان نحو اسرائيل بدون تحفظ . فخلال انتخابات الرئاسة التي جرت عام ١٩٦٨ وعد الحزب الجمهوري في بيانه الرسمي حول سياسته المقترحة تجاه الشرق الاوسط ان يؤمن للقوات الاسرائيلية ما يجعلها قادرة على الاحتفاظ بقوة تكفي لحمايتها وللابقاء على السلام في المنطقة . ولذا فان الولايات المتحدة ستمد اسرائيل بالمساعدة المناسبة ، مثل المقاتلات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت اللازمة لتحقيق هذه الاهداف(٤٩). وتعهد الحزب الديمقراطي بانه « ما دامت اسرائيل مهددة من قبل جيران مجهزين بالاسلحة ومعادين لها ، فاننا سوف نساعدها بالمعدات العسكرية الضرورية اللازمة لدفاعها بما في ذلك احدث انواع المقاتلات الحربية »(٥٠).

ان هذا التحيز السياسي ينعكس بصدق في الصحافة الاميركية . ولم يستطع دعاة القضية العربية لا في عام ١٩٦٧ ولا فيما بعد ان يجدوا المنابر المناسبة(٥١). ويبدو تحيز الصحافة الاميركية واضحا في الدراسة التي أعدها ميشال سليمان عن وسائل الاعلام الاميركية وحرب حزيران . تام

٤٥ — ان اعادة انتخاب جون ليندزاي كعمدة لمدينة نيويورك في اوائل شهر تشرين الثاني ١٩٦٩ ، يمثل جانبا طفيفا من تأثير الجمعية اليهودية الاميركية . لمزيد من التفاصيل حول الانتخاب راجع : الجويش كرونيكل ٣١ تشرين الاول و٧ تشرين الثاني ١٩٦٩ .

٤٦ — راجع التقرير والسجل العربي ١٦ — ٣١ كانون الاول ١٩٦٨ ص ٤٢٣ .

٤٧ — المصدر السابق ١ — ١٥ كانون الثاني .

٤٨ — اتخذ القرار بأغلبية ١١ صوتا مقابل لا شيء وامتناع الولايات المتحدة وبريطانية عن التصويت . (المصدر السابق ١ — ١٥ نيسان ١٩٦٦ ص ١٥٣) .

٤٩ — ليلى قاضي : عرض للعلاقات الاميركية — الاسرائيلية . مركز الابحاث ، بيروت ، شباط ١٩٦٩ ص ٢٤٩ .

٥٠ — المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

٥١ — راجع خالد قشطيني ، المصدر السابق ، ص ٥٠ — ٥١ .

الباحث ، الذي اتخذ من حرب الايام الستة ميدانا لدراسة ردود فعل الصحافة الاميركية تجاه الشرق الاوسط ، بتحليل المادة التي غطت الازمة في سبع صحف اميركية رئيسية هي : النيويورك تايمز ، لايف ، نيوز اند ويرلد ريبورت ، النيشن ، نيو ريببلك ، نيوزويك ، تايم . ووجد ان ما لا يقل عن ٣٦،٤١ بالمئة من مجموع الاخبار التي كانت تدور حول الازمة في شهري ايار وحزيران ١٩٦٧ كانت مؤيدة لاسرائيل ، و٣،٨ بالمئة منها مؤيد للولايات المتحدة ، و٢،٣ بالمئة منها مؤيد للامم المتحدة و٠،٨ بالمئة فقط مؤيد للعرب(٥٢). وكشفت الدراسة ايضا ان هناك اجماعا على اظهار الرئيس عبدالناصر انه الشخص « الذي يجسد كل الكراهية والسوء » ، وكذلك عن ميل قوي للومه « على كل المصاعب في الشرق الاوسط »(٥٣).

ومن خلال الادلة المتوفرة لا يبدو ان مرور خمس سنوات قد ادى الى تغيير جدي في هذا الوضع . ويمكن اختيار مثالين عشوائيين لتبرير هذا الحكم : بعد مرور عام على حرب حزيران اجرى معهد جالوب دراسة في الولايات المتحدة حول النزاع العربي — الاسرائيلي . وكشفت الدراسة (اجريت في ٢٤ تموز ١٩٦٨) ان حوالي ٤١ بالمئة من جميع الذين قوبلوا اقروا بانه ليس لديهم اية فكرة عن اصل حرب حزيران(٥٤). اما المثل الثاني فيتعلق برد فعل الصحافة الاميركية على مبادرة « السلام » الاميركية في النصف الثاني من عام ١٩٦٩ . وقد وجدت احدى الصحف « اتلانتا » (في جورجيا) ان الولايات المتحدة قد تخلت عن سياستها العادلة في الشرق الاوسط وان مصالح الولايات المتحدة تتطلب بأن « تفاوض اسرائيل من مركز قوة وليس من موقف الضعيف »(٥٥). واعتبرت صحيفة اخرى « ريتشموند نيوز » (في فرجينيا) المقترحات الاميركية المتعلقة بتسوية مع الاردن « مؤيدة للعرب لدرجة انها قد تكون كتبت في عمان »(٥٦). ودعت صحيفة ثالثة « سان جوزيه ميركوري » (في كاليفورنيا) الى « تاييد مفتوح وفعال لاسرائيل » بدلا من الحياد الذي لن يفعل اكثر من تأجيل « الازعاج المحتم » للولايات المتحدة . وفي حين اعتبرت النيويورك تايمز هذه المقترحات على انها « عمل غير متوازن في الشرق الاوسط » ، حذرت « جاتانوجا نيوز » (في تنيسي) من ان افضل طريقة لخدمة المصالح الاميركية في المنطقة تكمن في تجنب حرب اخرى ، والطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك تتمثل في مساعدة « اسرائيل في الحفاظ على تفوقها العسكري »(٥٧). فهل تشكل هذه المواقف انعكاسا لظاهرة التحيز تلك التي يصفها السفير الاميركي المذكور سابقا بانها « احراج كبير للسياسة الرسمية في الشرق الاوسط ؟ »(٥٨) ام ان هناك عوامل اخرى يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار ؟ الى اي مدى نجحت القضية العربية ، عبر استخدام علاقات عامة فعالة ، في الوصول الى عقل الفرد الغربي العادي ؟ او بكلام آخر ، الى اي مدى يتحمل الفشل العربي في الوصول الى العقل الغربي ، مسئولية هذا التحيز ؟

من المهم ان نذكر اولا ان الدول العربية لم تصل فعلا في مجال العلاقات العامة الى المستوى الاسرائيلي في استعمال واستخدام المواد . ويجب ذكر ذلك على الرغم من ان القضية الفلسطينية كان عليها ان تناضل ضد العواطف المتحجرة لدرجة لا تصدق عند الفرد الاوروبي تجاه اليهود .

ان السفارة الاسرائيلية التي « تعتبر اجمالا افضل السفارات ادارة وعملا في واشنطن » تؤمن فيضا لا ينقطع من مواد القراءة . فبعد كل حادث مهم ترسل ورقة تفسر الموقف الاسرائيلي « بالبريد الى ما يتراوح بين ١٠ — ١٢ الف اميركي يحتلون مراكز عاليه . وتتضمن لائحة العناوين التي ترسل اليها مثل هذه الاوراق رجال اعمال ونوابا في الكونجرس وموظفين حكوميين وقادة يهودا » . وتصدر السفارة بانتظام كراسات تتناول ٣٢ موضوعا من الزراعة الى علم الآثار ، ونشرة

---

٥٢ — ميشال سليمان : وسائل الاعلام وحرب حزيران ، في مقالات في الراي العام الاميركي والمشكلة الفلسطينية . مركز الابحاث ، بيروت ، شباط ١٩٦٩ ، ص ٩٢ .

٥٣ — *Ibid.*, p. 96.

٥٤ — راجع خالد تشطيني ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

٥٥ — راجع الجويش كرونيكل ٩ كانون الثاني ١٩٧٠ .

٥٦ — المصدر السابق .

٥٧ — المصدر السابق .

٥٨ — See Don Cordtz, op. cit.

اخبارية بعنوان « أرض التوراة » و « حتى كتبا هزلية للاطفال » . كما تقدم رحلات مجانية الى اسرائيل الى موظفين وقادة عماليين وقادة تدامى وصحفيين . « وفي العامين الماضيين تدم الاسرائيليون رحلات اسبوعية الى اسرائيل ، غطوا جميع نفقاتها ، الى بعض حكام الولايات ومنهم جون فولب حاكم ماساشوستس الذي اصبح الان وزيرا للنقل وجيمس رودس حاكم اوهايو وكلور كيرك الابن حاكم فلوريدا »(٥٩). وتكاد كل المنظمات اليهودية تكون متعاطفة مع اسرائيل . فاللجنة اليهودية الاميركية التي يبلغ عدد اعضائها الرسميين ٤٣ الفا تضم بين صفوفها عددا كبيرا من الصهيونيين على الرغم انها تهتم بشكل اساسي بحالة اليهود وامنهم في العالم كله وعلى الرغم كذلك من انها تدعي انها ليست صهيونية . اما لجنة الشؤون العامة الاميركية — الاسرائيلية فهي الاكثر صراحة في دعمها لاسرائيل . ونائب رئيسها اي ل. كسينن معروف لدى اعضاء الكونجرس بانه داعية اسرائيلي . وتكمن قوة اللجنة « في تأثيرها السياسي على ٥٫٨ مليون يهودي في الولايات المتحدة »(٦٠). وعلى صعيد انتخابي فان اصواتهم حاسمة في اربع ولايات هي نيويورك وبنسلفانيا وايلنوي وكاليفورنيا . وبالاضافة الى ذلك فان التبرعات « التي يقدمها اليهود للحملات الانتخابية حيوية جدا للمرشحين لانتخابات الكونجرس والولايات والانتخابات المحلية وكذلك انتخابات الرئاسة » . وكذلك تساعد النشاطات اليهودية في تنظيم الحملات وكتابة الخطب وتقديم الصورة المناسبة للمرشح في التلفزيون وايضا في رسم الاستراتيجية الانتخابية . وتترجم هذه الجهود عادة الى مطالب قوية بمنح الدعم لاسرائيل . وقد كان احد الامثلة الهامة على ذلك هو « اضافة ستة مشاريع لاسرائيل الى برنامج المساعدة الخارجية نتيجة للضغط الذي مارسته في الكواليس لجنة كينن ومنظمة هداسا — المنظمة النسائية الصهيونية في اميركا — والحاخامون الارثذكسيون والجماعات اليهودية » . ويستخدم المحفل الصهيوني في اميركا « مجموعة متكاملة من الوسائل التي تتراوح من معرفة استخدام الصحافة الاميركية الى الحد الاقصى الى الضغط السياسي من خلال الكونجرس الى التبادل السري للمعلومات العسكرية » . وعندما سئل مسئول في وزارة الخارجية ان يقيم المحفل الصهيوني في الولايات المتحدة اجاب بقوله « انهم واضحون ومنظمون وميالون جدا الى العلاقات العامة واذكياء » . ويبدو ان الصهيونيين الاميركيين « قد حازوا في كل هذه الظروف على قلوب الشعب الاميركي واصوات الكونجرس وحازوا عموما ، لكن ليس دائما ، على عقل الرئيس بغض النظر عمن يكون »(٦١).

وبالطبع ، فان العرب لا يجدون قضيتهم تقابل بالموضوعية التي تستحقها . وبالرغم من العطف الديني نحو « اللاجئين العرب » والعطف على القضية الفلسطينية في اوساط المناضلين السود وبعض التساؤلات حول السياسة الاميركية في الشرق الاوسط في اوساط مناضلي اليسار الجديد فان هذه الجماعات محدودة وليست متماسكة لدرجة تمكنها من ممارسة تأثير ملموس على سياسة الحكومة . ان محفل النفط الاميركي والذي تقدر استثماراته بحوالي ١٫٦ بليون دولار يمارس ضغطا يكاد لا يذكر في الامور السياسية الفعلية . ولقد اثيرت عاصفة من الاحتجاج عندما اذيعت كلمة عن الاحتجاج السري بين الرئيس نيكسون وديفد روكفلر ، رئيس تشيس مانهاتن بنك ، في البيت الابيض حيث كان الاخير يقدم تقريرا (في التاسع من كانون الاول ١٩٦٩) للرئيس نيكسون عن مقابلته مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وارسلت مئات الرسائل الى روكفلر كما تلقى عددا كبيرا من المخابرات الهاتفية «وهوجم في الكونجرس» وهدد اصحاب الودائع باقفال حساباتهم وبعضهم فعل . وكان الضغط قويا مما جعل روكفلر يتحول ويوافق على ان « المفاوضات المباشرة بين اسرائيل والدول العربية — مطلب اساسي للاسرائيليين »(٦٢). اما السفارات العربية في واشنطن فتتسم اجمالا بنقص في مستوى موظفيها وتعاني الى حد ما من المشكلة الناجمة عن عدم

---

٥٩ — Robert H. Phelps: Mideast Lobbies active in U. S. The New York Times, 6th, April, 1970.

٦٠ — المصدر نفسه .

٦١ — المصدر نفسه .

٦٢ — المصدر نفسه .

قدرتها على الفهم والتعامل مع العقل الاميركي والطريقة التي يفكر بها الاميركيون .

ذكرت فتح في احدى اذاعاتها (في ١١ كانون الثاني ١٩٦٩) ان الدعاية الصهيونية تعمل وحيدة في ميدان الراي العام بينما لم يقدم الاعلان العربي في الخارج الشيء الكثير ولم يعط اثرا ملموسا . وتوصل هذا التصريح الاذاعي الى الاستنتاج بان المادة المتوفرة عن القضية العربية لم تطرح رغم ضخامتها وذلك لان السفارات العربية تفتقر الى الاهتمام الجدي او لعدم وجود خطة موضوعية لمواجهة التضليل الذي تمارسه الدعاية الصهيونية(٦٣). ويرى خالد القشطيني ان « عدم تجربة العرب في الاعلام ومعرفتهم المحدودة في الامور العسكرية ترك الرقيب دون اختيار سوى ان يعمل قلمه الاحمر بامان كما يشاء»(٦٤).

٦٣ ــ التقرير والسجل العربي ١ ــ ١٥ كانون الثاني ١٩٦٩ ، ص ١٩ .

٦٤ ــ خالد القشطيني ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

ومن المهم فعلا ان لا نقلل من اهمية وحجم شعور الكثيرين من الاوروبيين بالولاء لاسرائيل. فبعد مضي شهرين فقط على الغارة الاسرائيلية المدمرة على مطار بيروت نشرت الجويش كرونيكل نتائج استقصاء لمعهد جالوب بين ان « عدد البريطانيين الذين يقفون الى جانب اسرائيل يساوي خمسة اضعاف اولئك الذين يقفون الى جانب مصر(٦٥). وهذه علامة على ان الامر عندما يتعلق بغالبية الغربيين فان المواقف الكامنة لديها لا زالت على حالها . وبحسب بريان ماجي فان « العامين اللذين اعقبا حرب الايام الستة قد شهدا عطفا على المهزومين كما ان قضيتهم الواضحة قد حركت المشاعر قليلا باتجاه العرب » . وعلى كل فان هذا مجرد « استجابة لما هو قائم على السطح » اما « المواقف الكامنة تحت ذلك فلا زالت وحيدة الاتجاه »(٦٦).

٦٥ ــ الجويش كرونيكل ٢١ آذار ١٩٦٩ .

٦٦ ــ Brian Magee, op. cit.

الرسالة الثانية : من داود تلحمي

نظرة سريعة حول مواقف الرأي العام الفرنسي تجاه المسألة الفلسطينية

سنحاول في هذا المقال ابراز العناصر الرئيسية التي تتحكم في مواقف المجتمع الفرنسي بمجمله بقصد اعطاء صورة شاملة ــ ولو تقريبية ــ لردود فعله تجاه وقائع وتطورات المسألة الفلسطينية . ورغم ما في ذلك من تجن على الواقع الاجتماعي المتعدد المصالح والتيارات ، فهو المدخل الذي لا بد منه لتفادي التشويه الذي قد يلحق بالصورة خلال التفصيل ، اذا أسهب في

شرح احد جوانبها مثلا على حساب جوانب اخرى (وسنأتي على التفصيل في رسالات اخرى لاحقة).

العناصر المتحكمة في مواقف الراي العام الفرنسي

ليس من السهل تحديد الخطوط الرئيسية التي تحكم ردود فعل مجتمع متطور ومعقد كالمجتمع الفرنسي . الا اننا سنحاول ابراز بعض الخطوط التي لها تاثير مباشر على مواقف الفرنسيين تجاه قضايا التحرر بشكل عام والقضايا العربية بشكل اخص .

هناك قبل كل شيء عاملان رئيسيان (ومتناقضان) لا بد من التركيز عليهما : اولهما ، الطبيعة المحافظة (اي المعارضة للتغييرات الجذرية محليا غير المنفتحة عالميا على قضايا التحرر والثورة) لغالبية الشعب الفرنسي ، وبكلمات أدق ،سيطرة الايديولوجية الحاكمة (من خلال وسائل الاعلام والاتصال اي الصحافة والراديو والتلفزيون والسينما مثلا) على قطاعات واسعة من المجتمع الفرنسي . وهذا شأن كافة المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، بشكل متفاوت طبعا ، حيث استفادت الطبقات الحاكمة من خبرتها الطويلة في الحكم ، فتوصلت الى مستوى عال في التحكم بوسائل التاثير والتسيير الجماعي (التي تصل احيانا الى مستوى التخدير) ، وهذا ما يفسر الى حد بعيد مدى التجاوب الذي وجدته « القضية » الصهيونية في هذه البلدان حتى في اوساط الطبقات والاقليات المضطهدة (بفتح الهاء) .

والعامل الثاني المتناقض ، هو وجود تيارات وتقاليد ذات جذور تاريخية تعمل بدورها على تغيير المجتمع وتتفهم بالتالي بشكل اكبر مشاكل العالم المقهور والثائر . وذلك يعود للتجارب الثورية المتلاحقة والنضالات الجماهيرية المستمرة التي تخوضها القطاعات الطليعية من الشعب الفرنسي منذ اكثر من قرنين ضد انواع الظلم والاستغلال، ابتداء من ثورة ١٧٨٩ ضد الملكية والاقطاع ومرورا بانتفاضات القرن التاسع عشر (وخاصة انتفاضة كومونة باريس العمالية عام ١٨٧١) وحتى انتفاضة أيار ١٩٦٨ . وهذان العاملان الرئيسيان تغذيهما او تحد من فعاليتهما عناصر أخرى اكثر تحديدا وارتباطا بالقضية الفلسطينية . ومن هذه العناصر المسألة اليهودية وتطوراتها خلال الحرب العالمية الاخيرة ، ومنها ايضا آثار حرب التحرير الجزائرية التي خلفت ردود فعل عنصرية لا يمكن اهمال دورها في تحديد المواقف .

المسألة اليهودية : جذور المسألة اليهودية بعيدة تاريخيا وعميقة اجتماعيا خاصة في اوروبا ، حيث اتخذت ردود الفعل تجاهها وجها خاصا عرف بالعداء للسامية . ولا مجال هنا للخوض في جذور هذه المشكلة الصعبة (ونكتفي بالاشارة الى محاولة البلجيكي ابراهام ليون بتفسيرها في دراسته حول « المفهوم المادي للمسألة اليهودية ») . فالمهم بالنسبة لنا استخلاص العلاقة بين ظواهر هذه المسألة ومواقف الاوروبي (والفرنسي بالذات) تجاه قضية فلسطين . وهنا ايضا تبرز ظاهرتان متناقضتان تتوزعان المجتمع الفرنسي بشكل خاص: الاولى هي ترسخ العواطف المعادية لليهود عند نسبة لا يستهان بها من الفرنسيين ، والثانية هي عقدة الذنب التي نشأت عند هؤلاء بعد المجازر النازية التي ذهب ضحيتها الملايين من الاوروبيين اليهود . وكلتا الظاهرتين ، كما سنرى ، لا تغذيان الا التيار المؤيد للصهيونية .

فبالنسبة للعواطف العدائية تجاه اليهود (العداء للسامية) ، فان كانت منتشرة علانية قبل الحرب العالمية الثانية ، ولها انبياؤها وصحفها وتأثيرها على مجرى الاحداث (كما جرى مثلا في محاكمة دريفوس ، الضابط الفرنسي اليهودي الذي الصقت به تجنيا تهمة الخيانة وذلك في اواخر القرن التاسع عشر) ، فهي اليوم عار لا يصرح به اصحابه الا نادرا . ورغم ذلك ، فقد اظهرت استفتاءات مؤسسات الاحصاء الفرنسية الحديثة ان اكثر من ٢٠ بالمئة من السكان « تتوفر لديهم ظواهر العداء للسامية بشكل مكثف » ، على حد تعبير رولان سادون مدير المؤسسة الفرنسية للرأي العام . وفي احدى هذه الاستفتاءات لهذه المؤسسة طرحت على العينة المختارة اسئلة عدة منها :

— هل تعتبر الفرنسي اليهودي الاصل فرنسيا كغيره من الفرنسيين ام لا ؟ وكانت نسب الاجابات المئوية كالتالي : ٦٠٪ نعم ١٩٪ لا ٢١٪ بدون رأي .

— هل تعتبر نفسك معاديا للسامية (اي مناهضا بشكل مبدئي لليهود) ؟ وان اجبت بالنفي ، فما هو شعورك تجاه معارفك اليهود بشكل عام ؟ وكانت الاجابات بالنسب التالية : لا ساميون

معلنون : ٩٪ . ينفرون من اليهود : ١٠٪ . ليس لديهم شعور محدد : ٨١٪ .

— هل ترضى بان يكون كل من هؤلاء يهوديا ؟ وكانت اجابات النفي بالنسب المئوية التالية : رئيس الجمهورية : ٥٠٪ . نائبك في البرلمان : ٣٣٪ . مدير عملك : ٣٢٪ . طبيبك : ١٦٪ .

— هل تجد بأن هناك الكثير من اليهود في مجالات العمل التالية ؟ اجابات التأكيد جاءت كالتالي : في التجارة : ٨١٪ . المعاملات المالية : ٥٨٪ . السياسة : ٣١٪ .

— في عام ١٩٤٨ ، اسس اليهود دولة اسرائيل، هل تعتقد ان وجود هذه الدولة شيء ايجابي او سلبي بالنسبة لليهود ولغير اليهود ؟ وكانت الاجابات كالتالي : بالنسبة لليهود : ايجابي ٧٥، سلبي ٢ ، بلا رأي ٢٣ . لغير اليهود : ايجابي ٤٧ ، سلبي ١٠ ، بلا رأي ٤٣ .

يظهر من هذا الاستفتاء (الذي اجري بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بقليل) ان هناك حوالي ٢٠ بالمئة من الفرنسيين يعلنون عن عدائهم لليهود كيهود ، بينما يتردد نصفهم تقريبا في اعتبارهم مواطنين كغيرهم في كل المجالات . ويلاحظ ايضا ان الذين يعتبرون وجود اسرائيل سلبيا لغير اليهود (والمقصود غالبا العرب) لم يكن عددهم في ذلك الحين يتعدى ١٠ بالمئة . اي ان معظم المعادين للسامية (ان لم يكن جميعهم ، فهذا ما لا يظهره الاستفتاء) كانوا من انصار وجود دولة اسرائيل. وهذا ليس مستغربا على الاطلاق وانما في صميم منطقهم ، اذ انهم يودون التخلص من اتباع اليهودية من ابناء وطنهم ، بينما يعمل الصهاينة على استجلاب هؤلاء الى أرض فلسطين: المنطلقان مختلفان ظاهريا ولكنهما يلتقيان في الهدف والجوهر ، اذ يعتبران كلاهما اليهودية عنصرا، ويرغبان في نفس الوقت نقل اليهود من اوروبا .

عقدة الذنب : احدثت المجازر النازية اثناء الحرب العالمية الثانية ضد المواطنين الاوروبيين اليهود الاصل ، صدمة عنيفة في اوساط اليساريين والمسيحيين ، الذين شعروا وكانهم — بحكم مواقفهم السابقة او على الاقل عدم اكتراثهم — مسؤولون ادبيا عنها . وشعروا بان المسؤولية لا تقع على النازيين بمفردهم ، لانهم لا يعدون كونهم ظاهرة اجتماعية وسياسية لوضع تاريخي محدد ، فالمسؤولية اذا مسؤولية جماعية : مسؤولية مباشرة بالنسبة لادعياء اللاسامية ومسؤولية غير مباشرة لمن لم يتنبهوا لخطورة هذه الظاهرة . ومن هنا نشأ ما سمي بعقدة الذنب عند الاوروبيين ، عقدة يصعب فهمها بالنسبة لشعب كالشعب العربي لم يعانها ، لانه بريء من الجرم.

ولا بد من التأكيد هنا على الاستغلال الوقح الذي امتهنه الصهاينة لدماء ضحايا النازية ، وعلى الفوائد التي جنوها من وراء المتاجرة بها . فبينما كان الضحايا اليهود مواطنين بولونيين او سوفيات او المان الخ ... وكانوا من بين عشرات الملايين الذين دفعوا ثمن الحرب التي اشعلتها النازية ، ابتاعت الصهيونية ارواحهم وراحت تتاجر بها سياسيا وماديا . وقد نجحت في مجهوداتها لحد بعيد . ولا نبالغ ان قلنا أن العطف على الحركة الصهيونية وعلى مشروع انشاء دولة اسرائيل ما كان ليتبلور لو لم تحدث هذه المجازر : وبعبارة وجيزة ، نستطيع ان نقول ان هتلر والنازيين عموما قدموا للحركة الصهيونية أجل الخدمات اذ حققوا لها تبريرها الجوهري امام الرأي العام العالمي .

في نفس الاستفتاء الذي تحدثنا عنه اعلاه ، طرحت المؤسسة الفرنسية للرأي العام السؤال التالي على العينة الممثلة للشعب الفرنسي : هل تعتبر قتل ملايين اليهود على ايدي النازيين: ١ — جريمة بشعة . ٢ — احدى بشائع الحرب مثل غيرها . ٣ — عملية مفيدة في نهاية الامر . وكانت النسبة المئوية : ٧٧٪ ، ١٩٪ و ١٪ بينما امتنع ٣٪ عن التعبير عن رأيهم .

وكانت قد وجهت قبل هذا الاستفسار سؤالا اخر عن عدد اليهود الذين قتلوا في هذه الفترة . فأجاب ٢ بالمئة انهم عدة الاف ، و ٩ بالمئة انهم مئات الاف ، و ٢٢ بالمئة بين مليون ومليونين و ٣٨ بالمئة بين خمسة وستة ملايين و ١٠ بالمئة اكثر من عشرة ملايين بينما امتنع ١٩ بالمئة عن الاجابة. والاجابات تظهر ان حوالي ثلثي الفرنسيين (٦٢٪ بالضبط) لا يعلمون ما هو العدد المعلن عنه لضحايا النازية من اليهود ، بينما يجمعون تقريبا على ادانة هذه المجازر بشكل خاص . وشبه الاجماع هذا يفسر الى حد بعيد سطوة الدعاية

الصهيونية منذ ذلك الحين وحتى حرب ١٩٦٧ على مجموع الراي العام الذي لم يكن يفرق بين المسالة الفلسطينية والمسالة اليهودية ، ويرى في النضال العربي ضد اسرائيل تجديدا لمآسي يهود اوروبا .

العنصرية ضد العرب : في استفتاء أجرته الشركة الفرنسية للدراسات الاحصائية « سوفريس » ونشرته مجلة « لو نوفيل اوبسرفاتور » الاسبوعية في عددها الصادر في ١٩٦٧/١١/١ ، وجه السؤال التالي لعينة من سكان باريس الذكور العاملين : ما هو شعورك العام تجاه : اليهود ، السود ، العرب ؟ فاظهرت الاجابات ان هناك ٣٤ بالمئة عنصريون ضد اليهود مقابل ٥٢ بالمئة ضد السود و ٦٥ بالمئة ضد العرب . كما اظهرت ، ردا على استفسارات اخرى النسب التالية :

ــ ليسوا عنصريين ضد اليهود او ضد العرب : ٣٤٪ . ــ عنصريون ضد اليهود اكثر من عنصريتهم ضد العرب : ٣٪ . ــ عنصريون ضد العرب اكثر من عنصريتهم ضد اليهود : ٤٤٪ . ــ عنصريون ضد العرب واليهود سواء : ٢٠٪ .

وحسب الانتماء الديني لعناصر العينة ، جاءت النسب كما يلي :

	المجموع	الكاثوليك	غير الكاثوليك
ضد اليهود	٣٤	٤٠	١٩
ضد السود	٥٢	٥٨	٣٣
ضد العرب	٦٥	٧٣	٤٣

ورغم الاختلاف البسيط بين ارقام هذا الاحصاء والارقام التي تحدثنا عنها في الاحصاء السابق (وذلك يعود لاختلاف العينتين) الا انهما يظهران، وسيما الثاني منهما ، حقيقة مهمة بالنسبة للرأي العام الفرنسي : وهي ان العنصرية ضد العرب تفوق بكثير العنصرية ضد اليهود (والنسب تكاد تكون مضاعفة) . كما تظهر ان الكاثوليك اشد عنصرية (بنسب تكاد هي ايضا تكون مضاعفة) من الطوائف الاخرى (أي البروتستانت بشكل رئيسي) . وكل ذلك يعود لاسباب تاريخية . ولا شك ان حرب التحرير الجزائرية وانتصار الشعب الجزائري فيها قد لعبت في هذا المجال دورا هاما. فرغم ان اغلبية الفرنسيين في اوائل الستينات (قبل الاستقلال الجزائري) كانوا معارضين للحرب الاستعمارية وقابلين بفكرة « الانفصال » : الا ان هزيمة الامبراطورية الفرنسية في معركة وضعت فيها كل ثقلها العسكري والسياسي والادبي تركت في نفسية الفرنسي المتشبع بالايديولوجية الشوفينية السائدة ، اثرا عميقا (لا يقارن بالاثر الذي تركته معركة ديان بيان فو وهزيمة الجيش الفرنسي في الهند الصينية عام ١٩٥٤) . وذلك ان الفرنسيين عاشوا خلال سبع سنوات ونيف هذه الحرب بشكل مباشر ، اذ القى الجيش الفرنسي بكل ثقله واشرك المجندين الشباب من جهة ، بينما وسّع المناضلون الجزائريون حربهم الى فرنسا حيث يقيم مئات الالاف من العمال من ابناء وطنهم .

وان كانت فرنسا تعتبر في ذلك الحين الاراضي المحتلة في افريقيا مثلا مستعمرات ، الا ان الجزائر كانت معتبرة جزءا من فرنسا نفسها تسري عليها مبدئيا نفس القوانين . وهذه الـ « مبدئيا » طبعا ذات اهمية قصوى ، اذ ان الحكم الفرنسي اكتفى في الواقع بدمج خيرات الجزائر ولم يعط الجنسية الفرنسية مثلا الا للمستوطنين الاوروبيين وليهود الجزائر (بحكم قرار كريميو في عام ١٨٧٠). وهذه التفرقة العنصرية الى جانب الاستغلال الاقتصادي البشع الذي كان يمارسه المستوطنون لعبت دورا اساسيا في تفجير ثورة الشعب الجزائري وفي « انفصال المقاطعات الجزائرية عن الوطن الام » .

والى جانب هذا الماضي القريب ، هناك واقع ما زال يعيشه الفرنسيون وهو وجود حوالي مليون عامل جزائري وبعض المغاربة والتونسيين يقدمون باسعار منخفضة قوة عملهم للمجتمع الراسمالي الفرنسي . وهؤلاء « المهاجرون » (كما يدعون) يمتهنون في اغلب الاحيان الاعمال الشاقة والمعتبرة اعمالا دنيا (كالبناء وتعبيد الطرق) . ويعيشون مقابل ذلك في مساكن بائسة وكئيبة لا تختلف كثيرا عن مخيمات لاجئينا، وتسمى مدن التنك . وهم لذلك يعتبرون في أسفل « السلم الاجتماعي » ، ويشكلون في الواقع المجموعة المضطهدة والمستغلة (بفتح الغين) اكثر من غيرها داخل هذا المجتمع .

وهذا الواقع الاجتماعي الى جانب تنفية النعرات العنصرية التي تقوم بها الصحافة ووسائل الاعلام

الفاشية واليمينية (التي تجد مجالا حرا هنا بعد ان اصبحت اللاسامية عارا) ، كل هذا يديم الشعور العنصري ضد الجزائريين (ومن خلالهم ضد العرب بشكل عام) ويجعله من أهم الامراض الاجتماعية والاخلاقية التي يعاني منها المجتمع الفرنسي .

فلا غرابة اذا بأن تظهر التيارات المحافظة واليمينية أبان عدوان حزيران ١٩٦٧ ، حماسها الجنوني في تأييد اسرائيل التي بدت لها « كأمير الانتقام » الذي اقتص من العرب لما ارتكبوه ضد الامبراطورية الفرنسية . ولا غرابة بان يرفع معظم اللاساميين اصواتهم تضامنا مع « قلعة الغرب » في الشرق الاوسط : فقد ظهرت كراهيتهم للعرب اقوى من كراهيتهم لليهود (رغم ما ذاقه هؤلاء على ايديهم اثناء الاحتلال النازي) .

تطور المواقف بعد حرب ١٩٦٧

بعد استعراض العناصر الرئيسية التي تتحكم في مواقف الفرنسي تجاه المسألة الفلسطينية ، نأتي الى الاستفتاءات التي أجرتها المؤسسات الفرنسية سيما بعد عدوان ١٩٦٧ . ومن الضروري أن نؤكد هنا على ان هذه الاستفتاءات لا تعدو كونها اداة سهلة لابراز الصورة الشاملة ، ولا تشكل باي حال من الاحوال احصائيات علمية دقيقة وكاملة. فبالاضافة الى صعوبة اختيار عينة ممثلة فعلا للمجموع، هناك صعوبات أخرى تقف حائلا دون دقة الاحصاء (ونكتفي هنا بالأشارة الى طريقة طرح السؤال ، الذي يؤثر كثيرا على نوعية الجواب). وان كنا سنرى ، خلال استعراضنا للاستفتاءات الحديثة ، اهمية صيغة الاستجواب ، الا اننا نستطيع ان نؤكد — من خلال دراسة الاستفتاءات المتعلقة بالوضع الداخلي الفرنسي — جدية اختيار العينة وتمثيلها للشعب الفرنسي ككل ، نظرا لتطور علمي الاحصاء والاجتماع.

سنبدأ بسلسلة استفتاءات اجرتها المؤسسة الفرنسية للرأي العام ما بين حزيران ١٩٦٧ وكانون الثاني ١٩٧٠ ونشرتها مجلة باري ماتش الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/١/٢٤ . الاستفتاء الاول جرى ابان الحرب والاخير بعد الازمة التي نشبت من جراء تسفير البوارج الحربية الفرنسية الصنع لاسرائيل ، بينما اجري الثاني في نهاية صيف ١٩٦٧ والثالث بعد ضربة مطار بيروت وقرار حظر شحن الاسلحة الذي اتخذه ديجول .

والسؤال كان بالتحديد : في الصراع الحالي بين اسرائيل والدول العربية، الى اين تتجه عواطفك، الى اسرائيل ، الى الدول العربية ، لا لاحد من الطرفين ؟ وكانت النسب المئوية للاجابات كالتالي:

	حزيران ١٩٦٧	ايلول ١٩٦٧	كانون٢ ١٩٦٩	كانون ٢ ١٩٧٠
الى اسرائيل	٥٦	٦٨	٣٥	٣٣
الى الدول العربية	٢	٦	٧	٦
لا لاحد من الطرفين	٢٨	١٦	٣٩	٤٣
بدون رأي	١٤	١٠	١٩	١٨
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

وقبل ان نحاول استخلاص الدروس من هذه الارقام ، لا بد من الاشارة الى اللبس الذي ينشأ من اسلوب طرح السؤال : فمقابل اسرائيل لا ذكر مثلا للشعب الفلسطيني ولا لدولة عربية محددة ، وانما للدول العربية ككل ، وفي ذهن الفرنسي تمر صور دول مختلفة التطور ومتفاوتة التمثيل الشعبي والنضالي ، فالعطف الذي قد يكنه لدولة ما او لمجموعة دول يبطله مثلا نفوره من دولة او دول اخرى ، هذا اذا لم نتكلم عن المقاومة الفلسطينية التي تثير في مخيلة الكثير من الفرنسيين ذكريات مقاومتهم للنازية منذ ربع قرن . ولا شك ان ذلك يفسر ضآلة نسبة المتعاطفين مع « الدول العربية» والتطور البسيط لهذه النسبة خلال الاعوام الثلاثة الماضية ، في نفس الوقت الذي فقدت فيه اسرائيل عطف ثلث الشعب الفرنسي . (من ٦٨ بالمئة في ايلول ١٩٦٧ الى ٣٣ بالمئة في كانون الثاني ١٩٧٠) . وان عنى هذا الاستفتاء شيئا فهو يعني على الاقل ان تطور الاحداث خلال الاعوام الاخيرة (وسيما بروز الشخصية النضالية الفلسطينية) استطاع في اسوأ الاحتمالات ان يحيد اكثر من ثلثي الرأي العام الفرنسي .

وفي الواقع ، اكتسبت الثورة الفلسطينية بالذات عطفا واسعا ، سيما في اوساط الجيل الناشيء . وفي اي حال ، فالمجال ما زال مفتوحا لكسب العناصر المحايدة حاليا ، طالما نجحت التطورات الاخيرة في احداث الخطوة الاهم ، وهي كسر طوق الدعاية الصهيونية والتزوير الاسرائيلي للتاريخ . وفي استفتاء اخر أجرته الشركة الفرنسية

للدراسات الاحصائية بين ١٦ و ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠ ونشرته جريدة « لو فيجارو » الصادرة في ١٩٧٠/١/٢٩ ، ظهرت آراء الفرنسيين حول صفقة الاسلحة الفرنسية مع ليبيا كالتالي :

— ضد بيع الاسلحة لاية دولة في الشرق الاوسط ٥٥٪ .
— مع بيع الاسلحة لكل الدول بدون تفرقة ٢٩٪ .
— مع بيع السلاح لاسرائيل وحدها ٣٪ .
— مع بيع السلاح للعرب وحدهم ١٪ .
— مع بيع الاسلحة للعرب ، على شرط ان يسالموا اسرائيل ٣٪ .
— بدون رأي ٩٪ .

وفي الاجابة على سؤال حول السياسة الفرنسية الحالية في الشرق الاوسط ، ظهرت النسب كالتالي : مؤيدون ١٧٪ . معارضون ٤٩٪ . بدون راي ٣٤٪ .

وردا على استفسار حول الدول الثلاث التي تشكل خطرا على فرنسا في السنوات العشر المقبلة ، ذكر المجيبون الدول التالية (بترتيب النسب) : الصين ٥٩٪ . الدول العربية ٣٩٪ . الاتحاد السوفياتي ٣٢٪ . المانيا ٢٨٪ . اليابان ٢٤٪ . الولايات المتحدة ٧٪ .

وفي استفتاء اخر أجرته نفس المؤسسة في نفس الفترة (كانون الثاني ١٩٧٠) بين سكان جنوب فرنسا وقراء الجرائد الاقليمية في تولوز وبوردو ومونبلييه ومرسيليا بالضبط — جاءت النسب في موضوع صفقة الطائرات الليبية كالتالي : مع الصفقة ١٣٪ . ضد الصفقة ٦٠٪ . بدون رأي ٢٧ ٪ .

وفي نفس الاستفتاء ، وحول حظر شحن الاسلحة لاسرائيل : ضد رفع الحظر ٤٤٪ . مع رفع الحظر ٣٦٪ . بدون رأي ٢٠٪ .

وعبر قراء صحف الجنوب عن رأيهم في حل «مشكلة الشرق الاوسط» بالاساليب التالية :

— باتفاق مباشر بين اسرائيل والدول العربية ٤٦٪ .
— عن طريق الدول الكبرى ٣٠٪ .
— عن طريق الامم المتحدة ١١٪ .
— بانتصار عسكري لاحد الفريقين ٨٪ .

واهمية هذه الاجابات بالنسبة لدراستنا جزئية ، ذلك لانها لا تدل على وجود تيارات واضحة في الرأي العام (مما يفسر بعض التناقضات) ، علاوة على تنوع الاسئلة وطرق طرحها . وقد اثبتناها هنا لتكون فقط نقطة انطلاق لتحليل مفصل.

من هذه الارقام نستطيع ان نستخلص النقاط التالية : ١ — التيار المؤيد لاسرائيل انخفض بنسبة كبيرة ، وهو يتارجح اليوم حول ثلث الراي العام . ٢ — العطف على الدول العربية بجملها في تطور بطيء ، وفي الغالب هذا التطور اهم واضخم بالنسبة للعطف على الثورة الفلسطينية . ٣ — المؤيدون لسياسة الحكومة الفرنسية في الشرق الاوسط (١٧٪) يشكلون ثلث المعارضين تقريبا (٤٩٪) . وهذا يعود غالبا لتناقض موقف الحكومة نفسها ، الذي لا يحكمه براي الكثيرين اي اعتبار مبدئي وانما الى حد بعيد اعتبارات مصلحية (كبيع شحنة الطائرات لليبيا التي لم تلق استحسانا عند غالبية الشعب الفرنسي ٦٠٪) وكون ٣٦٪ فقط من الفرنسيين مع اعادة شحن الاسلحة لاسرائيل ، يظهر عدم ارتباط الموقف تجاه سياسة الحكومة بالموقف تجاه قضية فلسطين نفسها . ٤ — الخوف من « الخطر » العربي (٣٩٪) والذي يعود غالبا لما ذكرناه عن العنصرية ضد العرب ، يتحكم في مواقف الفرنسيين بشكل اكبر من عطفهم على اسرائيل نفسها . ٥ — بشكل عام ، ورغم ان « قضية الشرق الاوسط » (كما تسمى) تثير اهتمام الفرنسيين اكثر من قضايا عالمية أخرى (نظرا للتداخل القديم بين التاريخ الفرنسي والتاريخ العربي من جهة وللمشكلة اليهودية من جهة أخرى) الا ان تفاصيل هذه القضية غير معلومة الا لقلة من المطلعين . واحكام الفرنسي العادي لا تعدو كونها ردة فعل سريعة تتحكم فيها قضايا عديدة (وأغلبها داخلية) .

وفي ختام هذه النظرة السريعة للتحول الذي جرى في الاعوام القليلة الماضية في مواقف الراي العام الفرنسي ، لا بد من التاكيد على ان هذا التحول قابل للتعميق اذا توفرت بعض الشروط ، اهمها تطور النضال الفلسطيني والعربي عامة واتضاح مواقفه السياسية واهدافه المرحلية والبعيدة (فيما يتعلق مثلا بمستقبل يهود الارض المحتلة)، ثم بناء علاقات ديناميكية فعالة مع الاوساط المتقدمة في المجتمع الفرنسي . وسناتي في رسالة اخرى على دراسة لهذه الاوساط ولعامة القوى السياسية الفرنسية ومواقفها .

الرسالة الثالثة : من نعيم وبشارة خضر

كسب الراي العام البلجيكي

من المعروف عادة ان بلجيكا احدى معاقل الصهيونية . ومن المعروف ان الرأي العام البلجيكي يدعم اجمالا قيام الدولة الصهيونية في فلسطين . وبالفعل فالجالية اليهودية قوية اقتصاديا في بلجيكا ولها نفوذ لا بأس به في الاوساط السياسية والصحفية . أضف على ذلك ان الجالية اليهودية لها صحفها ووسائل اعلام خاصة بها تمولها وتوزعها مجانا في اكثر الاحيان . فهناك ما يسمى : « مركز الابحاث والاعلام للشرق الاوسط » الذي يشرف عليه ويموله الصهاينة والذي يصدر مجلة توزع مجانا على المئات من المثقفين خصوصا المدرسين واساتذة الجامعات . وهو الذي وزع على الصحف مؤخرا ترجمة لرسالة زعم ان السادات كتبها للمصور عام ١٩٥٣ يمتدح فيها هتلر ويعتبره الرئيس الزعيم الخالد لالمانيا . وهناك « مركز الدراسات اليهودية العليا » الذي يصدر كل عام عدة كتب وكراسات . وهناك صحيفة « لاتريبين سيونيست » التي تنشر الدعاية الصهيونية وتطالب بدعم اسرائيل المادي والمعنوي في كل صفحة من صفحاتها وحتى في كل سطر من سطورها .

وهناك ايضا المنظمات اليهودية . وهي في اجمالها نشيطة جدا . مثل جبهة الطلاب اليهود العلمانيين. واتحاد الطلبة اليهود التقدميين . واتحاد الطلبة الاسرائيليين ونادي الطلبة اليهود . وتعمل كلها بالتعاون والتفاهم مع السفارة الاسرائيلية . واما الصحف البلجيكية عامة فهي تدعم الفلسطينيين عادة عندما ينشب نزاع بينهم وبين الدول العربية. ولكنها تنحاز في اكثر الاحيان لاسرائيل في كل ما يتعلق بتحرير فلسطين واقامة الدولة الديموقراطية . ونستثني منها طبعا وسائل الاعلام اليسارية التي تدعم عادة وجهة النظر الفلسطينية. ولكن دعمها فتر في الاونة الاخيرة شأنها في ذلك شأن اليسار الاوروبي عامة الذي تعود ان يدعم حركات التحرر عندما تكون قوية ثم يتناساها او يهملها عندما تتعرض للازمات والصعوبات . واذا استثنينا بعض الصحف المحلية الصغيرة يجوز القول بان الصحيفة البلجيكية الوحيدة التي تدعم المواقف الاسرائيلية هي صحيفة لوسوار . واكثر مقالاتها خطرا ما يكتبه لها مراسلها من الارض المحتلة فيكتور سيجيلمان .

ولا بد من ذكر الدعم السياسي والمعنوي الذي تغدقه على اسرائيل بعض الشخصيات السياسية المعروفة . ونذكر منها « هوجاردي » وهو عضو في مجلس الشيوخ البلجيكي و« سيمونيه » وهو عضو في مجلس البرلمان ورئيس مجلس ادارة جامعة بروكسل الحرة ورئيس بلدية انديرليخت في بروكسل . وقد تم انتخاب كل منهما من جديد في الانتخابات الاخيرة التي تمت في بلجيكا في ٧ نوفمبر الماضي . وكان السيد هوجاردي قد بعث اثناء الحملة الانتخابية برسالة خاصة الى كل اليهود القاطنين فيبلجيكا يشرح لهم دعمه اللامشروط لهم ولاسرائيل ويطلب منهم دعمه في الانتخابات ويعدهم بان يظل عند حسن ظنهم في الدفاع عن اسرائيل والدعاية لاسرائيل على كل المستويات . وقد أحرز الصهاينة نجاحا اخر في الانتخابات الاخيرة اذ تم انتخاب جان جول في منطقة لييج وهو يهودي وصهيوني معروف تبعثه السفارة الاسرائيلية للدفاع عن وجهات نظرها وشرح مواقف حكومتها في محاضرات عامة . وقد تم انتخابه ولاول مرة نائبا عن حزب اتحاد الفرنكوفون وهو حزب جديد حقق نصرا باهرا في الانتخابات الاخيرة . نكتفي بذكر هؤلاء مع العلم ان هناك العشرات لا بل المئات من الصهاينة او الداعمين للصهيونية في الاوساط السياسية والاقتصادية وحتى في المنظمات. فرابطة حقوق الانسان البلجيكية مثلا لم تتخذ حتى الان اي موقف واضح بخصوص ما تقترفه سلطات الاحتلال في فلسطين المحتلة خصوصا في غزة وذلك بسبب ما يمارسه عليها من ضغوط بعض اصدقاء اسرائيل او بعض الصهاينة ونذكر منهم ارونشتاين احد كبار مسؤوليها واحد اعضاء مكتبها الاداري .

ولن اتكلم عن نشاطات السفارات العربية في مجال الاعلام لعدة اسباب . اولا لان هذه النشاطات تكاد تكون معدومة . وثانيا لان كل سفارة تعمل للدعاية لبلدها . وذلك أمر طبيعي لاختلاف وجهات النظر بين الدول العربية والذي

ينعكس في نشاطات سفاراتها . ولكن لا بد من الاعتراف بالجهود التي يبذلها ضابط الاتصال في الجامعة العربية . وهي جهود موفقة وناجحة لكنها محدودة . وهي محدودة اولا بسبب عدم وجود ميزانية مستقلة ومهمة للاعلام . وثانيا لان مجلس السفراء العرب هو الذي يقرر في النهاية ويمول المشاريع التي يتقدم بها ضابط الاتصال . وهل من السهل ان يتفق السفراء العرب على موضوع مثل موضوع المقاومة الفلسطينية وخصوصا اذا ما تطرقت النشرة الى علاقات المقاومة مع بعض الدول العربية ؟ الا انه لا بد من الاعتراف بأن ضابط الاتصال قد بذل في مجال الاعلام في السنوات الماضية ورغم كل ما تعرض له من صعوبات جهودا جبارة .

وهناك لجان المناصرة . وهي كثيرة بالرغم من قلة المنتمين اليها . هناك لجنتان في بروكسل . لجنة فلسطين — بروكسل ولجنة مناصرة فلسطين والشعوب العربية ولهذه الاخيرة عدة فروع في مدن عديدة من بلجيكا . وهناك لجنة المناصرة في جامعة لوفان . وقد لعبت في الماضي دورا رئيسيا في الاوساط الطلابية في جامعة لوفان . وكان انشط العاملين فيها من الطلبة الفلسطينيين او العرب . ولكنها تفككت وضعفت في المدة الاخيرة . وهناك ايضا عدة لجان اخرى في المنطقة الفلمنكية او في مدينة لييج لا مجال لذكرها بالتفصيل . ولكن لا بد من ذكر قيام لجان مسيحية اهميتها انها تستطيع التغلغل في اوساط جديدة لا تستطيع اللجان الاخرى الوصول اليها . وقد قام وفد عن اللجان المسيحية في الصيف الماضي بزيارة للشرق الاوسط بالتعاون مع رابطة الخامس من حزيران في بيروت واجرى اتصالات بكل حركات المقاومة .

وكل هذه اللجان نشيطة وتصدر النشرات والبيانات وتبيع الكتب واللافتات والصور عن القضية الفلسطينية . وتبيع كذلك ادبيات حركة المقاومة ومنظمة التحرير والجبهات ومركز الابحاث . وتقيم المحاضرات وتعرض الافلام وتعقد المؤتمرات الصحفية . ولكنها لا تزال ضعيفة ولا اعتقد انها ستقوى في المستقبل . وذلك اولا لانعدام وجود اي تنسيق بين هذه اللجان المختلفة . فكل منها تعمل على حدة . وقد تم عام ١٩٦٩ اقامة لجنة وطنية مهمتها تنسيق النشاط والاعلام . ولكن هذه اللجنة تفككت ولم يبق منها الا اسمها . وكل المحاولات التي بذلت حتى الان لتوحيد هذه اللجان باءت بالفشل. السبب عدم وجود مسؤول فلسطيني قريب منها مؤهل من قبل منظمة التحرير للضغط عليها . ثم ان هناك خلافات شخصية بين المسؤولين عن هذه اللجان لانتمائهم الى احزاب سياسية مختلفة او لجناحين مختلفين من حزب واحد قديم انشق . الا ان هناك محاولة جديدة جدية بالتعاون مع ممثل اللجنة المركزية في باريس لتوحيد الجهود. ونشاطات هذه اللجان محدودة لان اتصالها يقتصر على بعض فئات الطلبة (اليسارية المتطرفة منها بشكل خاص) او العمال (خصوصا العمال العرب من شمال افريقيا) . كما ان انعدام المساعدات المالية لا يسمح لها باصدار نشرات جدية تستحق ان يقرأها المثقفون والعاملون في المجالات الصحفية والسياسية وذلك لانها تظل دعائية وسطحية . وما يضعف فعاليتها هي انها تصدر عدة نشرات صغيرة . ولو تكاتفت لاصدار نشرة واحدة جدية عميقة ذات مستوى عال لحققت المزيد من الاهداف الاعلامية التي تعجز عن تحقيقها الان . وهذا يعود ايضا الى انعدام التنسيق والى كون كل لجنة تدعم منظمة فلسطينية معينة . ونكون بذلك قد نقلنا خلافات المقاومة الى الساحة الاوروبية . وهذا في نظرنا خطأ فاحش .

واما الطلبة الفلسطينيون فيبذلون جهودا جبارة في مجال الاعلام والتعاون مع اللجان واتحادات الطلاب . الا ان محاولاتهم تظل فردية اولا لقلة عددهم : فمجموع الطلبة الفلسطينيين في بلجيكا لا يزيد على ١٥ طالبا الاكثرية الساحقة منهم لا تتقن اللغة الفرنسية وتنقصها المعلومات والاطلاع الوافي عن تاريخ القضية الفلسطينية وملابساتها وطريقة عرضها على المستمع الغربي . وقد تم تشكيل اتحاد لطلبة فلسطين منذ عامين ولكنه ظل ضعيفا ومنقسما على نفسه لاسباب لا مجال لذكرها هنا . ولذا ظلت كل المحاولات من ناحية الطلبة الفلسطينيين فردية .

الا ان هناك شخصيات عديدة وفي كل المجالات تدعم المقاومة الفلسطينية وتعمل على الدفاع عنها وخصوصا في الاوساط اليسارية والجامعية . ونذكر هنا بعض هؤلاء : الاستاذ مارسيل ليمان وهو استاذ في جامعة بروكسل الحرة ومحرر مجلة

« مي » التقدمية (وهو يهودي ومن الد أعداء الصهيونية) والسيد ناثان فاينشتوك وهو محرر في مجلة « لا جوش » التروتسكية ومحام مشهور ومعيد في جامعة بروكسل الحرة . وقد نشر كتابا مفصلا « الصهيونية ضد اسرائيل » حطم فيه كل النظريات الصهيونية وكتابا آخر قيما عن «الحركات الثورية في العالم العربي » ومن المؤسف ان تكون مجلة شؤون فلسطينية قد نشرت نقدا للكتاب الاول خصوصا وان الاخطاء اذا ما صحت هذه التسمية لا تساوي ١ ٪ مما جاء في هذا الكتاب القيم الذي وجه الى الصهيونية طعنات في الصميم . ويكفي القول بأن ناثان فاينشتوك لا يدع مناسبة تفوت الا ويدعم المقاومة الفلسطينية مما أكسبه عداء الاوساط الصهيونية التي تخشاه وتخاف لسانه واطلاعه . وهناك أيضا الاستاذ جان سالمون رئيس معهد الحقوق الدولية في جامعة بروكسل وعضو المكتب الاداري في اتحاد القانونيين الديموقراطيين وايزابيل بلوم من مجلس السلام الدولي ومدام بيرسون والصحفي ويلي ستراوزن والاستاذ في جامعة لوفان فرانسوا هوتارت وكثيرون غيرهم . وكل من هذه الشخصيات يعمل وحده او لا يعمل . ولكنهم يرغبون كلهم في العمل من أجل القضية الفلسطينية . ولكن في أي مجال ؟ يقومون بالمحاضرات عندما يجدون من يعد لها . ويكتبون المقالات عندما يجدون من ينشرها . ولكن ينقصهم من يكون حلقة الاتصال فيما بينهم . ولذا هناك اقتراح لاصدار مجلة عن القضية الفلسطينية تصدر كل شهرين يشرف على تحريرها عشرة من هؤلاء الشخصيات الجامعية وغيرهم من الشخصيات السياسية وتوزع مجانا في الاوساط المثقفة او السياسية ويباع قسم من اعدادها . ولكن بقيت هناك مشكلة التمويل . فهم مستعدون تغطية قسم من التكاليف . ولكن من يمول القسم الباقي ؟ فقد سبق للاستاذ ليبمان ان أصدر مثل هذه المجلة منذ سنتين بمساعدة من السفراء العرب . ولكن العدد الثاني لم يصدر أبدا . وتبذل الجهود حاليا لايجاد جهات تمول مثل هذه المجلة التي ستملأ فراغا في الاعلام الفلسطيني هنا على أن تحافظ المجلة على استقلالها عن السفارات العربية وتبقى على اتصال وثيق ومستمر بالمقاومة الفلسطينية وحدها وتحاول فقط فضح الصهيونية واهدافها وتكذيب ما تروجه هنا من معلومات وتشرح وجهة نظر المقاومة الفلسطينية ككل دون الدخول في نقاشات جانبية لها أهميتها في الشرق الاوسط ولكنها تضر القضية اذا ما توغلنا فيها لدى وامام الرأي العام الغربي .

ونورد الان بعض النشاطات التي قامت بها لجان المناصرة او أصدقاء المقاومة الفلسطينية في بلجيكا كمثال على المساعي الاعلامية في بلجيكا .

اجتمع بعض الشخصيات من أصدقاء الثورة الفلسطينية في شهر اوكتوبر الماضي لاتخاذ موقف من مؤتمر « العدالة والسلام في الشرق الاوسط » الذي كان من المقرر ان يعقد في مدينة بولونيا . وقد حضر هذا الاجتماع مبعوث فرنسي من باريس لاقناع الوفد البلجيكي الذي اشترك في مؤتمر نصرة الشعوب العربية الذي انعقد في القاهرة في شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٩ للاشتراك في مؤتمر بولونيا . الا ان الوفد البلجيكي رفض التعاون في اعداد هذا المؤتمر والاشتراك فيه اذا لم يدع اليه ممثلون عن المقاومة الفلسطينية . وبعثت رسالة بهذا المعنى الى السيد فانتي الايطالي المسؤول من الاعداد لهذا المؤتمر يستنكر فيها اعضاء الوفد البلجيكي عدم وجود فلسطينيين عن المقاومة بينما ستوجه الدعوة الى اسرائيليين والى يهود من الولايات المتحدة . وقرر الوفد البلجيكي مقاطعة المؤتمر والاجتماعات التحضيرية له .

قامت لجنة مناصرة فلسطين والشعوب العربية بتنظيم عدة محاضرات حول موضوع « نحن عائدون من الاردن » و« المقاومة مستمرة » على أثر عودة بعض المسؤولين في اللجنة من جولة في الشرق الاوسط . وشرحوا صمود الثورة الفلسطينية وتكلموا عن الوضع في الشرق الاوسط . وقامت لجنة فلسطين في بروكسل باعداد اجتماع اعلامي بمناسبة بدء شهر رمضان دعت اليه عددا من العمال العرب المغاربة . وقد أصدرت هذه اللجنة الاخيرة نشرتها الشهرية « بالسطين ان لوت » التي تصدرها بالفرنسية والعربية . كما أصدرت اللجنة الاولى نشرتها الشهرية « سوليداريتيه بالستين » .

يقوم السيد لالمان وهو محام مشهور ميوله صهيونية باعداد رحلة الى اسرائيل يشترك فيها المحامون البلجيك الشباب وبأسعار مخفضة . وقد كتب السيد سالمون عن اتحاد القانونيين الديموقراطيين

رسالة بعثها الى السيد لامان يطالب بالغاء هذه الرحلة مستندا بذلك الى حجج قانونية والى العدوان الاسرائيلي واحتلال الاراضي العربية . وهناك جهود ستبذل لتوعية بعض المشتركين بهذه الرحلة اما لاقناعهم بعدم الاشتراك او على الاقل للفت انتباههم الى بعض الوثائق التاريخية المهمة لئلا يقعوا في فخ الدعاية الصهيونية .

قامت لجنة مناصرة فلسطين والشعوب العربية بتنظيم محاضرة عامة في ١٩٧١/١٢/٣ حضرها ما يزيد عن ٢٠٠ شخص وتكلم فيها نقابيون ثلاثة عن العلاقة بين نضالهم النقابي والثورة الفلسطينية . وكان بين المتكلمين مسؤول نقابي بلجيكي مشهور ومسؤول نقابي فرنسي ومسؤول نقابي ايطالي .

تم ارسال كتاب الى رابطة حقوق الانسان فرع جامعة لوفان لشرح اوضاع الفلسطينيين في الاراضي المحتلة وطلب اتخاذ موقف واضح من خرق الصهاينة المفضوح والمستمر للاتفاقيات الدولية وحقوق الانسان . وقد طلب من الرابطة تجميع الوثائق حول هذا الوضع وحتى ايفاد ممثلين عنها الى البلدان العربية في الشرق الاوسط لاعداد تقرير واف تقوم بنشره لتوعية الرأي العام البلجيكي . وقد رد رئيس الرابطة ووعد بأن يعرض هذا المشروع في الاجتماع المقبل للرابطة على المكتب الاداري .

نشرت صحيفة لا ليبر بلجيك التي تمثل وجهة نظر الحزب المسيحي المحافظ مقابلة صحفية أجرتها مع البطريرك مكسيموس الخامس . وندد البطريرك بالاحتلال الصهيوني وادان خصوصا محاولة اسرائيل لتهويد القدس وترحيل سكانها العرب . وتساءل اذا ما كان يحق للصهيونية أن تحتل اراضي شعب اخر لا لشيء الا لانها الاقوى. واضاف ان العرب واليهود كانوا يعيشون في سلام وتفاهم قبل قيام اسرائيل وان العداء ولد بولادتها. وتساءل كيف نطالب الشعب الفلسطيني ان ينسى ويصفح وقد طرد من أرضه ووطنه ؟ كما وجه نداء الى الراي العام المسيحي من أجل حماية القدس . وردت السفارة الاسرائيلية على البطريرك ردا سخيفا . فتصدى لها سفير لبنان يفند بسذاجة ما قدمته من أدلة .

وتقوم حاليا الاوساط المناصرة للثورة الفلسطينية بأرسال البرقيات الى الرئيس السادات تطلب منه اطلاق سراح المناضلين الفلسطينيين الذين نفذوا حكم الاعدام بوصفي التل . والجدير بالذكر ان الصحافة البلجيكية لم تدن ما قام به الفلسطينيون الذين اغتالوا رئيس الوزراء الاردني ولكنها قالت أن ذلك يوجه الاضواء من جديد على الشعب الفلسطيني الذي ظنه الكثيرون قد انتهى بانتهاء المقاومة في الاردن .

والجدير بالذكر ان الراي العام البلجيكي يميل كل يوم اكثر الى دعم الشعب الفلسطيني في نضاله وذلك بالرغم من كل ما تبذله الجهات الصهيونية من جهود . يرفض البلجيكي عادة دعم الدول العربية في نضالها ضد اسرائيل . ولكنه لا يتردد في دعم قضية الشعب الفلسطيني والاعتراف بحقوقه كاملة . وهذه فرصة يجب الا نفوتها . ولذا يجب تنسيق الجهود ومضاعفتها من أجل اعلام فلسطيني مركز وجدي لكسب الراي العام هنا. فكل الظروف الان في صالحنا . هذه فرصة ذهبية يجب الا نفوتها .

الرســالة الرابعــة : من الدكتور ادوار سعيد

اليســار الاميركــي والقضيـــة الفلسطينيــة

ساحاول ان اعرض وضع الحركات التي تهتم بشكل جدي بالوضع في الشرق الاوسط من زاوية يسارية بحتة . وأول ما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال هو أن الحركة المعادية للحرب في فيتنام تعتبر القوة اليسارية الرئيسيـة في الولايـــات المتحدة ، ولكن منذ محاكمات مؤامرة شيكاجو[1] في ١٩٦٩ — عندما حالت دون خوض جونسون لمعركة الرئاسة من جديد — واليسار الاميركي يعيش في حالة من التشتت والارتباك ، ولمحاكمات شيكاجو هذه أهمية خاصة في التاريخ السياسي الاميركي لان الدولة ، بموجب قانون التآمر ومحـاولة التحريض على الشغب ، ذلك القانون المطاط ، قدمت للمحاكمة آنذاك عناصر يمثلون مختلف أجنحة اليسار[2]، كما أن هذه المحاكمات اخمدت وبشكل قاطع صوت تنظيمات مختلفة مثل منظمات السود[3]، وجمعية الطلبة الديمقراطيين، وحركات الشباب ومنها حركة الهيبيين الدوليـة وروبـن وهوفمان ودعاة السلم والمنظمات الراديكالية او الفوضوية . ومنذ ذلك الوقت ، أي حوالي نهاية ١٩٦٩ وبداية ١٩٧٠ شهد اليسار ظاهرة التشرذم الى فصائل متنافسة فيما بينها ، فمثـلا انشقت جمعية الطلبة الديمقراطيين الى ثلاث او أربـع منظمات ، وفي داخل كل منها أجنحة متصارعة يدعو كل منها الى هذا البرنامج أو ذاك ، وآخر مـا تعرض له اليسار هو محاكمات بريجان او تهمة بريجان التي وجه بموجبها مذكرات اتهام الـى سبعـة اشخـاص — قسيسين وثـلاث راهبات ، وعالم فيزياء ، واقبال احمد ، استاذ العلوم السياسية الراديكالي الذي يعبر عن وجهة نظر اممية ثالثة والذي كان يقيم في شيكاجو . وكل ذلك يعني ان الادارة ركزت جهودها علـى تحطيم اليسار المنظم من خلال محاكمات شيكاجو في ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، وهم الان يركزون على بقايـا الحركات الراديكالية المعادية للحرب والتي لا تتركز الان فحسب في نفوس الناس وفي الكنيسـة . وبالاضافة لذلك ، فان ملاحقتهم لآخر عالم سياسي

---

١ — في الحقيقة لم تكن مؤامرة بالمعنى المتعارف عليه بل محاولة قامت بها الحكومة لجعل قانون التآمر مطاطا جدا ، والطريف عن الاشخـاص الثمانية الذين حـوكموا هو انهم لم يكونـوا يعرفون بعضهم بعضا ، فكل ما كانت تريـده الحكومة هو ان يكون لدى هؤلاء النية ذاتهـا لتوجه لهم تهمة التآمر المشترك ، كما انها كانت محاولة من السلطـة لاخمـاد صوت العناصر الانشقاقية في المجتمـع بطـرق « قانونية » ، فجميع المتهمين ينتمون الى منظمات كالفهـود السـود وجمعية الطلاب الديمقراطيين ومنظمات اليسار الجديد .

٢ — المشكلة في اليسار الاميركي هي ان غالبيته من اليهود الذين غالبا ما يعربون عن قلقهم عما يمكن ان يحدث « لاخوانهم » في اسرائيل ، ولما كـانت الصحافـة تحـاول أن تصور الثورة الفلسطينية وكأنه ليس لها اي بعد اجتماعي ، اعتقد انه من الضروري بالنسبة لنا ان نصور الثورة كجزء من ثورة عربية شاملة ، وفي الوقت نفسه محاولة لايجاد مستقبـل أفضل يشمل اليهود كذلك ، وهنا لا بد من الاشارة الى انه لا يكفي الحـديث عن الدولـة الديمقراطيـة العلمانية العتيدة في فلسطين بل يجب توضيح كيفية اقامة هذه الدولة ، ومحتواها الاجتماعي والاقتصادي ، وذلك لنزع اسطورة القاء اليهود في البحر من عقول اليساريين وغيرهم .

٣ — تركز اليسار بين السود خـلال السنتين الماضيتين في الفهود السود ، ولكن لم يبق من هؤلاء سـوى اسمهم بعد ان تعرضوا لحملـة عنيفة من الاعتقالات والقتل ، وهناك ايضـا التروتسكيون الذين نجح اليهود ومكتب التحقيقات الفيدرالي في التسلـل الى صفوفهم ، ولكن مؤخرا حاول اعضاء سابقون من الفهود السود اعادة تنظيم صفوفهم ، ولكنهم يواجهون ليس مشكلـة رجال الامن فقط بـل ايضا مشكلـة المخدرات ، وقد حدث ان الشرطة استجوبتهم وضايقتهم عند عودتهـم من زيارة قاموا بهـا للشرق الاوسط .

راديكالي بارز يمثل وجهة نظر العالم الثالث ، أي اقبال احمد ، هي جزء من عملية التركيز هذه . والمؤامرة كما اخرجوها سخيفة وحتى ان«نيويورك تايمز» وصفتها بأنها عبارة عن رواية من مخيلة احدهم ، ربما كان هوفر ، فهي تربط ما بين الكنيسة ودعاة السلم والكويكرز واقبال الذي يعتبر صديقا للعرب ، وله عدة كتابات عن المسالة العربية ـ اليهودية ككاتب ثوري يمثل وجهة نظر العالم الثالث . وقضية الاخوين بريجان ، المتهمين الرئيسيين ، ليست سوى تعبير عن جو الكبت الرهيب الذي تعيشه امريكا حيث يوجد عدد لا يحصى من المواطنين والمقيمين الذين تخضع مكالماتهم الهاتفية ورسائلهم للمراقبة على يد اشخاص منتشرين في جميع أرجاء البلاد ، واعني بذلك ان المخابرات العسكرية لوحدها تقوم بمراقبة مئتي الف او ثلاثمئة الف شخص ، وكذلك يفعل مكتب التحقيقات الفيدرالي والبحرية وربما دوائر حكومية اخرى . وما دام أجنيو وميتشل يعملان معا في خط واحد ، فليس هناك مجال تقريبا لاي شخص ليزوغ من وجه الرقابة او يبتعد عن الخوف، فكل مواطن معرض للتوقيف والاستجواب، وما حدث للاميركيين الذين زاروا الشرق الاوسط في العام الفائت، ومنهم بعض السود الراديكاليين، من استجوابات وتحقيقات ومعاملة قاسية على يد رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي او الشرطة هو خير دليل على ذلك . وفي الولايات المتحدة ايضا حركة طالبية ولكنها في حالة خمود أيضا ، وحتى ليس هناك ما يمكن تسميته حركة طالبية ـ فكما قلت فان جمعية الطلاب الديمقراطيين انشقت على نفسها ، كما ان عددا كبيرا من الطلاب يتركون الجامعة الى ... وأمور كهذه . ولكن هذا يجب ان لا يعني انعدام النشاط السياسي ، وذلك لان مثل هذا النشاط يتركز الان بشكل فعال في أيدي قلة من المنظمات التروتسكية(٤) التي لها تأثير على السياسة الخارجية الاميركية ، ومن هذه المنظمات حزب العمال الاشتراكي وغيره .

وبالاضافة لكل ما تقدم ، فان عامة المواطنين في اميركه غير آمنين ، من الناحية الاقتصادية(٥) ايضا ، فمعدل البطالة في ارتفاع ـ فهو يزيد عن الستة بالمئة التي يقولون عنها ، والناتج القومي الاجمالي في انخفاض ، والخدمات العامة ، كالبريد والهاتف والكهرباء وما الى ذلك ، تشهد انهيارا شاملا في جميع انحاء البلاد . لذا ، على المرء ان يكون مدركا لكل هذه الامور عندما يتعرض لمناقشة مختلف نواحي أزمة الشرق الاوسط وتأثيرها على الوضع الداخلي في اميركه .

وعند بدء مناقشتنا لهذا الموضوع لا بد من الاشارة الى ان الاشهر الستة الاولى من العام ١٩٧٠ في اميركه شهدت حملة واسعة النطاق لصالح اسرائيل اشترك فيها البنتاجون بقصد التوصل الى ايجاد تعاون عسكري اوثق ما بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وفي اواخر آب (اغسطس) اقترح السناتور فولبرايت عقد معاهدة امن متبادل بين الولايات المتحدة واسرائيل بهدف وقف تحويل اسرائيل الخفي قاعدة متقدمة للعدوان العسكري الاميركي في الشرق الاوسط ، وقد كان ذلك سببا لشن حملة عليه اشترك فيها المسؤولون العسكريون والحكوميون وكل من هو اسرائيلي أو يخضع لنفوذها ويؤيد سياستها . وكذلك فقد وصف اقبال احمد رحلة نيكسون في دول حوض البحر الابيض المتوسط في تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٠ بانها محاولة لخلق حلف متوسطي على غرار حلف شمال الاطلسي تكون اسرائيل الشريك الشرقي الرئيسي فيه مع اليونان واسبانيه والبرتجال وايران لتطويق الاتحاد السوفياتي من الشمال ، واستراتيجية جنوبية لتطويق الوجود السوفياتي في سوريه ومصر عن طريق ايران في الشرق واسرائيل في الوسط والمغرب في الجنوب . ويقضي جزء من هذه الخطة بابقاء يوجسلافيه على الحياد ، وينص جزء آخر على قانون المساعدات العسكرية الخارجية التي

٤ ـ ان التروتسكيين هم الفصيل الرئيسي في اليسار الاميركي الذي كان يقف دائما الى جانب الفلسطينيين ، وذلك لادراكهم ان الثورة الفلسطينية تناضل لتحقيق مبادىء تتوافق وايديولوجيتهم ، وتأييدهم هذا للفلسطينيين افقدهم كثيرا من التأييد في اميركة .

٥ ـ لم يتمكن اليسار في اميركة من التصدي للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع الاميركي كما انه ليس هناك اي تعاون حقيقي بين الفئات اليسارية والحركة العمالية .

تبلغ ١٩٢٥ مليار دولار والذي أقره الكونجرس في آب ١٩٧٠ مع ترك الباب مفتوحا لمنح اسرائيل ما تريدة من المعونات . وبالفعل اعلنوا انهم سيمنحون اسرائيل حوالي نصف مليار دولار هذا العام ونصف مليار اخرى في العام القادم ، ولكن وكما لاحظ بعض الشيوخ ، القصد من ذلك هو ان المعونات يمكن ان تتخطى ذلك كثيرا ، ولا شك ان هذا لامر خطير . وبالاضافة الى ذلك ، ظهرت مقالة في « نيويورك تايمز » كتبها بنيامين وست في اوائل اكتوبر ١٩٧٠ كشف فيها انه كان هناك نوع من التفاهم الاميركي الاسرائيلي بالتدخل في الاردن خلال حوادث الاردن في ايلول ١٩٧٠ وذلك مع موافقة ضمنية من السفارة الاردنية في واشنطن ، وذكر أحد مراسلي الصحيفة ان طائرات فانتوم الاسرائيلية حلقت بالفعل فوق الحدود الاردنية — السورية ، ولكنه لم يتحدث عما كانت تفعله هناك . وخلال خريف ١٩٧٠ عندما كانت حركة المقاومة الفلسطينية في أوجها شهدت الولايات المتحدة سيلا من المحاضرين على رأسهم جولدا مئير وابا ايبان ودايان واسحق رابين الذي كان يجوب البلاد عرضا وطولا في سلسلة من المحاضرات في النوادي والجامعات وحملات جمع التبرعات امتدت من ايلول حتى كانون الاول ، وكذلك شلومو افنيري واوري الميري وسكرتيرة اوري افنيري(٦) التي جاءت الى بيروت وقابلت عددا من قادة المقاومة ، وايضا اوجوري ديفيز ، داعية السلم الاسرائيلي الراديكالي ، وغيره من الجنرالات والكولونيلات ، واعضاء الكنيست ، ودانيد فكري من المسؤولين الاسرائيليين في الضفة الغربية المحتلة ، كل ذلك لاعادة الثقة باسرائيل خاصة بعد أن بدأ الليبراليون الاميركيون من امثال تشومبسكي(٧) يتحدثون عن الحيف الذي لحق بالفلسطينيين ، مما سبب الذعر في قلوب القادة الاسرائيليين وجعلهم يهرعون الى الولايات المتحدة بهذا الشكل . وهذا كله كان يهدف الى ربط الولايات المتحدة بالمصالح الاميركية على جميع المستويات ، ومحاولة كسب اي تأييد ممكن لاسرائيل واضعاف اي تعاطف نحو الفلسطينيين . مضافا الى ذلك ، هناك الموقف المعادي لما يسمى باليسار المعادي للشيوعية الذي يهيمن على الحياة الفكرية في اميركه بشكل عام وفي نيويورك وبوسطن على وجه التحديد ، وحملتهم على التحالف الذي قام بين الفلسطينيين والفئات التي تنتمي الى العالم الثالث مثل السود والبورتوريكيين والهنود ، ووصفهم لهذا التحالف بأنه ليس معاديا للصهيونية بل معاديا للسامية ، وعلى سبيل المثال ، كتب سيمور مارتن ليبسج ، الاستاذ المشهور في هارفرد ، مقالة مطولة في « نيويورك تايمز ماجزين » بعنوان « اشتراكية الاغبياء » ، فهم يسمونها معاداة اليسار الجديد للصهيونية في حين انها في الحقيقة معاداة اليمين للسامية ، والمقالة عبارة

---

٦ — تدعى دانا زرهان ، تحمل جنسية مزدوجة اميركية واسرائيلية ، فاتنة ، القت سلسلة من المحاضرات في اماكن مختلفة من اميركة طوال شهري نوفمبر وديسمبر ، وقد استمعت اليها تلقي اربع محاضرات في يوم واحد في نيويورك . وتعرف عن نفسها ، كما يفعل افنيري ، بانها اسرائيلية ولكنها قومية فلسطينية . وتحدثت عن زيارة قامت بها للمنطقة في ربيع ١٩٧٠ كصحفية اميركية حيث قابلت قادة المقاومة وزارت قواعد الفدائيين ومخيمات الفلسطينيين. وقالت انها قابلت نفرا من الجبهة الديمقراطية وصفتهم بأنهم ساذجون فهم يعتقدون ، على حد زعمها ، ان الصهيوني عبارة عن يهودي مضلل (بفتح اللام) ، ولا يدركون ان الصهيونية تجسدت في مجتمع قائم وراسخ .

٧ — تشومبسكي هو أحد اليساريين الحقيقيين الذي يتمسك ببيان ٦ أيار الذي اصدرته القيادة الموحدة للفدائيين وتطالب فيه باقامة دولة ديمقراطية في فلسطين عن طريق تحطيم المؤسسات السياسية والعسكرية والاجتماعية والمدنية والثقافية في اسرائيل ، ويعلق تشومبسكي على ذلك برفض اقامة دولة عن طريق تهديم دولة اخرى ، مع انه كان يجب عليه ان يفهم ما تقوله الجبهة الشعبية عن تحطيم هذه المؤسسات كما فهمه لينين من تحطيم الدولة البورجوازية لاقامة دولة تقدمية ثورية على انقاضها . ويعتبر تشومبسكي ايضا ان حركة المقاومة اصبحت حركة قومية واتخذ النزاع شكل صراع فلسطيني — يهودي ، وهذه هي ايضا الصورة السائدة في اميركة عن حركة المقاومة .

عن هجوم على كل من تربطه علاقة سياسية بالكفاح الفلسطيني في الشرق الاوسط ، وهذا بالطبع ينال قسطا وافرا من الدعاية والاهتمام ، وهناك ايضا النشاط الذي تقوم به رابطة الدفاع اليهودية ضد المؤسسات السوفياتية والديبلوماسيين السوفيات من أجل السماح لليهود في الاتحاد السوفياتي بالهجرة الى اسرائيل . واعتقد ان لهذا كله علاقة بشكل او بآخر باقامة دولة فلسطينية في الشرق الاوسط او في الاراضي المحتلة . وفي ١٦ اوكتوبر ظهرت مقالة كتبها هدريك سميث من واشنطن كشف فيها النقاب عن قيام وزارة الخارجية الامريكية ببحث جدي لاقامة دولة فلسطينية تكون عمليا تحت سيطرة اسرائيل بطريقة او بأخرى ، وستضم هذه الدولة عددا من المستعمرات الاسرائيلية في الداخل او على طول نهر الاردن ، كما سيتم الاتصال ببعض الشخصيات العربية مثل عزيز شحاده والجعبري وغيرهما ، وكذلك تم الانتهاء من وضع خطة لاقامة جامعة عربية في الضفة الغربية للاردن ، وسيجري احصاء للسكان واستفتاء وغير ذلك من الامور الاجرائية . وقد تم وضع هذه الخطة لدولة في الضفة الغربية في ندوة عقدت في واشنطن ، واشترك بها عدد من المهتمين بشؤون الشرق الاوسط ومنهم فلابينز وفلارهي ، وكانت باشراف معهد الشرق الاوسط الذي تشرف عليه وزارة الخارجية ويرئسه كار بيكارن . وفي الوقت نفسه اصدرت مؤسسة راند(٨) والشرق الاوسط كتابا أعده دون بيريتز حول « الكيان الفلسطيني » من الناحية التاريخية . وهناك العديد من الاشخاص والجمعيات التي ما تزال تدرس وضع المنطقة والعلاقات الاسرائيلية العربية ، ومنهم جماعة الكويكرز فيشر وبولنغ ، وقد تركزت جميع هذه الدراسات على عدم قدرة العرب والفلسطينيين وغيرهم قبول خطة انسانية ، وعلى عدم وجود مقاومة في الضفة الغربية ، عسكرية او حتى سياسية . واكثر من يركز على ذلك هو اسحق رابين الذي يكرر في خطاباته دائما ان الوضع هادىء في الضفة الغربية ويستطيع المرء ان يقول ما يريد . وعندما يسأله احد عن غزة ، يقول انهم يقتلون بعضهم بعضا هناك ، انهم لا يهاجمون الاسرائيليين ، وهكذا فغزة التي تعتبر المكان الوحيد الذي توجد فيه شرارة حقيقية للمقاومة ، يعتبرونها في الولايات المتحدة مكانا يقتتل فيه العرب فيما بينهم .

وبالمقابل نرى ان نشاط المنظمات العربية في اميركة يؤدي الى اسوأ النتائج نظرا لكثرة هذه المنظمات وعدم التنسيق فيما بينها ومحاولتها القيام بأمور غير واقعية او غير قابلة للتطبيق ، فلو اخذنا مكتب الاعلام العربي(٩)، نرى انهم يركزون سياستهم على ان الولايات المتحدة صديق ممكن يجب كسبه لجانبنا ، مع انه من السهل معرفة ان الولايات المتحدة ليست صديقا ممكنا بل انها في الحقيقة عدو لنا ، ولكن هدف المكتب هو كسب المتدينين الى جانب قضيتنا وكذلك اعضاء الكونجرس رغم عدم وجود امكانات مالية لديهم للقيام بذلك . واعتقد انه لا يمكن القيام بذلك الا اذا ارتكز على اسس صحيحة وسليمة ، ولذا فاننا نرى نشاط المكتب يتأرجح وغير مركز على نقطة محددة . وهناك ايضا منظمة التحرير الفلسطينية التي لها برامجها الخاصة ، ولا ادري ان كان ذلك بالتنسيق مع مكتب الاعلام العربي ،

٨ — راند عبارة عن هيئة مقرها في كاليفورنية وتعمل لصالح الحكومة الاتحادية. وقد اصدرت عدة دراسات ، ومنها « الراديكالية العربية »، كتبها شخص لبناني يقول فيها ان الراديكالية العربية كانت على المستوى الثقافي فقط ولم تكن ابدا عملية او قادرة على التصدي للمشاكل. كما تقوم راند باعداد خطط دراسية لكافة فصائل حركة المقاومة ، ويعمل معها عدد من الاسرائيليين ، مثل شلومو افنيري ، وجنرال اسرائيلي اسمه بليف صاحب النظرية التي تقول ان العنف ضروري للشخصية العربية ، وما علينا سوى احتواء ذلك العنف وجعله غير عملي وبذلك يصبح العرب اناسا طيبين . ومن ابرز العاملين معها دون بيريتز اليهودي ، الذي يعتبر الموجه الرئيسي لها .

٩ — على مركز الابحاث في م.ت.ف. وغيره من المنظمات الفلسطينية التركيز على تقديم المعلومات التي لا تزال غير معروفة على صعيد الرأي العام في اميركة ، فاذا اكرنا وعد بلفور يثيرون بالمقابل قصة الستة ملايين يهودي الذين ابادتهم النازية ، لذا يجب اثارة مواضيع الساعة مع ربطها بالنفط والاسلحة والصناعة.